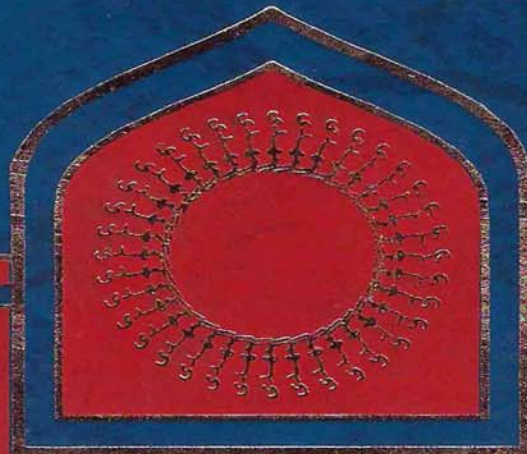


تجوارك

سورة المائدة

تأليف

عبدالله الشيخ (ابراهيم)





حوارات حول

المنقذ

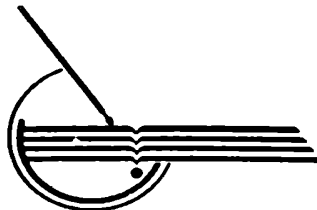
تأليف العلامة الشيخ ابراهيم الأميني

ترجمة كمال السيد

اميني، إبراهيم، ١٣٠٤ -
حوارات حول المنقذ / تأليف إبراهيم الاميني؛ ترجمة كمال السيد . - قم:
مؤسسة أنصاريان، ١٤٢١=٢٠٠٠.
[٣٢٠] ص.
العنوان الأصلي: دادگستر جهان.
عربي
کتابنامه: ص. [٣١٧-٣٢٠]: همچنين به صورت زيرنويس.
شابک: ٩٦٤-٤٣٨-٢٢٥-٠ ISBN: 964-438-225-0
١. مهدويت. ٢. محمد بن حسن (عج)، امام دوازدهم، ٢٥٥ق. - .
الف. سيد، کمال، ١٣٣٦ - ، مترجم. ب. عنوان.
٢٩٧/٤٦٢ BP٢٢٤/٤ف٧٨٥٢٠٤٣

اسم الكتاب: حوارات حول المنقذ
المؤلف: إبراهيم الاميني
المترجم: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر - قم
الطبعة الثانية: ١٤٢١ - ١٣٧٩
المطبعة: صدر - قم
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٣٢٠ ص
حجم الغلاف: متوسط
ردمك (شابك) ٩٦٤ - ٤٣٨ - ٢٢٦ - ٩

جميع حقوق الطبع محفوظة و مسجلة للنشر

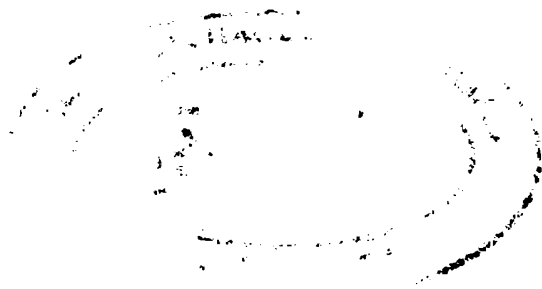


مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
جمهورية إيران الإسلامية - قم - شارع الشهداء - فرع ٢٢
ص ب: ١٨٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الإهداء

الى الذين ينتظرون المهدي بحق
والعدالة ان ترفع رايتها في العالم
ويجاهدون من اجل اعلاء كلمة الاسلام
تمهيداً لظهوره
أقدم هذا الكتاب



محتويات الكتاب

٣	الإهداء
٩	مقدمة المترجم
١١	مقدمة المؤلف
١٩	البداية

الحوار الاوّل

٢٣	المهدي من عترة النبي
٢٥	المهدي لدى أهل السنّة
٢٨	ابن خلدون وأحاديث المهدي
٢٩	تواتر الأحاديث
٣٠	الجرح ليس مقدماً على كل حال
٣١	الجرح بتهمة التشيع
٣٢	اختلاف الرأي
٣٤	التعصب
٣٥	صحيحاً مسلم والبخاري
٣٧	مع ابن خلدون مرّة أخرى
٣٩	الاعتقاد بالمهدي كان بديهيّاً
٤٠	في عهد الصحابة والتابعين
٤٤	الانتظار
٤٥	محمد بن الحنفية
٤٦	محمد بن عبدالله بن الحسن
٤٩	دعبل والمهدي

الحوار الثاني

٥٣	الاستغلال وتزوير الأحاديث
٥٦	أهل البيت يبشرون بالمهدي

الحوار الثالث

٦٣	ظاهرة المهديّة
٦٤	بواعث ظهور المهديّة
٦٧	عبدالله بن سبأ
٦٨	القرآن والمهديّة
٧٠	النبوة العامة والإمامة
٧٢	أي القوانين تُسعد الانسان

٧٥	طريق التكامل
٧٥	عصمة الأنبياء
٧٦	أدلة الإمامة

الحوار الرابع

٨٤	هل يولد في آخر الزمان
٨٥	المهدي في الروايات
٨٧	المهدي من ذرية الحسين
٨٩	لو كان بيتنا
٩٢	أحاديث أهل البيت حجة على المسلمين كافة
٩٥	عليّ معدن الوحي
٩٦	كتاب عليّ
٩٧	ورثة العلم النبويّ

الحوار الخامس

٩٩	هل كان للإمام العسكري ولد؟
١٠٢	رؤية المهدي في صباه
١٠٨	الوصية
١٠٩	لماذا بقي الآخرون في جهل بولادته
١١٢	أم المهدي

الحوار السادس

١٢٣	العبارة من الصغار
١٢٤	القيام لدى ذكره
١٢٥	قصة الغيبة
١٢٨	كتب عن الغيبة قبل وقوعها
١٣١	الغيبة الصغرى واتصال الشيعة بالإمام
١٣١	هل كانت التواقيع بخط الإمام؟
١٣٥	السفراء
١٣٦	السفير الأول
١٣٩	السفير الثاني
١٤١	السفير الثالث
١٤٥	السفير الرابع

الحوار السابع

١٤٨	زمن الغيبة الكبرى
١٤٨	فلسفة الغيبة
١٥٠	ماهو الخطر في ظهور الإمام؟
١٥١	لماذا هذا الحرص على الحياة؟

- وإذا سكت الإمام؟ ١٥٢
سفر في الغيبة الكبرى ١٥٤
ما الفائدة من وراء إمام غائب؟ ١٥٥

الحوار الثامن

- غيبة العلويين ١٦٥
انحسار الحرية ١٦٧
عمر الامام ١٧٠

الحوار التاسع

- ظاهرة الشيخوخة ١٧٧
طول عمر الإمام ١٨٠
مقالة جوستين غلاس ١٨٣
تحقيقات علمية حول العمر ١٨٥

الحوار العاشر

- نظرية أخرى ١٩٠
مقتطفات من كتاب روسي ١٩١
علم الشيخوخة ١٩٢
نظرية بوفون ١٩٢
غداً يعيش الإنسان أكثر ١٩٣
متوسط عمر الإنسان ١٩٤
نظرية متشكوف ١٩٥
نظرية غير معروفة في سبب الموت ١٩٦
المعمرون في التاريخ ١٩٩
وطن الإمام ٢٠١
بلدان يقطنها أولاد الإمام! ٢٠٢
الجزيرة الخضراء ٢٠٥

الحوار الحادي عشر

- زمن الظهور ٢١٥
علامات الظهور ٢١٦
قصة السفياني ٢١٧
قصة الدجال ٢١٨

الحوار الثاني عشر

- النصر للمستضعفين ٢٢٧
لماذا لا يظهر المهدي ٢٣٣

الحوار الثالث عشر

- أحاديث تنهى عن الثورة ٢٤٤

٢٤٥	الحكومة في الدين
٢٤٦	الأمر بالمعروف
٢٤٨	الرسول القائد
٢٥٠	الحكم الإسلامي بعد رحيل النبي الأكرم
٢٥١	خليفة الرسول
٢٥٢	الحكومة زمن الغيبة
٢٥٣	وظيفة المسلمين زمن الغيبة

الحوار الرابع عشر

٢٥٩	بحث في الأحاديث
٢٦٠	الطائفة الأولى
٢٦٧	الطائفة الثانية

الحوار الخامس عشر

٢٧١	الطائفة الثالثة
٢٧٥	الطائفة الرابعة
٢٧٩	الطائفة الخامسة

الحوار السادس عشر

٢٨٧	الظهور
٢٨٨	المصير
٢٩٠	مصير اليهود والنصارى

الحوار السابع عشر

٢٩٦	قم عاصمة العلم
٢٩٩	الحرب
٣٠٠	السلح
٣٠١	مستقبل العالم
٣٠٢	انتصار الأنبياء
٣٠٣	الشرع الجديد
٣٠٤	سيرة المهدي
٣٠٦	حركة جديدة
٣٠٩	نسخ الأحكام
٣١٠	ألم يظهر المهدي حتى الآن؟
٣١١	حكاية الشيرازي
٣١٧	المراجع والمصادر

مقدّمة المترجم

الشعور بالأمل هو أعظم كنز يملكه الإنسان..
ففي عالم غارق في أتون الحرب، في حماة الإنحطاط، وحيث البشرية تندفع
بجنون نحو الهاوية، تكون بارقة الأمل هي المبرر الوحيد لإستمرار الإنسان في
الحياة.. إنّه يحلم بالربيع القادم، فتصبح الأرض مخضرة.. يحلم بالسلام والحياة
الآمنة المطمئنة، يحلم بالعدالة حيث الناس كلهم من آدم وآدم من تراب.
إنّ التاريخ البشري الطويل تاريخ مليء بالآلام والدموع.. زاخرٌ بالدماء القانية
لإنسان مقهور يبحث عن آماله الضائعة دون جدوى.
مسيرةٌ حافلة بالصراع المرير بين الخير والشرّ، بين الحرب والسلام، بين الظلم
والعدالة، وفي غمرة كلّ هذا الظلام الحالك يبقى تاريخ الأنبياء هو الطريق
المضيء.. الطريق الذي تهفو إليه فراشات النور وهي تبحث عن الربيع.
ومنذ أن بزغ فجر الإسلام مع هجرة سيّدنا محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

من مكة إلى المدينة بدأ التاريخ الإسلامي الزاخر بالحوادث، ومع بداية الفصل الأول من الصراع أودع النبي بذرة الأمل بظهور «المهدي» من أهل بيته، يحمل اسمه وكنيته ويجسد أخلاقه وشمائله، وهو الذي سيحقق حلم الأنبياء في آخر الزمان، فيملاً الأرض بالعدل والدفء والسلام.

واحتدم الجدل منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم حول هوية الرجل الموعود، حتى يمكن القول ان ملف هذه القضية من أوسع الملفات في التاريخ الإسلامي وأكثرها حساسية.

وإذا كنا ننظر باحترام وأدب إلى ملف الصحون الطائفة وهي ظاهرة طبيعية لم تمتلك بعد ما يؤيدها ويعزز من وجودها، فإننا أمام ظاهرة تاريخية من القوة بحيث تضعنا وجهاً لوجه أمام حقيقة كبرى تستحق كل جهد ووقت في تأملها والوقوف عندها طويلاً لأنها قضية مصير.

والكتاب الذي بين يديك عزيزي القارئ هو بحث ممتع وعميق يتناول قضية المهدي من مختلف الجوانب.

وقد حاول مؤلفه وحتى يتلافى شعوراً بالملل قد ينجم في نفسية القارئ أن يكون الكتاب على شكل حوارات ضمن لقاءات بين أطراف يهملها معرفة الحقيقة بعيداً عن كل تعصب أو تطرف بغير حق.

وأجدني ملزماً بالإشارة إلى أن مؤلف الكتاب يعدّ من أبرز الشخصيات الدينية والفكرية المؤثرة في إيران اليوم والتي ينبغي للقارئ العربي الإهتمام بها والتعرف عليها والإستفادة من فكرها في مجالات حياتية أخرى.

مقدمة المؤلف

تعيش البشرية اليوم هواجس الحرب، ويعصف بها القلق.. والعالم غارق في أتون حروب مدمرة باردة وساخنة وسباق التسلح، وصراع لا يعرف الهوادة بين الشرق والغرب، وكوارث مروّعة، وترسانات الأسلحة تغصّ بأسلحة الدمار وتهدد البشرية بالفناء.

كلّ هذا وما يزال الطغاة يغيرون على الشعوب فينهبون ثرواتها ويتركون البلاد قاعاً صفصفاً.. ترزح تحت نير التخلف وتئنّ من الجوع والحرمان ويفتك بها المرض والجهل؛ الى جانب ما نشهده من انحطاط أخلاقي وسقوط في حماة الغرائز، والابتعاد عن الدين، والاستغراق في المادّة، والانسياق وراء الشهوات الى الحدّ الذي جعل المفكرين في العالم يطلقون صرخة الإنذار والاستغاثة ويحذّرون من الخطر القادم.

كلّ هذه المظاهر المؤسفة وغيرها حيّرت المصلحين وهم يصغون الى أجراس الخطر تدوي في آذانهم ويشهدون السقوط المريع للبشرية، فهبّوا لإنقاذ العالم وراحوا يقرعون الأبواب ولكن دون جدوى... أنّهم يشعرون باليأس القاتل، وراح بعضهم يردّد أن البشرية لا تتوفر في طواياها قابلية الاصلاح، فوقفوا عاجزين أمام ما يحلّ بالعالم من دمار وسقوط..

وقفوا عاجزين وقد أخذتهم الرجفة تهزّ كيانهم، يرتعشون غضباً ازاء مظاهر التمدّن ويحمّلونها المسؤولية في كلّ ما يحدث من ويلات.. في نفس الوقت الذي يعترفون فيه قائلين أن لا ذنب للعلم في ذاته.. وان اللوم يقع على الإنسان عندما يركبه الغرور والتكبر والطغيان.. فهو الذي يوجّه هذه النعمة العظيمة في طريق الانحراف والفساد.

الشيعة ومستقبل العالم

ولعلّ اتباع أهل البيت هم وحدهم الذين قهروا غول اليأس ومارد القنوط، وهم وحدهم الذين يعيشون الأمل، والتفاؤل بمستقبل العالم وأن الأرض يرثها عباد الله الصالحون.

وقد آمنوا ان الانسان مهما أوتي من قدرات وذكاء، عاجز عن إنقاذ العالم.. وأنّ ما يطرحه من قوانين وما يسنّه من نظم لن تقدّم حلاً لمشكلة الإنسانية وإنقاذ البشرية من مستنقع الشقاء والألم؛ وانّ قوانين السماء - وبالتحديد شريعة الاسلام - هي وحدها التي تكفل السعادة وهي وحدها التي ترسم الطريق الى مستقبل مشرق للأرض، وانّ قيادة المعصوم هي الأمل الوحيد في انتشال الإنسانية من ظلمات

الشقاء الى نور السعادة والخير .

انّ اتباع أهل البيت (عليهم السلام) قد آمنوا بمستقبل الإسلام وجسّدوا في ضمائرهم صورة العصر القادم .. العصر المشرق لحكومة التوحيد وهم ينظرون بأمل الى الغد وينتظرون .

فلسفة الانتظار

من المواضيع التي استخدمها أعداء الشيعة للهجوم على المذهب الإمامي هو انتظار المهدي الموعود أو انتظار الفرج، وظهور المصلح الغائب، وأنه أساس التخلف لدى الشيعة . فالشيعة - كما يدّعون - قد وقفوا موقف اللامبالاة ازاء كلّ ما يدور حولهم من كوارث اجتماعية وحوادث سياسية، وانه جعل موقفهم سلبياً لا ألبالياً، وقد سلبهم «الانتظار» التفكير والعمل على التغيير، فانحنوا أذلاءً أمام الأجنبي منتظرين ظهور المهدي الذي سيقوم بمهمة الاصلاح وتغيير العالم .

وأنا لا أريد أن أبحث في أسباب انحطاط المسلمين بشكل عام أو الشيعة بشكل خاص . فالوقت لا يسمح بذلك، ولكن يمكن الإشارة إلى أنّه من الواضح تماماً أنّ الإسلام لا يقف وراء تخلف المسلمين وانّ العقيدة الإسلامية هي بريئة من كلّ الاتهامات الباطلة التي تحاول ان تغزو ما أصاب المسلمين إلى الإسلام . ويمكن القول بقوة أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يهتم بشؤون الإنسان فرداً ومجتمعاً وأسلوباً للحكم وطريقاً للحضارة والرقي، وهو الدين الوحيد الذي جعل مواجهة الظلم والثورة على الفساد والنهي عن المنكر من الوظائف والواجبات الشرعية التي يتحتم على المسلم القيام بها وأداؤها . كما جعل من مهمّة الاصلاح الاجتماعي

والأمر بالمعروف واجباً إلزامياً يشمل كلّ المسلمين. قال سبحانه: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»^(١).

وعدّ الله هذين الواجبين شعاراً تمتاز به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم. قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر»^(٢).

وقد جعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الاهتمام بالاصلاح الاجتماعي والسعي لحل مشكلات المسلمين ركناً من الإسلام وخصلة للفرد المسلم. قال (صلى الله عليه وآله وسلم): «مَنْ أَصْبَحَ وَلَمْ يَهْتَم بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ».

وهذا هو القرآن يأمر المسلمين بمواجهة العدوان: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوّكم»^(٣).

وفي وجود هذا الحشد من الآيات والروايات، كيف يسمح الإسلام للمسلمين ان يعرضوا عن الحضارة والتمدّن وان يتجاهلوا الأخطار التي تهدد العالم الإسلامي.. كيف يسمح لهم أن يقفوا مكتوفي الأيدي منتظرين قدوم المهدي لإنقاذ الإسلام وتحرير المسلمين؟! وكيف يجيز لهم السكوت إزاء الضربات التي تنهال عليهم، وإهمالهم مسؤوليتهم في ذلك، مكتفين بترديد هذه العبارة: «عجلّ الله

(١) آل عمران الآية (١٠٤).

(٢) آل عمران الآية (١١٠).

(٣) الأنفال الآية (٦٠).

فرجه»!!

ان الانتظار يعني الأمل، والأمل هو أساس النجاح والانتصار، وكلّ مجتمع لا يعيش الأمل تنطفئ في روحه تلك الشعلة المتوقدة التي تدفعه للعمل والنشاط والسعي، فاذا انطفأ هذا الشعاع استسلم الإنسان لغول اليأس، وعندها سيهزم في أقلّ مواجهة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لبعض أصحابه:

«ألا أخبركم بما لا يقبل الله عزّ وجل من العباد عملاً إلا به؟ قالوا: بلى فقال: شهادة الآله الآله الله وأنّ محمداً عبده، والاقرار بما أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من اعدائنا - يعني الأئمة خاصّة - والتسليم لهم، والورع والاجتهاد والطمأنينة، والانتظار للقائم عليه السّلام. ثم قال: ان لنا دولة يجيء الله بها اذا شاء، ثم قال: من سرّه ان يكون من اصحاب القائم فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الاخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه؛ فجدّوا وانتظروا. هنيئاً لكم ايّتها العصابة المرحومة»^(١).

وبلغ اهتمام الإسلام بتعزيز قدرة المسلمين حدّاً جعل الإمام الصادق يعبر عن ذلك بقوله: «ليعدنّ أحدكم لخروج القائم ولو سهماً»^(٢).

وقد اقتضت مشيئة الله أن يتمّ النصر على أيدي المسلمين، فينطوي بساط الظلم وتستأصل جذور الفساد والكفر، وتعلو راية الإسلام خفاقة في ربوع العالم، ولا يشكّ المرء في ان هكذا ثورة كبرى لا بد أن تسبقها إرهابات ومقدمات تمهّد

(١) الغيبة النعمانية، ص ١٠٦.

(٢) بحار الانوار ج ٥٢، ص ٣٦٦.

لاشتعالها وانتصارها.

كما أكد القرآن الكريم مسألة الاصلاح والصلاح كشرط أساس من شروط الانتصار وتطهير الأرض من الآثام. قال تعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»^(١).

ومن خلال كلّ هذا، كيف يمكن القول بأن المسلمين وهم حملة لواء الثورة العالمية لا يتحمّلون المسؤولية في تهيئة الظروف المناسبة والشروط المطلوبة.

نداء:

أيّها المسلمون الغيارى، لقد ولّى عهد الغفلة فهبّوا من رقادكم واحذروا الفرقة والشنات، والتفّوا حول راية التوحيد الكبرى. لا تستسلموا للشرق ولا للغرب، ولتكونوا في طلائع التقدّم الإنساني، وكونوا قادة في قافلة الحضارة وانهضوا بصرح حضارتكم على أسس الإسلام المتينة.

استلهموا روح القرآن المجيد، وامضوا في دربه.. درب العزّة والكرامة وانبدوا بعيداً أفكار الغرب والشرق، وابنوا شخصيتكم وانتزعوا حرّيتكم، وانهضوا لمحاربة الجهل والتخلّف والجمود والخرافات. وانهلوا من ينابيع الإسلام الصافية حيث الحقائق الإلهية ولتبعثوا اليأس في قلوب المستعمرين، فيولّوا الأدبار عن أرضكم وحدودكم.

ويا أيّها الأعزّاء ان العزّة والعظمة إنّما تختص بالرجال الرجال فاثبتوا شهامتكم

(١) الأنبياء الآية (١٠٥).

وفجّروا ينابيع العلم في أعماق قرآنكم، وقدّموا الى العالم الأمل الذي يتطلّع اليه
وينتظره. قولوا للدنيا ان الإسلام لم يأت لكي ينزوي في جدران المعابد والمساجد،
وإنما جاء يرسم الطريق .. الطريق الى السعادة وأن تعيش البشرية بسلام.
فيا شباب الإسلام الغيارى انهضوا بمسؤوليتكم، وكونوا أنصاراً لله .. أنصاراً
للمهدي الذي سيملاً العالم عدلاً. وقد قال علي (عليه السلام):
«أصحاب المهدي شباب لا كهول فيهم الا مثل كحل العين والملح في الزاد
وأقلّ الزاد الملح»^(١).

قم

ابراهيم الأميني

١٣٨٧ هـ .

البداية

أقامت إحدى الثانويات احتفالاً بمناسبة ذكرى الميلاد السعيد للإمام محمّد المهدي (عليه السلام)، والتي تصادف الخامس عشر من شعبان. وكانت مظاهر الزينة تبعث الفرحة في القلوب. والذي لفت انتباهي ان أكثر الحضور كانوا من الشباب المثقف.

بدأ الاحتفال بتلاوة هادئة لتلميذ صغير كان يترنم بآيات القرآن الكريم. تلاه تلميذ آخر حيث راح يشدو بنشيد جميل يحيي فيه الميلاد المبارك، وأعقبه طالب جامعي كان قد أعدّ خطاباً مؤثراً حول الإمام الذي تنتظره الإنسانية المعذّبة. وفي الختام تقدّم مدير المدرسة السيد نبيه فألقى كلمة الثانوية، وبعدها دُعي الحضور الى تناول الحلوى.

كانت حفلة رائعة وكنتُ أحسّ الفرحة في القلوب لأنّها كانت طافحة فوق الوجوه، خاصّة الشباب منهم. كانت أرواحهم وثّابة، وقلوبهم مفعمة بالأمل، وعيونهم تشعّ بالنور، كما لو أنّهم ينظرون إلى مستقبل مشرق وغدٍ حافل بالخير.

حتى أنني وجدت نفسي أشعر بالأمل .. الأمل بمستقبل المسلمين ، وطفرت الدموع من عيني ، لأن راية كلّ أمة إنما ترفعها أكفّ الشباب ، وصرّح التقدّم إنّما ينهض على أكتافهم ، فباركت من أعماق قلبي هذه الروح وتقدّمت الى لجنة الاحتفال لأشدّ على أيدي أعضائها وأدعو لهم بالتوفيق .

قال شابّ وهو مهندس في العقد الثالث من عمره :

- هل تؤمنون حقّاً بوجود الإمام المهدي أم ان عقيدتكم نابعة من التعصّب ؟
أجاب السيد نبيه :

- أنا لا أوّمن إلاّ عن دليل ، وهذا ما توصلت إليه من خلال البحث والدراسة ، ومع ذلك فأنا مستعدّ للبحث معاً مرّة أخرى .

أجاب المهندس بشوق :

- ان موضوع المهدي ما يزال غامضاً بالنسبة لي ، ولذا فأنا أحبّد البحث فيه .
قال لبيب وهو طبيب تخرّج حديثاً :

- أنا أيضاً أوّد المشاركة في بحث مثير كهذا .

قال الأستاذ نبيه :

- لنتفق على موعد مناسب .

وأخيراً تقرّر أن يكون يوم السبت موعداً للقاء القادم ، وفي منزل المهندس

ليكون بداية للحوار .

الحوار الاوّل

تمّ اللقاء في منزل المهندس ، وتناول الضيوف الشاي على مهل وتبادلوا كلمات الودّ؛ بعدها بدأ الدكتور الحوار قائلاً:

- أوّد أن أبدأ الحوار بهذا السؤال؛ وهو متى دار الحديث حول المهدي؟.. هل كان ذلك في زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) أو بعده؟
لقد كتب البعض بأن المهديّة لم تكن في عهد الرسول وأنها ظهرت في النصف الثاني من القرن الأوّل الهجري، فأعلن بعضهم أنّ محمّد بن الحنفية هو الإمام المهدي، وهو الذي سيملاً الأرض قسطاً وعدلاً.

فلما توفي قالوا: أنّه لم يمت وأشاعوا أنّه ما يزال حيّاً في جبل «رضوى».
قال نبيه: ان الاعتقاد بالمهدي كان موجوداً في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) وقد بشر الرسول بظهوره، بل وأخبر أصحابه باسمه وكنيته، وقد تواترت الأحاديث عنه (صلى الله عليه وآله وسلّم) سواءً لدى الشيعة أو السنة

وهذه أمثلة:

روى ابن مسعود عنه (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تذهب الدنيا حتى يلي أمتي رجل من أهل بيتي يقال له المهدي»^(١).

وعن أبي الحجاج ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «أبشروا بالمهدي (قالها ثلاثاً) يخرج على حين اختلاف من الناس وزلزال شديد، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملأ قلوب عباده عبادة ويسعهم عدله»^(٢).

قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم الحق منا وذلك حين يأذن الله عز وجل له، من تبعه نجا، ومن تخلف عنه هلك، الله الله عباد الله، فأتوه ولو على الثلج، فإنه خليفة الله عز وجل وخليفتي»^(٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني»^(٤).

وقال أيضاً: «لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين (عليه السلام) يملؤها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٥).

(١) بحار الأنوار - الطبعة الثالثة - دار إحياء التراث العربي ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م - ج ٥١ ص ٧٥ - اثبات الهداة ط ١ ج ٧ ص ٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٥ - إثبات الهداة ج ٦ ص ٣٨٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣.

(٥) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٦.

المهدي من عترة النبي

وهناك أحاديث كثيرة في هذا المضمار تدلّ بما لا يدع مجالاً للشكّ على أنّ مسألة المهدي كانت من الأمور المعروفة في زمن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)، حتّى بات المسلمون يؤمنون إيماناً قاطعاً أنّ المهدي سيكون من عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم).

فعن عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قال: «قلت يا رسول الله أمنا آل محمد المهدي أم من غيرنا؟ فقال رسول الله: لا بل منّا، يختم الله به الدين كما فتحه بنا، وبنا ينقذون من الفتن، كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوة الفتنة إخواناً كما ألف بينهم بعد عداوة الشرك إخواناً في دينهم»^(١).

وعن أبي سعيد الخدري عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: «المهدي من عترتي، من أهل بيتي يخرج في آخر الزمان تُنزل له السماء قطرها وتُخرج له الأرض بذرها، فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأها القوم ظلماً وجوراً»^(٢).

وعن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٣).

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيّتي

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٨٤ - اثبات الهداة ج ٧ ص ١٩١ مجمع الزوائد لعليّ بن بكر الهيثمي ج ٧ ص ٣١٧ ط القاهرة.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٤ - اثبات الهداة ج ٧ ص ٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٥.

وشمائله شمائلي وسنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي ويدعوهم إلى كتاب الله عزوجل. مَنْ أطاعه أطاعني وَمَنْ عصاه عصاني وَمَنْ أنكره في غيبته فقد أنكرني ومن كذبه فقد كذّبي وَمَنْ صدّقه فقد صدّقني إلى الله أشكو المكذّبين لي في أمره والجاحدين لقولي في شأنه والمضللين لأمتي عن طريقته وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون»^(١).

وعن أبي أيوب الأنصاري قال:

سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «انا سيّد الانبياء، وعلي سيد الاوصياء، وسبطاي خير الاسباط، ومنا الائمة المعصومون من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الامة، فقام اليه اعرابي فقال: يا رسول الله كم الائمة بعدك؟ قال: عدد الاسباط وحواري عيسى ونقباء بني اسرائيل»^(٢).

وعن حذيفة بن أسيد عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «الأئمة بعدي بعدد نقباء بني اسرائيل تسعة من صلب الحسين ومنا مهدي هذه الأمة. الا أنهم مع الحق والحقّ معهم فانظروا كيف تخلفوني»^(٣).

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان أنّهما قالوا: سمعنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول:

«الأئمة بعدي اثنا عشر تسعة من صلب الحسين، ومنا مهدي هذه الامة. من

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣.

(٢) اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٣١.

(٣) اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٣٣.

تمسك بهم من بعدي فقد تمسك بحبل الله، ومن تخلّى منهم فقد تخلّى من الله»^(١).
وهناك أحاديث كثيرة يمكنك الرجوع إليها في كتب الحديث.

المهدي لدى أهل السنة

قال فهمي: أودّ أن أخبر السيّد نبيه بأني - وكما يعرف الأصدقاء - من أهل السنة، وليست لديّ ثقة في الأحاديث التي يرويها الشيعة، فأنا أظنّ أنّ اخواننا الشيعة ولتعصبهم وإيمانهم بالمهدي قد وضعوا الأحاديث التي تؤيّدونهم ونسبوها إلى سيّدنا محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وإنّ ما ورد من أحاديث حول المهدي لا توجد إلّا في كتب الشيعة، ولا يوجد لها أثر في كتبنا نحن، إلّا بعض الأحاديث وهي في كتب غير معتبرة^(٢).

نبيه: ماذا تقول يا سيّد فهمي وكتب إخواننا أهل السنة تزخر بهذه الأحاديث.. وهناك أبواب مستقلة عن المهدي في كتب الصحاح، وإليك هذه الأمثلة:

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): «لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»^(٣).
وقد ورد هذا الحديث في صحيح الترمذي وقال فيه: هذا حديث صحيح رواه

(١) اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٢٦.

(٢) المهدية في الاسلام لسعد محمّد حسن ط مصر ١٣٧٣ هـ ص ٦٩ مقدّمة ابن خلدون ط مصر ص ٣١١.

(٣) صحيح الترمذي ج ٩ ص ٧٤ - ينابيع المودّة للشيخ سليمان ط عام ١٣٠٨ هـ ج ٢ ص ١٨٠ - كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان تأليف محمّد بن يوسف الشافعي ط النجف ص ٥٧ - كتاب نور الأبصار ص ١٧١ - مشكاة المصابيح ص ٣٧٠.

علي وأبو سعيد وأم سلمة وأبو هريرة.

وروى علي بن أبي طالب (عليه السلام) عن الرسول أنه قال: «لو لم يبق من الدهر إلا يوم واحد لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^(١). وعن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٢).

كما روى أبو سعيد الخدري عن رسول الله قوله ان المهدي يملأ الارض قسطاً وعدلاً وأنه يحكم سبعة اعوام^(٣).

وروى علي بن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: المهدي من أهل البيت يصلحه الله في ليلة^(٤). كما روى أبو سعيد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انه قال: تملأ الارض ظلماً وجوراً ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعة أو تسعاً فيملأ الارض قسطاً وعدلاً^(٥).

(١) صحيح أبي داود ج ٢، كتاب المهدي ص ٢٠٧ - البيان ص ٥٩ - كتاب نور الأبصار تأليف الشبلنجي ص ٥٦ - الصواعق المحرقة لابن حجر ط القاهرة ص ١٦١ - الفصول المهمة لابن صباغ ط النجف ص ٢٧٥ - إسعاف الراغبين لمحمد الصبان.

(٢) صحيح أبي داود ج ٢ كتاب المهدي ص ٢٠٧، وقد أورد في هذا الباب أحد عشر حديثاً - صحيح ابن ماجة باب خروج المهدي ج ٢ ص ٢١٩ - الصواعق المحرقة ص ١٦١ - البيان ص ٦٤ - مشكاة المصابيح لمحمد بن عبدالله الخطيب ط دهلي ص ٣٧٠.

(٣) صحيح أبي داود ج ٢ كتاب المهدي ص ٢٠٨ - الفصول المهمة ص ٢٧٥ - نور الأبصار ط مصر ص ١٧٠ - ينابيع المودة ص ١٦١.

(٤) صحيح ابن ماجة ج ٢ باب خروج المهدي ص ٥١٩ وقد وردت في الصحيح سبعة أحاديث - الصواعق المحرقة ص ١٦١.

(٥) مسند أحمد ج ٣ ص ٢٨ - في باب ما أسند عن أبي سعيد الخدري في أحاديث المهدي - ينابيع المودة

وعنه أيضاً أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ينزل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم. ولم يسمع بلاء أشد منه، حتى تضيق بهم الأرض الرحبة، وحتى تملأ الأرض جوراً وظلماً، لا يجد المؤمن ملجأً يلتجئ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدخر الأرض من بذرها شيئاً إلا أخرجته، ولا السماء من قطرها شيئاً إلا صبّه الله عليهم مدراراً. يعيش فيهم سبع سنين أو تسع، تتمنى الأحياء الأموات لما صنع الله بأهل الأرض من خيره»^(١). وفي هذا المجال أحاديث كثيرة ولكنني أظن أن ما أوردته كافٍ لإثبات ما قلت.

إشكال

فهمني: إن مؤلف كتاب «المهدوية في الإسلام» يقول ما معناه:

إن محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيسابوري لم ينقلا أحاديث المهدي في كتبهما وهي من الصحاح المعتبرة، وتعدّ رواياتهما من الروايات الدقيقة والصحيحة، وإن أحاديث المهدي وردت في كتب أخرى مثل: سنن أبي داود وابن ماجه والترمذي والنسائي ومسنده أحمد، وهي روايات لم يراع فيها الدقة والتثبت، وقد ضعفها ابن خلدون وردّها^(٢).

= ج ٢ ص ٢٢٧.

(١) البيان ص ٧٢ - الصواعق المحرقة ص ١٦١ - ينابيع المودة ج ٢ ص ١١٧.

(٢) المهدية في الإسلام ص ٦٩.

ابن خلدون وأحاديث المهدي

نبيه: لكي نسلط الضوء على هذا الموضوع أنقل خلاصة كلام ابن خلدون في مقدمته يقول: «اعلم أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار أنّه لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من "أهل البيت" يؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويحتجون بهذا الشأن بأحاديث خرّجها الأئمة، وتكلّم فيها المنكرون لذلك، وربّما عارضوها ببعض الأخبار. وللمتصوفة المتأخرين في أمر هذا الفاطمي طريقة أخرى في الاستدلال، وربما يعتمدون في ذلك على الكشف الذي هو أصل طرائقهم، ونحن الآن نذكر هنا الأحاديث الواردة في هذا الشأن وما للمنكرين فيها من المطاعن وما لهم في إنكارها من الأدلّة، ثم نتبعه بذكر كلام المتصوّفة ورأيهم ليتبيّن لك الصحيح من ذلك إن شاء الله. الآن المعروف عند أهل الحديث ان الجرح مقدّم على التعديل، فإذا وجدنا طعنًا في بعض رجال الأسانيد بغفلة أو بسوء حفظ أو ضعف أو سوء رأي تطرق ذلك إلى صحة الحديث، ولا يتطرّق مثل ذلك إلى رجال الصحيحين، فإنّ الاجماع قد اتّصل في الأمة على تلقيهما بالقبول، والعمل بما فيهما، وفي الإجماع أعظم حماية وأحسن دفع، وليس غير الصحيحين بمثابتهما في ذلك^(١).

وهذه خلاصة رأي ابن خلدون في الأحاديث، حيث وثّق بعضهم وضعّف البعض الآخر.

(١) مقدّمة ابن خلدون ص ٣١١.

تواتر الأحاديث

وجوابنا هو: أنّ الكثير من علماء أهل السنّة قد أقرّوا بتواتر أحاديث المهدي، أو أنّهم نقلوا ذلك التواتر دون اعتراض، ومثال ذلك: ابن حجر الهيتمي في كتابه «الصواعق المحرقة» والشبلنجي في «نور الأبصار»، والكننجي الشافعي في «البيان»، والشيخ منصور علي في «غاية المأمول»، والسويدي في «سبائك الذهب»، وجمع آخر. وهذا التواتر في النقل يعزّز قوّة الأحاديث في مقابل الضعف الذي يعتور بعض الأسانيد، كما اشار الى ذلك العسقلاني^(١).

كما ذكر السيّد أحمد شيخ الإسلام ومفتي الشافعية ان احاديث المهدي كثيرة ومتواترة وانها تشتمل على الصحيح والحسن والضعيف؛ وأكثرها ضعيفة، غير أن بعضها يعضد بعضاً ورواتها كثيرون، ولهذا فهي تفيد اليقين^(٢).

وخلاصة القول أنّ عدّة من كبار صحابة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) قد رووا أحاديث المهدي؛ وهم: عبدالرحمن بن عوف، أبو سعيد الخدري، قيس بن جابر، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وعليّ بن أبي طالب، وأبو هريرة، وشوبان، وسلمان الفارسي، وأبو امامة، وحذيفة، وأنس بن مالك، وأم سلمة وآخرون.

وقد وردت هذه الأحاديث في كتب أهل السنّة ومحدّثيهم كأبي داود، والترمذي وابن ماجه، والحاكم، والنسائي، والطبراني والرويانى، وأبي نعيم

(١) نزّهة النظر لأحمد بن حجر العسقلاني - ط كراچي ص ١٢.

(٢) الفتوحات الاسلامية ط مكة ج ٢ ص ٢٥٠.

الاصفهانى، والديلمى والبيهقى، والثعلبى، والحموينى، والمناوى، وابن المغازلى، وابن الجوزى، ومحمد الصبان، والماوردي، والكنجى الشافعى، والسمعانى، والخوارزمى، والشعرانى، والدارقطنى وابن صباغ المالكى، والشبلنجى، ومحب الدين الطبرى، وابن حجر الهيئى، والشيخ منصور على ناصف، ومحمد بن طلحة وجلال الدين السيوطى، والشيخ سليمان الحنفى، والقرطبى والبغوى، وآخرين^(١).

الجرح ليس مقدماً على كل حال

هذا أولاً، وثانياً إنَّ أغلب من ورد التضعيف بشأنهم وأوردتهم ابن خلدون، كان لهم من يعدّ لهم. وقد ذكر ابن خلدون بعضهم أيضاً. ومن الخطأ أن نعمّم، وبشكل مطلق، نظرية تقديم الجرح على التعديل. فهناك حالات قد تكون لدى البعض عوامل للجرح في حين لا تكون للبعض الآخر مثل ذلك، وعليه ينبغي الإشارة إلى أسباب التجريح وذكر دليل الجرح.

يقول العسقلانى في مقدّمة كتابه «لسان الميزان»، نقلاً عن الخطيب: «اتفق أهل العلم على أنّ من جرّحه الواحد والاثنان وعدّله مثل عدد من جرّحه فإنّ الجرح أولى، والعلة في ذلك ان الجارح يخبر عن أمر باطن قد علمه ويصدق العدل ويقول: قد علمت من حاله الظاهر ما علمت أنت وتفردت بعلم ما لم تعلمه من اختيار أمره. وإخبار المعدل عن العدالة الظاهرة لا ينفي قول الجارح فيما أخبر به،

(١) هذه مجموعة من علماء أهل السنة الذين أوردوا أحاديث المهدي في كتبهم وكانت معتمدة جميعاً وهي ليست في متناول اليد كما لا يخفى. وأشار هنا إلى ان السيد مهدي الخراساني قد سجل أسماء «٧٢» عالماً من علماء السنة في مقدمته على كتاب «البيان» طبعة النجف الأشرف.

فوجب بذلك أن يكون الجرح أولى من التعديل. قال : فاذا عدل جماعة رجلاً وجرحه أقل عدداً من المعدلين فإن الحكم للمعدلين، فان الذي عليه الجمهور من العلماء أن الحكم للجرح والعمل به أولى ، وقالت طائفة: الحكم للعدالة وهو خطأ. قلت بل الصواب التفصيل فان الجرح والحالة هذه ان كان أصلاً قُبِلَ وإلا عُمِلَ بالتعديل»^(١).

وبناء على هذا فإن تقديم الجرح على التعديل في كل المواطن سوف يقوِّض جميع الاحاديث الا النزر القليل، ممّا يتطلب البحث الدقيق من اجل اكتشاف الحقيقة.

الجرح بتهمة التشيع

عُدَّ التشيع لأهل البيت (عليهم السلام) من أسباب الضعف لدى الرواة، فقد ردّ ابن خلدون على قطن بن خليفة وهو من رواة حديث المهدي بسبب تشيعه، لاغير. قال ابن خلدون:

وقطن بن خليفة وإن وثقه أحمد ويحيى بن القطان وابن معين والنسائي وغيرهم، الا ان العجايي قال : حسن الحديث وفيه تشيع قليل . وقال ابن معين مرّة: ثقة شيعي . وقال احمد بن عبد الله بن يونس: كنا نمّر على قطن وهو مطروح لا نكتب عنه، وقال مرّة: كنت امرّ به وأدعه مثل الكلب. وقال أبو بكر بن عياش: ما تركت الرواية عنه الا لسوء مذهبه^(٢).

(١) لسان الميزان ج ١ ص ١٥ ط ١ منشورات مؤسسة الأعلمي بيروت.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٣١٣.

وقال ابن خلدون في سارون: وكان من رجال الحديث، الا انه من اولاد الشيعة^(١).

كما ضعّف بعضهم يزيد بن زياد وهو من رواة الحديث لا لشيء الا تشييعه^(٢).
وقال في عمّار الذهبي: وهو وإن وثقه احمد وابن معين وأبو حاتم النسائي وغيرهم فقد قال علي بن المدني عن سفيان ان بشر بن مروان قطع عرقويه. قلت في أي شيء؟ قال: في التشيع^(٣).

وقال في عبد الرزاق بن همّام: وكان مشهوراً بالتشيع^(٤).

اختلاف الرأي

من العوامل التي كانت مبرّراً في تضعيف الرواة وكَيْل التّهم هو الاختلاف في الرأي والعقيدة، فلقد كان لهذا السبب دور كبير في اتهام الكثير من الصالحين وحجب الثقة عنهم، كفتنة خلق القرآن التي أثّرت آنذاك، حيث ثار الجدل حول مسألة كون القرآن قديماً أم مخلوقاً؟ فقد اعتقد البعض بقدّم القرآن واعتقد آخرون بأنّ القرآن حديث ومخلوق، واحتدم الصراع بين الفريقين حتّى عدّه بعض المعاصرين محنة.

فقد ضعّف، بل كُفّر عدد كبير من رواة الحديث بسبب رأيهم حول مسألة خلق

(١) المصدر السابق ص ٣١٤.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٨.

(٣) المصدر السابق ص ١١٩.

(٤) مقدمة ابن خلدون ص ٣٢٠.

القرآن .

يقول مؤلف «أضواء على السنة المحمدية»^(١):

... فمن أرادوا تنزيهه أو مدحه قالوا: من قال القرآن مخلوق فهو كافر. ذكروا

هذا في جماعة منهم ابن لهيعة وغيره. بل قالوا: ترك المحاسبي ميراث ابيه وقال:

أهل ملتين لا يتوارثان لأن أباه كان واقفياً أي أنه لم يبد رأياً في هذه المسألة.

وقال العجلي في عمر بن سعد بن ابي وقاص: تابعي وثقة روى عنه الناس،

وهو الذي باشر قتل الحسين. فقل لي اي جرح في الدين اكبر من هذا^(٢).

وقيل له في سعيد بن خالد البجلي حين وثقه (شيعي). قال: وشيعي ثقة،

وقدري ثقة.

وقال العجلي كذلك في عمران بن حطان ثقة وهو خارجي مدح ابن ملجم

لعنه الله بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها الا ليلبغ من ذي العرش رضوانا^(٣)

«فانظر عمّن رضي بقتل علي وعمّن قتل طلحة، وعمّن قتل الحسين وتوثيقه

لهم، واما علماء الامّة وحفاظها كحماد بن سلمة الامام، مكحول العالم الزاهد

فتجنبهم مثل البخاري ومسلم أيضاً»^(٤)

«ومنهم من يطلق! ويا عجباه من قلّة الحياء في ادعاء الاجتهاد لبسر بن

(١) أضواء على السنة المحمدية / محمود أبو رية ط ١ ص ٣١٦.

(٢) المصدر السابق ص ٣١٩.

(٣) المصدر السابق ص ٣٢١.

(٤) المصدر السابق ص ٣١١٧.

ارطاة. وقد نقل الحافظ بن حجر في الاصابة ان معاوية وجّه بسر بن ارطاة الى اليمن والحجاز وأمره ان ينظر من كان في طاعة علي فيوقع بهم ويقتلهم، وهو الذي قتل طفلين لعبيد الله بن عباس». (١)

ويأتي التعصّب ليكون اساساً في رفض رواة دون آخرين فقد رفض جرير الرواية عن جابر الجعفي مثلاً لأنّ الاخير يقول بالرجعة (٢).

التعصّب

التعصّب لا ينسجم مع التحقيق، والباحث لا يكون مغرضاً، وعلى من يخوض غمار البحث أن يتخلّى عن روح التعصّب العمياء وأن يتحلّى بالموضوعية، وأن يكون محايداً تماماً، فإن أراد البحث في موضوع له صلة بحديث ما، فعليه أن يتحقق من رواته وأسانيده ومدى ثقتهم، ولا فرق لديه في كونهم سنّة أم شيعة. ومن الظلم ردّ الأحاديث لا لشيء إلا لكون رواتها من الشيعة، وهذا ما نشاهده جلياً لدى البعض من إخواننا أهل السنّة. على أن هناك من التفت إلى هذه الظلامة والتعصّب الذي لا معنى له، فقد ذكر العسقلاني في هذا الصدد:

انه ينبغي التأمل في بعض موارد التضعيف، والوقوف عند المضعّف أو المضعّف، فهناك اختلاف في المذهب والعداوة، فمثلاً كان ابو اسحاق الجوزجاني وهو ناصبي يتحامل على أهل الكوفة ولا يتردد في تضعيفهم لتشيعهم، وفيهم

(١) المصدر السابق ص ٣١٩.

(٢) صحيح مسلم ج ١ ص ١٠١.

الاعمش وأبو نعيم وعبيد الله بن موسى وهم من اساطين وأركان الحديث^(١).
ويقسّم محمد بن أحمد بن عثمان (البدعة) الى قسمين وهو يتحدث عن أبان بن تغلب، ويبرر توثيقه بذلك فهو يتحدث عن شكلين للبدعة صغيرة وكبيرة، والصغيرة في رأيه التشيع وهي مستشرية لدى أكثر التابعين مع تقواهم وورعهم، فلو ردّت روايتهم فإن ذلك سيؤدي الى ردّ كثير من احاديث النبي، ولا يخفى ما في ذلك من فساد، وهناك البدعة الكبرى مثل الرفض التام والطعن في الخليفين الأول والثاني، وفي هذه الحالة يتوجب ردّ رواية من يعرف بذلك من أهل الحديث^(٢).
وخلاصة القول أنّ على من يريد التحقيق والبحث عن الحقيقة أن يكون منهجه في ذلك سليماً وان لا يلتفت إلى بعض التجريحات، ولينظر في أدلّة المجرّح حتى لا يكون هناك ظلم لبعض الرواة بسبب عقائدهم لا غير.

صحيحاً مسلم والبخاري

فإذا لم يرد لحديث ما ذكر في صحيح مسلم أو صحيح البخاري فلا يعدّ هذا دليلاً على ضعف في الرواية.
وقد أشار الدارقطني الى وجود أحاديث لم ينقلها مسلم والبخاري في صحيحهما بالرغم من أن سندها كأسناد الأحاديث التي رووها.
فقد وجد البيهقي كلّاً من مسلم والبخاري عدم استيفائهما للاحاديث، فهناك احاديث لدى البخاري لا توجد لدى مسلم، ولدى مسلم ما لا يوجد في

(١) لسان الميزان ج ١ ص ١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ط: دار الكتب العربية ج ١ ص ٥.

البخاري^(١)، بالرغم من ادعاء مسلم أنه لم يثبت سوى الأحاديث الصحيحة .
وقد أشار أبو الصباح ونقل عن أبي داود قوله بأنه لم يذكر في سننه إلاّ
الأحاديث الصحيحة أو شبه الصحيحة، فإذا كان في الرواية ضعف تبّه عليه، وما
سكت عنه حتى لو لم يرد في سننه فهو معتبر لا يجوز إهماله .
فيما يذكر الخطابي سنن أبي داود ويعده فريداً في التصنيف وفي إجماع
المسلمين عليه وتأييد الفقهاء له في العراق والمغرب ومصر ومناطق أخرى^(٢) .
وإذن فلا يوجد امتياز للأحاديث التي وردت في صحيحي مسلم والبخاري
على غيرها من كتب الصحاح . كما أن صحيحي مسلم والبخاري اللذين تعترفون
بدقتهما، لا يخلوان تماماً من أحاديث المهدي وإن لم يرد اللفظ صريحاً . فمثلاً نجد
هذا الحديث: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»^(٣) .

إشارة

ومن الضروري جداً الإشارة إلى أنّ القول بأن ابن خلدون قد ردّ الأحاديث
المتعلّقة بالمهدي هو أمر يجانب الحقيقة . فلقد أكّد هذا المؤرّخ الكبير في صدر
حديثه أولاً على «أنّ المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مرّ الأعصار أنّه
لا بدّ في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيّد الدين ويظهر العدل» .

(١) صحيح مسلم ج ١ ص ٢٤ .

(٢) مقدمة سنن أبي داود بقلم الساعاتي .

(٣) صحيح مسلم ج ٢ باب نزل عيسى ، صحيح البخاري ج ٤ كتاب بدء الخلق باب نزول عيسى .

وهذه الإشارة تؤكد بما لا يقبل الشك شيوع هذه العقيدة بين المسلمين .
 وثانياً: وبعد التطرّق الى الجرح والتعديل في الرواة فإنه يذيل بحثه قائلاً:
 «فهذه جملة الأحاديث التي خرّجها الأئمة في شأن المهدي وخروجه آخر
 الزمان، وهي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه»^(١).
 وابن خلدون كما هو واضح هنا لا يردّ أحاديث المهدي جملة وتفصيلاً، فضلاً
 عن إقراره بصحة بعضها ولو كان يسيراً.
 وثالثاً: ان الأحاديث التي تعرّض لها ابن خلدون لا تشمل كلّ الأحاديث
 المتعلقة بظهور المهدي، فهناك حشد هائل من الأحاديث التي لم يطلع عليها ابن
 خلدون، ولو كانت في متناول يده لكان له رأي آخر، فهي من قوّة السند بحيث
 تجعله لا يتردّد في قبولها وأنها تستقي من ينبوع الوحي .
 ومن هنا، فإن من التعسف أن يقول بعض الكتّاب ان ابن خلدون قد ردّ
 أحاديث المهدي. وهؤلاء الكتّاب أشبه ما يكونون بالإناء عندما يكون أسخن من
 الحساء الذي فيه!

مع ابن خلدون مرّة أخرى

ويختم ابن خلدون بحثه قائلاً: «والحق الذي ينبغي أن يتقرّر لديك أنه لا تتمّ
 دعوة من الدين والملك إلا بوجود شوكة عصبية تظهره وتدافع عنه من يدفعه حتى
 يتمّ أمر الله فيه، وقد قررنا ذلك من قبل بالبراهين القطعية التي أريناك هناك.

وعصية الفاطميين بل وقريش أجمع قد تلاشت من جميع الآفاق، ووجدت أمم أخرى قد استعملت عصبيتهم على عصية قريش إلا ما بقي بالحجاز في مكة وينبع بالمدينة من الطالبين من بني الحسن وبني الحسين وبني جعفر، وهم منتشرون في تلك البلاد، وغالبون عليها، وهم عصاب بدوية متفرقون في مواطنهم وإماراتهم وآرائهم، يبلغون الآفاً من الكثرة، فإن صحّ ظهور هذا المهدي فلا وجه لظهور دعوته إلا بأن يكون منهم، ويؤلف الله بين قلوبهم في اتّباعه، حتى تتم له شوكة وعصية وافية بإظهار كلمته وحمل الناس عليها، وأمّا على غير هذا الوجه مثل أن يدعو فاطمي منهم إلى مثل هذا الأمر في أفق من الآفاق من غير عصية ولا شوكة إلا مجرد نسبة لأهل البيت فلا يتم ذلك ولا يمكن، لما أسلفنا من البراهين الصحيحة»^(١).

الجواب:

وللإجابة يمكن القول: إن من يريد القيام بثورة وتشكيل حكومة، سوف يحالفه النصر إذا ما التف حوله أنصار ومؤيدون يدافعون عنه ويبذلون الغالي والرخيص من أجله حتى تحقيق الهدف المنشود، وهذه الشروط تنسحب على مسألة المهدي أيضاً وثورته العالمية. ومن الخطأ أن نحصر أنصاره بالعلويين فقط، إلا إذا كان هدفه قومياً أو عرقياً أو طائفيّاً فإنّ فئة محدودة سوف تؤيده، ذلك أنّ أيّ حكم ينهض على قاعدة ما، فإنّ أنصاره يتألفون من الذين يدينون بالولاء لتلك

القاعدة، كما نلاحظ هذا في تاريخ الملوك والحكومات.

اما اذا كان الهدف عالمياً، فهو يشمل البشرية بأسرها، كما هو الحال في المهدي الذي سيظهر من أجل تطهير الأرض من الفساد، وتحرير البشر من الاستعباد والظلم، ويكون الدين كله لله، حيث لا فرق بين أسود وأبيض أو عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

ومن هنا فإن ثورة عالمية كثورة المهدي لا يمكن أن ينهض بها جمع من العلويين في الحجاز أو المدينة، انطلاقاً من التعصب القومي؛ إنها حركة عالمية يلزمها استعداد عالمي بنفس المستوى.

وإن النصر سيكون حليف الرجال الذين سيؤمنون به وبأهدافه السامية ويدافعون عنه وعنهما حتى النفس الأخير غير غافلين عن نصر الله الذي يهبه عباده المؤمنين. ومتى وُجد القائد المعصوم والأمة المؤمنة فإن نصر الله سيتحقق، وسيتحقق حلم البشرية في إقامة حكومة العدل الإلهي.

الاعتقاد بالمهدي كان بديهياً

تواترت الأحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) حول ظهور المهدي ونقلها السنة والشيعه في كتبهم. ومن خلال التدقيق يتضح لكل ذي لب أن موضوع المهدي كان من المسائل المسلم بها في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان المسلمون ينتظرون ظهور رجل يقيم العدل ويمحق الظلم ويصلح شأن العالم، ولهذا لم يكونوا يتساءلون عن أصل الموضوع، وكانت أحاديثهم تدور حول مسائل فرعية، عن أصله ونسبه، عن اسمه وكنيته، وعن صفاته وخصاله، وعن موعد

ظهوره وهل هو شخص واحد أم شخصان، ويبحثون في سبب غيبته، وما ينبغي عمله أثناء غيابه.

وكان رسول الله لا يفتأ يردّد في كلّ مناسبة أن المهدي من أهل بيتي من ولد فاطمة والحسين، ويصرّح باسمه وكنيته ويذكر علاماته.

في عهد الصحابة والتابعين

وعندما انتقل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الرفيق الأعلى، ظلّت قضية المهدي أمراً مفروغاً عنه بين كبار الصحابة والتابعين يتحدّثون عنها ويبشرون بها.

ذكر أبو هريرة أن المهدي يبايع بين الركن والمقام^(١).

وقال ابن عباس وهو عند معاوية: يبعث الله منا أهل البيت المهدي^(٢).

وقال أبو معبد مولى ابن عباس: وافيت ابن عباس يوماً فقلت يا ابن عباس

حدثني عن المهدي قال: اني لأرجو ان لا تنقضي الليالي والايام حتى يبعث الله منا

اهل البيت غلاماً شاباً أو قال فتىً شاباً، يلبس الفتن ولم تلبسه، فيقيم أمر الله^(٣).

وذكر ابن عباس: أن المهدي من قريش ومن ولد فاطمة^(٤).

وقال عمّار بن ياسر: اذا قتل النفس الزكية ينادي مناد في السماء: اميركم فلان

(١) الملاحم والفتن لابن طاووس ص ٦٣.

(٢) المصدر السابق ص ٨٤.

(٣) الملاحم والفتن ص ١٧٨.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٥.

وذلك المهدي الذي يملأ الارض حقاً وعدلاً^(١).

وذكر عبدالله بن عمر المهديّ فقال اعرابي: هو معاوية بن ابي سفيان. فقال عبدالله بن عمر: لا ولا كرامة. بل هو الذي ينزل عليه عيسى ابن مريم^(٢). وقال عمر بن قيس: قلت لمجاهد: عندك في شأن المهدي شيء، فإن هؤلاء الشيعة لا تصدقهم؟ قال: نعم عندي فيه شيء مثبت، حدثني رجل من اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ان المهدي لا يخرج حتى تقتل النفس الزكية فاذا قتلت النفس الزكية غضب عليهم من في السماء ومن في الارض فيأتي الناس المهدي فيملأ الارض قسطاً وعدلاً^(٣).

وقالت عميرة بنت نفيل سمعت بنت الحسن بن علي تقول: لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض، ويلعن بعضكم بعضاً، ويتفل بعضكم في وجه بعض وحتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض^(٤).

وذكر أبو الفرج الاصفهاني في كتابه مقاتل الطالبين: ان فاطمة بنت الحسين كانت تقبل نساء بنيتها واهل بيتها حتى قال لها بنوها: خشينا ان نسمى بني القابلة. فقالت: انا لي طلبة لو ظفرت بها لتركت ما ترون^(٥).

وسأل قتادة ابن المسيب: المهدي حق؟ فأجاب: أجل، هو من قريش ومن

(١) المصدر السابق ص ٦١.

(٢) المصدر السابق ص ١٦٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٧١.

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١١.

(٥) مقاتل الطالبين لأبي فرج ط النجف ١٣٨٥ ص ١٦٠.

ولد فاطمة^(١).

وكان طاووس يتمنى ان يمتد به العمر حتى يدرك المهدي^(٢).

ويقول الزهري: المهدي من ولد فاطمة^(٣).

وكتب أبو الفرج: حدثنا الوليد بن محمد الموقري قال: كنت مع الزهري

بالرصافة فسمع اصوات لعابين. فقال لي: يا وليد انظر ما هذا. فأشرفت من كوة في

بيته، فقلت: هذا رأس زيد بن علي. فاستوى جالساً ثم قال: أهلك هذا البيت

العجلة. فقلت: أو يملكون؟ قال حدثني علي بن الحسين عن ابيه عن فاطمة ان

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: المهدي من ولدك^(٤)).

كما روى أبو الفرج عن مسلم بن قتيبة قوله:

ارسل اليّ أبو جعفر فدخلت عليه فقال: قد خرج محمد بن عبد الله وتسمى

بالمهدي، ووالله ما هو به، واخرى اقولها لك لم اقلها لأحد قبلك ولا اقولها لأحد

بعدك؛ وابني والله ما هو بالمهدي الذي جاءت به الرواية، ولكنني تيمنت به

وتفاءلت به^(٥).

ويذكر ابن سيرين ان المهدي الموعود من هذه الأمة وأن عيسى بن مريم

يصلّي خلفه^(٦).

(١) الملاحم والفتن ص ١٧٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥٤.

(٣) المصدر السابق ص ٦٩.

(٤) مقاتل الطالبين ص ٩٧.

(٥) المصدر السابق ص ١٦٧.

(٦) الحاوي للفتاوي ج ٢ ص ١٣٥.

وقال عبدالله بن الحارث: ان المهدي ينهض بالامر وهو في الاربعين من عمره^(١).

ويعلل كعب تسمية المهدي بأنه يهدي الى ما خفى من الأمور^(٢).

وعند عبدالله بن شريك: ان راية رسول الله لدى المهدي^(٣).

وذكر طاووس: من علاماته شدّته مع الولاة وبذله للأموال ورحمته بالمحرومين^(٤).

وقال الزهري: المهدي من ولد فاطمة^(٥).

ويروي الحكم بن عيينة: انه سأل محمد بن علي عن رجل من أهل البيت يخرج فيملاً الارض قسطاً وعدلاً، فأيد ذلك^(٦).

وروى سلمة بن زفر انه ذكر المهدي عند حذيفة فقال: لا يظهر حتى تمتلئ الأرض بالجور^(٧).

وأنشد جرير شعراً عند عمر بن عبدالعزيز قائلاً:

أنت المبارك والمهدي سيرته تعصي الهوى وتقوم الليل بالسور^(٨)

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٧.

(٢) الحاوي ج ٢ ص ١٥٠.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ١٥٠.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٠.

(٥) المصدر السابق ص ١٥٥.

(٦) المصدر السابق ص ١٥٩.

(٧) المصدر السابق ص ١٥٩.

(٨) الامامة والسياسة لابن قتيبة ط ٣ ج ٢ ص ١١٧.

وكانت أم كلثوم بنت وهب تقول: كان يوجد في الرواية انه يملك رجل اسمه اسم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

وقال محمد بن جعفر: شكوت الي مالك بن أنس ما نحن فيه وما نلقى، فقال: اصبر حتى يجيء تأويل هذه الآية (ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) (٢).

وقال فضيل بن الزبير: سمعت زيد بن علي يقول: هذا المنتظر من ولد الحسين ابن علي في ذرية الحسين وفي عقب الحسين (٣).

وقال محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى: والله لا يكون المهدي ابداً الا من ولد الحسين (٤).

الانتظار

تغلغل الاعتقاد بالمهدي في أذهان المسلمين حتى باتوا يعدّون الأيام لظهوره، وكان لا يراودهم شكّ في انتصاره وإقامة دولة الحقّ، وكان الاعتقاد يترسّخ كلما اشتدّ الظلم، والانتظار يشتدّ كلما سادت الفوضى وعمّ الفساد والانحراف، حتى كانوا من وطأة الحوادث المريرة يرون المهدي في بعض الأفراد والشخصيات التي تنتسب إلى آل البيت (عليهم السلام) أملاً في الخلاص.

(١) مقاتل الطالبين ط ٢ ص ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥٩.

(٣) كتاب الغيبة للشيخ الطوسي ص ٢ ص ١١٥.

(٤) المصدر السابق ص ١١٥.

محمد بن الحنفية

فقد اعتقد كثير من المسلمين في أن يكون محمد بن الحنفية هو المهدي الذي بشر به النبي انطلاقاً من تشابه الإسم والكنية .

وذكر الطبري في تاريخه أن المختار ادعى المهديّة لمحمد بن الحنفية من أجل الاقتصاص والانتقام من قتلة الحسين^(١) فأعلن أن محمد بن الحنفية هو المهدي، فيما نسب إلى نفسه الوزارة .

وروى محمد بن سعد عن أبي حمزة قال: كانوا يسلمون على محمد بن علي: سلام عليك يا مهدي. فقال: أجل أنا مهدي أهدي إلى الرشيد والخير، اسمي اسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله، فإذا سلم أحدكم فليقل: سلام عليك يا محمد، السلام عليك يا أبا القاسم^(٢).

ويستفاد من هذه الرواية ومثيلاتها أن المهدي يحمل اسم النبي وأنه يكنى بكنيته، وأن محمد بن الحنفية يشير إلى الاسم والكنية. على أن البحث والتدقيق في التاريخ ليثبتان أن محمد بن الحنفية لم يدعي المهديّة أبداً، وكان يلتزم الصمت كلما سئل عن ذلك، وربما كان يأمل من وراء سكوته هذا، الثأر لشهداء الطف في عاشوراء .

ذكر محمد بن سعد: ألا إن لأهل الحق دولة يأتي بها الله إذا شاء، فمن أدرك

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٤٩ ، ٤٩٤ .

(٢) الطبقات الكبرى، ج ٥ القسم الأول ص ٦٦ .

ذلك منكم ومنا كان عندنا في السنام الأعلى، ومن يمت فما عند الله خير وأبقى^(١).
وقد خطب محمد بن الحنفية في سبعة آلاف من أصحابه فقال:
الله ولي الامور كلها وحاكمها. ماشاء الله كان وما لا يشاء لم يكن، كل ما هو
أت قريب، عجلتم بالامر قبل نزوله، والذي نفسي بيده ان في اصلابكم لمن يقاتل
مع آل محمد. ما يخفى على أهل الشرك أمر آل محمد، وأمر آل محمد متأخر،
والذي نفس محمد بيده ليعودون فيكم كما بدأ^(٢).

محمد بن عبدالله بن الحسن

اعتقد جمع كثير من المسلمين في أن محمد بن عبدالله بن الحسن هو المهدي
الذي بشر به النبيّ.
يقول أبو الفرج الاصفهاني: لهجت العوام لمحمد تسمية المهدي حتى كان يقال
محمد بن عبد الله المهدي^(٣).
وقال أيضاً: وكان أهل بيته يسمونه المهدي ويقدرّون انه الذي جاءت فيه
الرواية، وكان علماء آل أبي طالب يرون فيه أنه النفس الزكية، وأنه المقتول
بأحجار الزيت^(٤).
وقال أيضاً: حدثني مولىّ لأبي جعفر (المنصور) قال: أرسلني أبو جعفر،

(١) المصدر السابق ج ٧ القسم الأول ص ٧١.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ القسم الأول ص ٨٠.

(٣) مقاتل الطالبين ص ١٦٥.

(٤) المصدر السابق ص ١٥٧.

فقال: اجلس عند المنبر فاسمع ما يقول محمد. فسمعتة يقول: انكم لا تشكّون اني انا المهدي، وأنا هو فاختر ذلك أبا جعفر، فقال: كذب عدو الله، بل هو ابني^(١).

وأشد سلمة بن أسلم شعراً في محمد هذا قائلاً:

أنا لندرجو أن يكون محمد
به يصلح الإسلام بعد فساده
وإماماً به يحيا الكتاب المنزل
ويحيا يتيم بائس ومعول
ويملاً عدلاً أرضنا بعد ملئها
ضلالاً ويأتينا الذي كنت آمل^(٢)

وكتب أبو الفرج الاصفهاني يقول: كان ابن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم غير مدافع. وكان له حلقة في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يفتي فيها الناس ويحدّثهم. فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن خرج معه، فلما قتل محمد وولي جعفر بن سليمان المدينة، بعث الى ابن عجلان فأتى به فسكت فقال له: اخرجت مع الكذاب؟ وأمر بقطع يده، فلم يتكلم ابن عجلان بكلمة الا انه كان يحرك شفّته بشيء لا يدري ماهو، فظن انه يدعو، فقام من حضر من فقهاء المدينة وأشرفها فقالوا له (الوالي): أصلح الله الامير (ان) ابن عجلان فقيه أهل المدينة وعابدهم وانما شبه عليه وظن انه المهدي الذي جاءت فيه الرواية^(٣).

وذكر في موضع آخر:

قال الواقدي: حدثني ابن أبي الزيات انه ما مات قاضي المدينة ولا عزل الا ظنوا ان عبد الله بن جعفر يتولى مكانه لكمال علمه ومروءته وفضله فمات وما ولي

(١) المصدر السابق ص ١٦٢.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٦٤.

(٣) المصدر السابق ص ١٩٣.

القضاء، ولا قعد به عن ذلك الا خروجه اليهم مع محمد. فلما قتل محمد تواري فلم يزل في تواريه حتى استؤمن له فأومن.

ولما دخل الي جعفر بن سليمان قال له: ما حملك على الخروج مع محمد على ما أنت عليه من العلم والفقه؟

فقال: ما خرجت معه وأنا اشك في أنه المهدي، لما روي لنا في أمره فما زلت أرى انه هو حتى رأيت مقتولاً، ولا اغتررت بأحد بعده^(١).

ويستفاد من هذه النصوص ان موضوع المهدي كان من المواضيع البديهية المتعارف عليها في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والصحابة والتابعين ولهذا فقد كان البسطاء والمظلومون والذين ليست لديهم صورة واضحة عن علامات المهدي يعتقدون في شخص ما بأنه المهدي الموعود.

ذكر أبو الفرج:

قال رجل لعبد الله بن الحسن: متى يخرج محمد؟ قال: لا يخرج حتى أموت وهو مقتول. قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، هلكت والله الأمة. قال: كلاً. قلت: فإبراهيم؟ قال: ليس بخارج حتى أموت وهو مقتول. قلت: انا لله هلكت والله الأمة. قال: فاذا متّ خرجاً جميعاً فلا يلبثا الا وهما مقتولان. قلت انا لله هلكت الأمة. قال: كلاً، فان صاحبهم منا غلام شاب ابن خمس وعشرين سنة يقتلهم تحت كل حجر أو تحت كل كوكب^(٢).

كما ذكر أيضاً:

(١) المصدر السابق ص ١٩٥.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٦٦.

عن العباس الفلسطيني قال: قلت لمروان بن محمد: جد محمد بن عبد الله فانه يدعي هذا الامر ويتسمى بالمهدي، فقال: مالي وله، ما هو به ولا من ابيه^(١).
وأيضاً:

كان جعفر بن محمد (الصادق) اذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن تغرغرت عيناه ثم يقول: بنفسى هو ان الناس ليقولون فيه انه المهدي وانه لمقتول. ليس هذا في كتاب ابيه علي من خلفاء هذه الامّة^(٢).

وكان محمّد بن عبد الله في جمع من الناس إذ دخل جعفر بن محمّد الصادق فأوسع له عبد الله بن الحسن الى جنبه فتكلم بمثل كلامه فقال جعفر: لا تفعلوا فان هذا الامر لم يأت بعد؛ إن كنت ترى - يعني عبد الله - ان ابنك هذا هو المهدي فليس به ولا هذا أو انه^(٣).

دعبل والمهدي

لَمَّا أَنشَدَ دَعْبِلُ الْخَزَاعِيُّ قَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ فِي حَضْرَةِ الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا كل حق و باطل ويحزي عن النعماء والنقمة
بكى الرضا بكاءً شديداً ثم قال: يا دعبل نطق روح القدس بلسانك. أتعرف

(١) المصدر السابق ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٢.

(٣) مقاتل الطالبين ص ١٤١.

من هذا الامام؟ قلت: لا، إلا اني سمعت خروج امام منكم يملأ الارض قسطاً وعدلاً فقال: ان الامام بعدي محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجة القائم وهو المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره فيملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، وأما متى يقوم فأخبار عن الوقت، لقد حدثني ابي عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم الا بغتة^(١).

وهذه الشواهد التاريخية تؤكد بما لا يقبل الشكّ رسوخ هذه العقيدة، فإذا طلبت المزيد فيمكنك أن تراجع كتب التاريخ فهي تزخر بها. كان الوقت متأخراً فاتفق الحضور على استئناف الحوار في الليلة القادمة.

الحوار الثاني

انتظم شمل الأصدقاء في منزل الدكتور. وبعد تداول عبارات الترحيب وارتشاف الشاي بدأ الحوار والبحث وكان السيد نبيه أوّل من تكلم فقال:

- من الأمور التي تؤكّد بديهية مسألة المهدي في صدر الإسلام هو ظهور من يدّعي - أو من أُطلق عليه - بأنه المهدي. والتاريخ يحتفظ بأسماء عديدة لهؤلاء.

فقد ظلّ جمع من المسلمين يعتقدون بمهدية محمّد بن الحنفية وأنّه لم يمت بل غاب في جبل (رضوى)، وأنه سوف يظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً^(١).

كما اعتقد فريق من الجارودية أنّ محمّد بن عبدالله بن الحسن هو المهدي وكانوا ينتظرون ظهوره^(٢).

وترى الناوسية في الإمام الصادق المهدي الموعود وأنه غاب وسيظهر^(٣).

(١) الملل والنحل للشهرستاني ط ١ ج ١ ص ٢٤٢ - فرق الشيعة للنوبختي ط نجف سنة ١٣٥٥ ص ٢٧.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢٥٦ - فرق الشيعة ص ٦٢.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ٢٧٣ - فرق الشيعة ص ٦٧.

فيما تعتقد الواقفية بمهدية موسى بن جعفر وأنه سوف يظهر ليملاً الأرض عدلاً^(١).
ويقول فريق من الاسماعيلية بحياة اسماعيل وإنما تنسب له الموت تقيّة^(٢).
وترى الباقرية في الباقر المهدي الموعود.
وترى المحمدية في محمّد بن علي النقي المهدي بالرغم من وفاته في عهد أبيه.

وتقول الجوازية أنّ الحجّة ابن الحسن كان له ولد وهو المهدي^(٣).
وترى الهاشمية أن عبدالله بن حرب الكندي هو الإمام الغائب^(٤).
ويقول فريق من المباركية بإمامة اسماعيل وأنّه الامام الغائب^(٥).
ويرى اليزيديون أن يزيد قد رفع إلى السماء وأنه سيعود ليملاً الأرض عدلاً^(٦).
وتقول الاسماعيلية أن المهدي الذي بشرت به الروايات هو محمّد بن عبدالله الذي لقب بالمهدي الذي حكم مصر والمغرب، ويزعمون بأنّ النبيّ قد بشر به قائلاً: «على رأس ثلاثمئة تطلع الشمس من مغربها»^(٧).
ويقول فريق من الإمامية بغيبة الامام الحسن العسكري وأنّه سيظهر فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً.

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢٧٨ - فرق الشيعة ص ٨٠ و ٨٣.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٢٧٩ - فرق الشيعة ص ٦٧.

(٣) التنبيهات الجليلة في كشف الأسرار الباطنية لمحمّد كريم الخراساني ط النجف ١٣٥١ ص ٤٠ - ٤٢.

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ٢٤٥.

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٧٩.

(٦) اليزيدية لصدوق الدموجي ط الموصل سنة ١٣٦٨ ص ١٦٤.

(٧) تاريخ روضة الصفا ط طهران ج ٤ ص ١٨١.

ويقول فريق آخر أنه سيُبعث وأن معنى القائم هو القيام بعد الموت^(١). ويرى القرامطة أن محمّد بن اسماعيل هو المهدي الموعود وأنه ما يزال حيّاً ويعيش في بلاد الروم^(٢). وترى فرقة الأبي مسلمية أن أبا مسلم الخراساني هو الإمام الغائب^(٣). ويرى بعضهم أن الإمام العسكري هو المهدي وأنه بعث بعد موته وأنه غائب عن الأنظار وسيظهر ويملاً الأرض عدلاً^(٤).

الاستغلال وتزوير الأحاديث

هذه طائفة من الأسماء والفرق التي ادّعت المهديّة في صدر الإسلام والعهود القريبة منه، وقد اختلفت تلك الفرق ولم يبق لها أثر سوى صفحات التاريخ، ومنذ ذلك الوقت وحتىّ عصور قريبة ظهر أفراد عديدون من بني هاشم وغيرهم وفي بقاع مختلفة من الأرض رافعين لواء المهديّة. وما أكثر الحروب والحوادث الدامية والوقائع المريرة التي يضجّ بها التاريخ.

ومن كلّ هذا يتّضح أنّ مسألة المهدي وظهور المصلح الغائب من الأمور البديهية لدى المسلمين، وأنهم كانوا يعدّون الأيام لظهوره، وأنه منتصر لا محالة، ومن هنا فقد استغل موضوع المهدي أبشع استغلال وادّعى الكثير المهديّة لأنفسهم

(١) الملل والنحل ج ١ ص ٢٨٤ - فرق الشيعة ص ٩٦، ٩٧.

(٢) المهديّة في الإسلام ص ١٧٠ - فرق الشيعة ص ٧٢.

(٣) فرق الشيعة ص ٤٧.

(٤) المصدر السابق ص ٩٧.

طمعاً في الغلبة، وفي بعض الأحيان عن حسن نية لتحرير شعوبهم من القهر والظلم، وكان هدفهم في ذلك الانتقام من الظالمين، على أن أكثر من نسبت لهم المهديّة لم يدّعوها لأنفسهم بل نسبت إليهم أملاً في الخلاص من الظلم.

ومن المؤسف أن يكون هذا الموضوع مدعاة لتزوير ووضع الأحاديث المختلفة حول المهدي وعلامات ظهوره، وبلغت من الكثرة حدّاً أنّها شاعت بين عامّة الناس وأضحت جزءاً من معتقداتهم^(١).

(١) يكفي لمن يريد ان يبحث في هذا الموضوع أن يطالع كتب التاريخ وما تعجّ به من أحاديث حول المهدي وسيجد حشداً من الأحاديث المزوّرة، وهذه أمثلة:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم): « لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً» - الفصول المهمة ص ٢٧٤ - وهذا يخالف كثيراً من الأحاديث التي تقول بأن اسم الأب هو الحسن ويبدو ان الذين اعتقدوا بإمامة محمّد بن عبدالله بن الحسن قد أضافوا « واسم أبيه اسم أبي » إلى الحديث لتعزيز عقيدتهم.

وذكر محمّد بن يوسف في « البيان » بعد أن أورد هذا الحديث ان الترمذي قد أورد هذا الحديث وليس فيه « واسم أبيه اسم أبي » كما أثبت ذلك أيضاً أبو داود في كتابه، وعلى هذا يثبت زيادتها.

وروي عن أبي هريرة عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم): « أنّ المهدي محمّد بن عبدالله في لسانه رتة » - مقاتل الطالبين ص ١٦٤ -.

وعن ابن عباس ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال للعباس: « منك المهدي في آخر الزمان، به ينتشر الهدى، وبه تطفأ نيران الضلالات، ان الله فتح بنا هذا الأمر، وبذريتك يختم » - ذخائر العقبين ص ٢٠٦.

وعن ابن عباس أنّه قال: منّا أهل البيت أربعة: منّا السفاح ومنّا المنصور ومنّا المهدي. المهدي من ولد العباس عمي - الصواعق المحرقة ص ٢٣٥، ذخائر العقبين ص ٢٠٦ - وهذان الحديثان من مجعولات بني العباس.

وعن عليّ (عليه السلام) أنّه قال: إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها، فإنّ فيها

= خليفة الله المهدي - ينابيع المودة ج ١ ص ١٥٧. ومن المحتمل ان يكون هذا الحديث من موضوعات بني العباس أيضاً ومن اتباع أبي مسلم الخراساني ، فالمهدي لا يظهر من خراسان ، والرايات السود كانت شعاراً لبني العباس ، وليس من البعيد أن الحديث وضع بعد خروج أبي مسلم الخراساني .

عن عبدالله عن النبي في حديث قال : « ان أهل بيتي سيلقون بلاءً وتشريداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قبل المشرق ومعهم رايات سود يسألون بالحق فلا يعطونه ، فيقاتلون وينصرون ، فيعطون ما سئلوا فلا يقبلون حتى يدفعوه إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً كما ملئت جوراً فمن أدرك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج » - اثبات الهداة ج ٧ ص ١٨٩ - وأظن أن تأملاً بسيطاً في تاريخ ثورة بني العباس وخروج أبي مسلم الخراساني سوف يؤيد وضع هذا الحديث أيضاً .

وكان فريق من المسلمين يقولون بمهدية عمر بن عبدالعزيز وزوروا في ذلك أحاديث منها ما قاله العزمي : سمعت محمد بن علي يقول : النبي منّا ، والمهدي من بني عبدشمس ، ولا نعلمه إلا عمر بن عبدالعزيز . وقال أبو يعقوب قلت لمحمد بن علي : الناس يزعمون ان فيكم مهدياً ، فقال : ان ذلك كذلك ولكنه من بني عبدشمس : قال فكانه عن عمر بن عبدالعزيز - الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٣٣٣ .

وعن عبدالأعلى مولى آل سام قال : خرجت مع أبي عبدالله (عليه السلام) فلما نزلنا الروحاء نظر الى جبلها مطالاً عليها ، فقال : ترى هذا الجبل ؟ هذا جبل يدعى « رضوى » من جبال فارس أحبنا فنقله الله الينا أما ان فيه كل شجر مطعم ونعم ، اما ان للخائف مرتين ، اما ان لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين واحدة قصيرة والأخرى طويلة - اثبات الهداة ج ٧ ص ٥ .

وهذا الحديث - كما أظن - من موضوعات من يقول بمهدية محمد بن الحنفية وأنه حي في جبل « رضوى » .

روى الفضل عن موسى بن سعدان عن عبدالله بن القاسم الحضرمي عن أبي سعيد الخراساني قال : قلت لأبي عبدالله (عليه السلام) لأي شيء سمي القائم ؟ فقال : لأنه يقوم بعدما يموت ، أنه يقوم بأمر عظيم ، يقوم بأمر الله سبحانه - اثبات الهداة ج ٧ ص ٢٧ .

وليس من البعيد أن يكون هذا الحديث من موضوعات الواقعية أو الذين كانوا يقولون بمهدية الامام الحسن العسكري وأنه مات وسيبعثه الله لإصلاح العالم ، وهو حديث ضعيف السند ، فقد ذكر المامقاني عن موسى بن سعدان بأن أحاديثه ضعيفة وهو كذاب من الغلاة ومردود الرواية ، وعلى فرض صدور هذا الحديث

أهل البيت يبشرون بالمهدي

الدكتور: ماهي عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) والأئمة من آل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المهدي؟
 نبيه: بعد ان التحق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالرفيق الأعلى كانت مسألة المهدي معروفة لدى المسلمين من صحابة الرسول، وكان الأئمة (عليهم السلام) وهم معدن الرسالة وأمناؤها يجيبون عن أسئلة السائلين، ومن ذلك هذه الطائفة من الأخبار:

= فيمكن تفسيره على ضوء حديث آخر بنفس السند، فعن الفضل بن شاذان عن موسى بن سعدان عن عبدالله بن القاسم الحضرمي عن أبي سعيد الخراساني قال قلت لأبي عبدالله (عليه السلام): المهدي والقائم واحد؟ فقال: نعم. قلت لأي شيء سمي المهدي؟ قال لأنه يهدي إلى كل أمرٍ خفي، وسمي القائم لأنه يقوم بعدما يموت، يعني يموت ذكره - أنه يقوم بأمرٍ عظيم. - إثبات الهداة ج ٧ ص ٣٤.
 ولا يخفى على العلماء أنّ هذين الحديثين يصدران عن حديث واحد. وقد فسّر الموت في الحديث الثاني بانطماس الذكر.

وقال مؤذن مسجد الأحمر: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) هل في كتاب الله مثل للقائم؟ قال: نعم. آية صاحب الحمار اماته الله ثم بعته - إثبات الهداة ج ٧ ص ٢٨. وهو من مجعولات الذين يقولون بموت المهدي ثم قيامه.

وعن معاوية بن أبي سفيان في حديث طويل عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ستفتح بعدي جزائر تسمى الأندلس فيغلب عليهم أهل الكفر إلى ان قال فيخرج رجل من المغرب الأقصى من ولد فاطمة بنت رسول الله وهو المهدي القائم في آخر الزمان، وهو أول أشراف الساعة - إثبات الهداة ج ٧ ص ٢٤٢.
 والحديث المذكور من موضوعات فرقة الإسماعيلية التي أسست دولتها في بلاد المغرب.
 ولا يخفى على أهل التحقيق في ان مثل هذه الأحاديث من أخبار الآحاد ولا تفيد اليقين وأنها لا تنهض أمام الأخبار والأحاديث المتواترة التي وصفت المهدي، ومن هنا فإنها فاقدة لكل اعتبار ولا قيمة لها.

علي بن أبي طالب

عن الأصمغ بن نباتة قال عليّ بن أبي طالب (عليه السلام): والمهدي منّا في آخر الزمان، لم يكن في أمة من الأمم مهدي ينتظر غيره^(١).
وهناك خمسون حديثاً آخر في هذا المضمار^(٢).

فاطمة الزهراء

عن الحسين بن علي (عليه السلام) قال: قالت لي امي فاطمة: لما ولدتك دخل عليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله.. الى ان قالت: ثم قال: يا فاطمة خذيه وانه ابو الائمة التسعة من ولده ائمة ابرار التاسع قائمهم^(٣).
وهناك ثلاثة أحاديث أخرى أيضاً.

الحسن بن علي

قال الحسن عليه السلام: الائمة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله اثنا عشر تسعة من صلب اخي الحسين ومنهم مهدي هذه الامة^(٤).
اضافة الى أربعة أحاديث أخرى.

(١) اثبات الهداة ج ٧ ص ١٤٨.

(٢) وهذا العدد في كتاب «منتخب الأثر» وحده.

(٣) اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٥٢.

(٤) اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٥٥.

الحسين بن عليّ

قال الحسين بن عليّ (صلوات الله عليهما): «منا اثنا عشر مهدياً أولهم عليّ ابن أبي طالب وآخرهم التاسع من ولدي وهو الإمام القائم بالحقّ يُحيي الله به الأرض بعد موتها ويُظهر به دين الحقّ على الدين كلّه ولو كره المشركون له غيبة يرتدّ فيها أقوام، ويثبت على الدين فيها آخرون، فيؤذون ويقال لهم: متى هذا الوعد ان كنتم صادقين، أما ان الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله»^(١).

وفي هذا الموضوع ثلاثة عشر حديثاً آخر.

علي بن الحسين

عن سعيد بن جبیر قال عليّ بن الحسين: «القائم منا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا لم يولد بعد ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة»^(٢).

محمد الباقر

عن ابان بن تغلب عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر قال سألته عن الامامة فقال: «والله انه لعهد عهده الينا رسول الله ان الائمة بعده اثنا عشر تسعة من صلب

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٣ - اثبات الهداة ج ٢ ص ٣٢٣، ٣٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٥.

الحسين ، ومنا المهدي يقوم بالدين في آخر الزمان»^(١). وإثنان وستون حديثاً آخر.

جعفر الصادق

قال الامام الصادق (عليه السلام): «من أقرّ بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجحد محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) نبوّته. فقيل له: يا بن رسول الله ممّن المهدي؟ من ولدك؟ قال: «الخامس من ولد السابع يغيب عنكم شخصه ولا يحلّ لكم تسميته». ومائة وثلاثة وعشرون حديثاً آخر^(٢).

موسى الكاظم

عن يونس بن عبدالرحمن قال: دخلت على موسى بن جعفر (عليه السلام) فقلت له: يا بن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويملاها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي، له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه يرتدّ فيها أقوام ويشبّ فيها آخرون ثم قال (عليه السلام): طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبنا في غيبة قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا أولئك منّا ونحن منهم قد رضوا بنا أئمة ورضينا بهم شيعة طوبى لهم، هم والله معنا في درجتنا يوم القيامة»^(٣).

(١) اثبات الهداة ج ٢ ص ٥٥٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٤٣ - اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٠٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥١ - اثبات الهداة ج ٦ ص ٤١٧.

علي الرضا

عن الريان بن الصلت قال: قلت للرضا (عليه السلام): أنت صاحب هذا الأمر؟ فقال: «أنا صاحب هذا الأمر ولكنني لست بالذي أملاًها عدلاً كما ملئت جوراً، وكيف أكون ذلك علي ما ترى من ضعف بدني؟ وإن القائم هو الذي إذا خرج كان في سن الشيوخ ومنظر الشبان، قوياً في بدنه حتى لو مَدَّ يده إلى أعظم شجرة على وجه الأرض لقلعها، ولو صاح بين الجبال لتدكدكت صخورها، يكون معه عصا موسى وخاتم سليمان. ذلك الرابع من ولدي يغيبه الله في ستره ما شاء الله ثم يظهره فيملاً به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

محمد الجواد

عن عبدالعظيم الحسيني قال: دخلت على سيدي محمد بن علي (عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن القائم أهو المهدي أو غيره؟ فابتدأني فقال: يا أبا القاسم إن القائم منا هو المهدي الذي يجب أن ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي. والذي بعث محمداً بالنبوة وخصنا بالإمامة أنه لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً وإن الله تبارك وتعالى يصلح أمره في ليلة كما أصلح أمر كليمة موسى (عليه السلام) ليقتبس لأهله ناراً فرجع وهو رسول نبيّ ثم قال (عليه السلام): أفضل أعمال شيعتنا انتظار الفرّج^(٢). وخمسة أحاديث أخرى.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٢ - اثبات الهداة ج ٦ ص ٤١٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٦ - اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٢٠.

عليّ الهادي

قال الإمام الهادي (عليه السلام):

ابو محمد ابني الخلف من بعدي وعنده ما تحتاجون اليه، وعنده آله الامامة والحمد لله^(١).

وخمسة أحاديث اخرى.

الحسن العسكري

عن موسى بن جعفر البغدادي قال سمعت أبا محمّد الحسن بن عليّ (عليه السلام) يقول: «كأنّي بكم وقد اختلفتم بعدي في الخلف مني، أما إنّ المقرّ بالأئمة بعد رسول الله المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة محمّد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) والمنكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) كمن أنكر جميع الأنبياء لأن طاعة آخرا كطاعة أولنا والمنكر لآخرا كالمنكر لأولنا. أما إنّ لولدي غيبة يرتاب فيها الناس إلا من عصمه الله»^(٢).

وواحد وعشرون حديثاً آخر.

هل هي صحيحة؟

المهندس: هل ان هذه الأحاديث صحيحة يا ترى؟

(١) اثبات الهداة ج ٦ ص ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦٠ - إثبات الهداة ج ٦ ص ٤٢٧.

نبيه : أنا لا أدعي صفة جميع الأحاديث أو أن جميع رواياتها عدول ؛ ذلك أن أحاديث المهدي هي مثل سائر الأحاديث الأخرى، فيها الصحيح والحسن، وفيها الموثق، وفيها الضعيف، ولا أرى من الضروري البحث في مدى صحتها، فهي من الكثرة بشكل يدفعنا إلى الطمأنينة والإيمان بأصل الموضوع، والتاريخ يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد تحدّث عن المهدي في مناسبات عديدة وكثيرة، وأن الأئمة من آلهم كانوا لا يفتأون يذكرون للناس علامات؛ حتى يمكن القول أن موضوع المهدي قد احتلّ مساحة واسعة من الحديث والرواية. وإن رسول الله ومنذ حجّة الوداع حتى وفاته قد بيّن للناس هذا الموضوع حتى باتوا ينتظرون ظهوره ويترقّبون خروجه وكانوا يخطّون في تشخيصه؛ كما أن هناك إجماعاً في نقل أحاديث، حيث تناقلها السنّة والشيعّة، الأشاعرة والمعتزلة، وكان في رواياتها العرب والعجم، مكّيون ومدنيون، أو من الكوفة أو بغداد، ومن قم ونيسابور وخراسان، فهل وراء مثل هذا الإجماع مجالاً للتشكيك في أمر المهدي، وأنّ الشيعة قد وضعوا هذه الأحاديث ثم نسبوها إلى النبيّ تعصباً؟!

امتدّ بالأصدقاء الحوار حتى مضى شطر من الليل، لهذا اتفقوا على استئناف

الحوار ليلة السبت في منزل السيد فهمي.

الحوار الثالث

ظاهرة المهديّة

اكتمل حضور الأصدقاء في منزل السيّد فهمي . وبعد تبادل كلمات المودّة ،
والساعة تشير إلى الثامنة مساءً ، بدأ الحوار وكان المهندس هو البادئ .
المهندس : ذكر أحد الكُتّاب - عليّ ما أتذكر - أنّ الايمان بالمهدي والمصلح
قد تسربت إلى الذهنية الإسلاميّة ، فالفرس مثلاً كانوا يعتقدون بظهور رجل من
سلالة « زرادشت » واسمه « سااوشيانث » وأنه سيقتل « أهريمن » أو الشيطان وأنه
سيطهّر العالم من الرجس ؛ أمّا اليهود الذين عانوا الأسر والسبي على أيدي
الكلدانيين والآشوريين فقد كانوا يؤمنون بما بشر به انبياءهم بظهور ملك يعيد اليهم
حرّيتهم . واذا كانت هذه الظاهرة قد وجدت لدى الأقوام قبل الإسلام ، فمن
المحتمل جدّاً انتقالها إلى المحيط الإسلامي ، وأنها لا تعدو ان تكون اسطورة .
نبيه : صحيح انّ الايمان بظهور مصلح للعالم كان شائعاً لدى بعض الأقوام ،
ولكن هذا لا ينهض دليلاً على اسطورية هذه العقيدة . فهل تعدّ مخالفة الاسلام

لعقائد الأديان الأخرى دليلاً على حقانيته؟! ان من يريد البحث في صحة عقيدة ما عليه أن يراجع أدلتها والوثائق التي تعزز صحتها، لا أن يراجع كتب القدماء وما لدى الأقوام الأخرى من عقائد مشابهة، ثم يقيم الدنيا ولا يقعدا قائلاً: أنه قد وجد جذور هذه العقيدة وأنها تعود إلى هذه الأقوام أو تلك، وأنها مجرد أساطير ليس إلا.

لقد كان الفرس القدماء يؤمنون بالله ويعدون الصدق خلقاً سامياً، فهل يحق لنا أن نعدّ الله أسطورة ونبذ الصدق بعيداً فلا نعدّه خلقاً حسناً؟!
وإذن فإنّ إيمان الأقدمين بظهور المصلح لا يعدّ دليلاً ولا مسوغاً في اسطورية فكرة المهدي، كما لا ينهض برهاناً لإثبات هذه العقيدة.

بواعث ظهور المهديّة

فهمي: فلسف أحد الكتاب قصّة المهديّة في الإسلام بشكل جميل أعرضه لكم لو سمحتم.

الحاضرون: تفضل.

فهمي: تعود جذور المهديّة إلى الأقوام التي عاشت قبل الإسلام، ولما ظهر الشيعة أخذوا هذه العقيدة عنهم ثم أضافوا لها بعض الإضافات. وهناك أمران يعدّان من بواعث ظهور ونشوء هذه العقيدة لدى المسلمين وهما:

أولاً: إنّ الايمان بظهور المنقذ الغائب كان وما يزال شائعاً لدى اليهود وأنهم كانوا يعتقدون بأن «إلياس» قد رفع إلى السماء وأنه سيعود في آخر الزمان لإنقاذ بني إسرائيل كما أنّهم يعتقدون بأنّ «ملكصيدق» و «ابن العازار» ما يزالان في

الحياة.

وفي صدر الإسلام اعتنق فريق من اليهود الدين الإسلامي من أجل مصالح دنيوية وأحياناً لهدم العقيدة الإسلامية من الداخل من خلال بثّ العقائد المنحرفة والباطلة وجعلها جزءاً من الإسلام. ويمكن القول أنّ عبدالله بن سبأ كان أحد هؤلاء.

ثانياً: بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما تلا ذلك من حوادث مريرة كإقصاء عليّ بن أبي طالب عن الخلافة ترك أثراً عميقاً في محبيه وأنصاره الذين استبشروا بعودة الحقّ إلى نصابه. ولكن الإمام الذي تسنّم الخلافة في ظروف عصيبة وفتن داخلية لم تتح له الفرصة للإصلاح، فقد استغرقت الحروف الداخلية كلّ جهده ووقته إلى ان سقط شهيداً في المحراب.

ولمّا تصدّى الإمام الحسن للخلافة بعده، كان معاوية قد أحكم قبضته على الشام ومناطق أخرى، وراح يهدد عاصمة الخلافة. ورأى الحسن أن السلام والتنازل عن الخلافة بشروط هو الطريق الوحيد لحفظ البقية الباقية من تراث جدّه العظيم.

وآل الأمر إلى أن يحكم بنو أمية وتكون بأيديهم وسائل القدرة والنفوذ، فيما ظلّ الحسن والحسين بعيدين.

ولقد عانى أهل البيت وشيعتهم في العهد الأموي كلّ صنوف القهر الاجتماعي، وأصبحت مقدرات المسلمين ملكاً خاصاً لبني أمية، وبني العباس من بعدهم، وكان نصيب العلويين ومن ناصرهم القتل والتشريد والسجن.

وخلال تلك الحقبة المريرة من الزمن وقعت آلاف المآسي بدءاً من إقصاء عليّ

عن الخلافة ومصادرة ميراث فاطمة الزهراء من أبيها؛ إلى مذبحة عاشوراء واجتياح المدينة المنورة في عهد يزيد؛ إلى الاعدامات التي طالت كثيراً من صحابة النبيّ مثل حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي؛ وآلاف المآسي والآلام. وفي مثل هذا الجوّ الخائق واليأس المرير، لا بدّ أن تتبلور فكرة المصلح الغائب وأن تجد لها تربة خصبة للنمو والتجذّر وأن تصبح أملاً لخلاص المعذبين في الأرض، من أجل ذلك كان الشيعة يوحون لأنفسهم بالأمل على يد المصلح المنتظر الذي سيكون - ولا بدّ - من أهل البيت المظلومين على مرّ التاريخ. وهكذا ظهر المهدي في تاريخ الإسلام^(١).

لا حاجة للتبرير

نبيه: إنّ ما تفضلتم به حول المصائب التي ألمّت بأهل البيت وشيعتهم صحيح. وسيكون الموضوع مقبولاً لو لم يكن هناك مصدر واضح ومنشأ أساس للمهدية، وهو النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) الذي بشرّ بظهور المهدي وتطهير الأرض من الظلم والفساد، وإنّ الاعتقاد بالمهدي إنّما نشأ لأن رسول الله حدّث وبشرّ أصحابه بظهوره، والأحاديث التي تتضمن عقيدة المهدية لم تقتصر على رواية الشيعة، فقد رواها السنّة أيضاً في الصحاح. واذن فإننا لا نحتاج إلى مثل هذا التحليل حول نشوء المهدية وظهورها في الوسط الإسلامي.

وإنّ قولكم بأنّها كانت شائعة لدى اليهود وغيرهم هو الآخر صحيح ولكن لا

(١) المهدية في الاسلام ص ٤٨ - ٦٨.

يعني أنها تسرّبت إلى المسلمين عن «عبدالله بن سبأ» اليهودي، فتواتر الأحاديث يشير ويؤكد أنّ مصدر هذه العقيدة هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن المحتمل ان يكون اليهود الذين أسلموا فيما بعد قد أيّدوها فقط.

عبدالله بن سبأ

من المسائل التي ينبغي الإشارة إليها والتوقف عندها هي شخصية «ابن سبأ» ذلك اليهودي الذي أسلم حديثاً واستطاع في مدّة وجيزة من إحداث تحوّلات تاريخية مثيرة؛ وقد أثبتت الدراسات التاريخية الحديثة ان هذه الشخصية لا وجود لها على الإطلاق وأنها اسطورة اختلقها أعداء الشيعة، وإلاّ فهل يمكن لعاقل ان يصدّق بأن رجلاً يهودياً تمكن أن يكون له كلّ هذا التأثير العميق والخارق، وان يتحدّث بفضائل أهل البيت في محيط قمعي وان يؤلّب المسلمين ضد الخليفة حيث لقي مصرعه في ثورة عارمة، ومع كلّ هذا يبقى بمنأى عن الاتهام، فلا يذكره أحد. فهذا لا يمكن تصوّره إلاّ في عالم الخيال^(١).

المهندس: هل يقتصر الايمان بالمهدي الموعود على المسلمين أم أن هذه العقيدة موجودة في سائر الأديان الأخرى؟

نبيه: ليس المسلمون وحدهم يؤمنون بهذه العقيدة، بل يمكن القول أنها موجودة لدى جميع الأديان السماوية وأنّ أتباع هذه الأديان جميعاً يؤمنون بظهور «المصلح» أو «المنقذ» أو المخلّص الذي يصلح شأن العالم بعد أن يعمّ الظلم

(١) من يريد التحقيق في هذا الموضوع يمكنه الرجوع إلى كتاب «وعاظ السلاطين» لعلي الوردي، و«عبدالله بن سبأ» لمرتضى العسكري، و«علي وبنوه» لطف حسين.

وينتشر الفساد، وأنه مدعوم بقوة غيبية، وان النصر سيكون حليفه.
وهذه البشري موجودة في كل الكتب التي يدعي أصحابها بأنها سماوية، فهي موجودة في كتاب «زند وپازند» وكتاب «جاماسنامه» وهما من الكتب الزرداشتية المقدسة، والتوراة والانجيل، وهي موجودة أيضاً في كتب البراهمة الهندوس والبوذيين، وهم جميعاً ينتظرون الرجل الموعود الذي سيأتي من أجل انقاذهم.

وكلّ أمة تدّعي أنه منها؛ ولهذا فإننا نجد له أسماء عديدة مختلفة؛ فهو «سوشيانس» أو منقذ العالم لدى الزرداشتيين و «السيد الميكائيلي» لدى اليهود و«المسيح الموعود» لدى النصارى و«المهدي المنتظر» لدى المسلمين.

وهو فارسي من نسل زرادشت لدى اتباع زرادشت، وهو من بني إسرائيل لدى اليهود، ويعده النصارى مسيحياً فيما يعتقد المسلمون أنه على دين الإسلام ومن ذرية النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

على أننا نجد هذه العقيدة واضحة لدى المسلمين أكثر من غيرهم، وهذا لا يعني أننا نريد أن نستدلّ على صحة هذه العقيدة بما ورد في كتب الأديان الأخرى، ولكن يمكن القول أن الاعتقاد بالمصلح الموعود هو عقيدة قديمة بشر بها الأنبياء أممهم، وأن مصدرها الوحي الإلهي، وقد شابتها الخرافات والأساطير عبر الزمن.

القرآن والمهدية

فهني: لو كان لهذه القضية رصيد من الصحة لوجدنا لها ذكراً في القرآن؛ وهو آخر الكتب السماوية مع اننا لانجد اسم المهدي أبداً في القرآن الكريم.

نبيه : هناك عقائد وأمور تؤمن بها وهي صحيحة ومع ذلك ليست مذكورة في القرآن الكريم، بل ما أكثر المسائل التي تؤمن وتعتدّ بها وهي غير موجودة في القرآن. هذا أولاً، وثانياً: يمكن القول بأن هناك اشارات عديدة تبشّر بشكل عام بيوم موعود ينتصر فيه عباد الله الصالحون حيث يظهر الدين الاسلامي على الدين كله.

قال تعالى: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون»^(١).

وقال سبحانه: «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً»^(٢).

وقال سبحانه: «ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين»^(٣).

وقال سبحانه: «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(٤).

وكلّ هذه الآيات تبشّر المؤمنين بنصر الله وأنه سيحلّ اليوم الذي يسود فيه الإسلام ربوع الأرض، وستحلّ عبادة الله وحده محلّ الشرك والكفر والوثنية،

(١) الأنبياء - آية (١٠٥).

(٢) النور - آية (٥٥).

(٣) القصص - آية (٤).

(٤) الصف - آية (٩).

وسينعم العالم بعصر مشرق مفعم بالإيمان والسلام، على يدي منقذ البشرية المهدي الموعود.

النبوة العامة والإمامة

فهمي: أنا لا أدري لماذا تصرّون أنتم الشيعة على حتمية وجود الإمام، فإذا لم يكن ظاهراً فهو غائب. وإذا كان الأنبياء قد بينوا الشريعة فما هو الداعي لوجود الإمام؟

نبيه: إن الأدلة التي تنهض لإثبات النبوة العامة والوحي، هي نفسها تقضي بضرورة وجود الإمام الذي يحفظ الشريعة؛ ولإثبات هذا الادعاء يتوجب أولاً استعراض أدلة النبوة العامة ثم الانتقال بعد ذلك إلى مسألة الإمامة. وهي إجمالاً كما يلي:

أولاً: الإنسان كائن اجتماعي بالطبع، فهو عاجز عن إدارة حياته لوحده بل هو محتاج إلى عون الآخرين من نوعه. بتعبير آخر إنه مخلوق للحياة الاجتماعية، وهذه الطبيعة في حياة الإنسان سوف تقود في النهاية إلى التزاحم حول المصالح الذاتية، محاولاً دفع الآخرين عن طريقه في تحقيق الذات.

وبالطبع فإن الآخرين لن يقفوا مكتوفي الأيدي فهم يندفعون كلّ حسب مصالحه في ذات الطريق، ومن هنا يبدأ التنافس وبالتالي العدوان على الآخرين، وتتبع الحاجة إلى قانون وشريعة تنظم الحياة وتحفظ الحقوق وتقضي على الفوضى، ومن هنا يمكن القول أن الشريعة أو القانون هو أعظم كنز اكتشفه الإنسان، وأن المجتمعات البشرية كانت وما تزال تنظر باحترام إلى القانون كضرورة حياتية.

ثانياً: إنَّ الله أودع في فطرة الانسان قابلية التكامل وجعل سعيه إلى السعادة من غرائزه الإنسانية، فالإنسان بفطرته ينشد هدفه باستمرار وهو يتحرّك باتجاه تحقيق هذا الهدف دون تعب أو نصب.

ثالثاً: وإذا كان الانسان مجبولاً على التكامل فينبغي تمهيد الطريق أمامه وتقديم العون له من أجل تحقيق غايته؛ ذلك أنّ كلّ شيء مخلوق بقدر، ولا وجود للعبثية في الخلق.

رابعاً: إنَّ الإنسان يتألف من جسم وروح، وإن الجسم ينتمي إلى عالم المادّة، فيما تنتمي الروح إلى عالم المجرّدات.

خامساً: إنَّ الإنسان مركب من جسد وروح وعلى هذا فستكون له قهراً حياتان؛ إحداهما مادّية تتعلّق بجسده والأخرى نفسانية أو معنوية وتتعلّق بروحه وهو في كلتا الحياتين إمّا في سعادة أو شقاء.

سادساً: ونظراً للارتباط الوثيق بين الجسم والروح فإنّ تأثيراً متبادلاً يسود الجانبين، فالتغيرات التي تطال الجسد ستؤثر ولا شك في النفس الإنسانية. وفي المقابل فإنّ الانفعالات النفسية لها أثرها في جسم الإنسان.

سابعاً: إنَّ الإنسان اناني بطبعه يسعى لتحقيق ذاته فقط على حساب الآخرين، وقد يؤدي هذا إلى استغلالهم.

ثامناً: إنَّ الإنسان يتحرّك دائماً باتجاه التكامل ويسلك مختلف الدروب الى ذلك ولكنه يخفق أحياناً في اختيار الطريق، فهو يعجز أمام غرائزه وميوله وينسحب أمام تحدياتها، أو أنّها تشوش نظرتة إلى الحقائق فيتصور الأوهام حقيقة، وعندها ينحرف باتجاه الهاوية.

أي القوانين تُسعد الإنسان

ولأن الإنسان مضطّر للحياة الاجتماعية، وان النزاع والصراع والاستغلال وحتى العدوان من نتائج هذه الحياة، فمن الطبيعي والمنطقي أن تنشأ الحاجة إلى قانون ينظم العلاقات الإنسانية ويمنع حدوث الفوضى في الحياة الاجتماعية، والقانون الذي يحقق هذا الهدف لا بدّ أن تكون مقوماته كالتالي:

أولاً: ان يكون قادراً على تنظيم شؤون الإنسان مجتمعاتٍ وأفراداً وان يلبي حاجات الإنسان، وأن يكون موقفاً في إدراك التطلّعات البشرية على صعيدي الروح والجسد.

ثانياً: ان ينطوي هذا القانون على أهداف ومعالم تدفع بالإنسان في طريق السعادة الحقيقية بعيداً عن الأوهام.

ثالثاً: ان يكون القانون شاملاً يكفل السعادة لكلّ البشر ولا يقتصر على قومية معيّنة دون الأخرى.

رابعاً: أن تكون غايته بناء المجتمعات على أساس من الفضائل الإنسانية، وأن يحدد معالم الطريق إلى تحقيق هذه الغاية، وان يوحي إلى البشر بأنّ الدنيا لا تعدّ هدفاً بذاتها بل هي طريق إلى مستقبل حقيقي في الآخرة.

خامساً: أن يكون متوازناً في اهتمامه بالشؤون الإنسانية وأن يمنح الجانب الروحي والمعنوي للحياة حقّه كاملاً.

سادساً: ان يكون المشرّع محيطاً بكل دقائق الإنسان وتفاصيل الحياة مدركاً لمنافع البشر الحقيقية وما يعتورهم من مفسد وأضرار وما يصاحب الزمن من

تغيرات وتحولات.

وهكذا فإنّ البشرية تحتاج إلى مثل هذا القانون، بل إنّ ضرورة من ضرورات حياتها واستمرارها، وإلاّ تدهورت الحياة الإنسانية واتخذت سمتها نحو السقوط. والسؤال هنا هل يمكن للقوانين الوضعية أن تضمن النجاح في هذه المسؤولية الكبرى، وهل ستوفق في إدارة الحياة البشرية أفراداً ومجتمعات؟!

نحن نؤمن إيماناً عميقاً بأنّ القوانين البشرية التي يشرّعها الإنسان سوف تكون قاصرة وعاجزة، وستأتي تعبيراً عن عجز الإنسان وقصور إدراكه للأسباب التالية: (١) ان العلوم الإنسانية مهما تقدّمت فإنها تبقى ناقصة ومحدودة لا تسبر غور الحاجات الفعلية والحقيقية للبشر، وإنها ستكون عاجزة عن تمييز الخير من الشرّ متخلّفة إزاء التغيرات والتحولات عبر الزمن.

(٢) وعلى افتراض نجاح الإنسان في هذا المضمار فإنّه سيبقى عاجزاً عن تنظيم حياته الروحية والتي تشكّل جانباً أساسياً في شخصيته، ومن هنا نرى اهمالاً لهذا الجانب الحياتي في القوانين الوضعية. وكلّ ما تعالجه هذه القوانين هو المتطلبات المادية للإنسان فقط.

وإذا أدركنا الارتباط الوثيق بين الروح والجسد في شخصية الإنسان وحياته، أدركنا عمق الشرخ الذي تحدّثه القوانين الوضعية في مصير الإنسان.

(٣) ولأنّ الإنسان أناني مجبول على حبّ ذاته، فإنّ استغلاله لأبناء نوعه سيكون أمراً لا مفرّ منه. فالمصالح الذاتية هي دائماً مقدّمة على مصالح الآخرين، ومن هنا فإنّ من يشرّعون القوانين لا بدّ وأنهم سيكونون خاضعين لهذه الميول الطبيعية، وبالتالي فإنّ منافعهم الشخصية ومصالحهم الذاتية سوف يكون لها

الأولوية وستكون لها امتيازات خاصّة .

وفي المقابل فإنّ شرعة الله وقانونه سيكون موافقاً لحاجات الإنسان، لأنّ المشرّع هو الخالق، وهو منزّه عن كلّ الأهواء. ومن هنا فإنّ من لطف الله أن أرسل الأنبياء وبعث الرسل لهداية البشرية إلى الطريق القويم.

سعادة الآخرة

الإنسان وهو يعيش حياته الدنيا، فإنّ في أعماقه حياة أخرى مجهولة، وهي على خفائها تحدّد سعادة الإنسان أو شقاءه، فالأفكار والعقائد والأخلاق الحسنة والصالحات من الأعمال هي التي ستكون سلّمه في الرقي والتكامل الروحي والأخلاقي، وبالتالي سعادته، وبالعكس ذلك سوف يكون الخلق الهابط والشرور سبباً في انحطاط الإنسان وسقوطه في الهاوية!

فإذا سلك الإنسان طريق التكامل فسوف تتألق ذاته وتظهر حقيقته وتتكامل نفسه ويعرج إلى العالم الذي ينتمي إليه في المنشأ وهو عالم الأنوار والسعادة. أما إذا نبذ كلّ كمالاته الروحية والأخلاق الإنسانية من أجل إشباع غرائزه الحيوانية، أصبح أسيراً في قبضة الهوى وأضحى مجرّد حيوان يسعى من أجل لذائذه متخبطاً في أودية مظلمة تعجّ بالشرور.

ومن هنا فإنّ الجانب الروحي للإنسان هو الآخر بحاجة إلى قوانين وشرائع ترشده إلى الطريق القويم، ذلك أن الغرائز الحيوانية والميول النفسية غالباً ما تقف سدّاً منيعاً وحجاباً مظلماً يمنع العقل من الرؤية الواضحة واكتشاف الطريق الصحيح، فتقوده إلى الهاوية؛ بل أنّها تقلب الموازين أحياناً فتريه الصواب خطأً، والسيئات

حسناً. وإذن فإنّ الإنسان ومن أجل ضمان سعادته في الآخرة يحتاج إلى قوانين من خالق الإنسان جسماً وروحاً.

ان الله سبحانه لم يترك الإنسان الذي يحمل في أعماقه القابلية للخير والشر؛ السمو والانحطاط؛ السعادة والشقاء، لم يتركه سدىً دون إرشاد وتعاليم، بل أرسل له الأنبياء مبشرين ومنذرين، وأنزل معهم الكتب لتكون طريقاً للإنسان يسلكه إلى السعادة الأبدية، وإنقاذاً له من أودية الجهل والشقاء.

طريق التكامل

إنّ الأخلاق الحسنة والاعتقادات الحقّة والصالحات من الأعمال هي الطريق القويم والصراط المستقيم في العودة إلى الله تعالى، وقد أرسل الله أنبياءه ورسله ليبلغوا الناس كافةً بشرائعه، وهذا لا يعني أنّها قوانين قهرية أو شرائع قسرية بل إنّها تنسجم مع الذات الإنسانية والفطرة البشرية وهي الطريق الوحيد الذي يحقق التكامل للإنسان، وبالتالي دخوله الجنّة والفوز بالسعادة الأبدية والنعيم الخالد؛ وبتعبير آخر: إن الطريق القويم الذي تتكامل فيه النفس الإنسانية ويحقق لها السعادة والكمال هو الدين الحقّ، حيث الانحراف عنه يعني السقوط في هاوية الرذيلة والغرائز الحيوانية، وبالتالي حياة الشقاء والجحيم.

عصمة الأنبياء

إنّ من أطياف الله ورحمته أن بعث الأنبياء والرسل لإبلاغ شرائعه وترشيد البشرية في طريق الخير، وأن تكون هذه الشرائع خالية من كلّ نقص أو خطأ؛ لأن

رسله وأنبياءه معصومون من الخطأ مبرّأون من النسيان، فهم تجسيدٌ حيٌّ لشرائعه وهم القدوة والأسوة والنموذج والمثال، يدعون الناس بأفعالهم قبل أقوالهم، وبسيرتهم قبل كلامهم، حتى لا يبقى البشر في حيرة من أمرهم، ومن البديهي ان تكون السيرة والتجسيد الحي للأخلاق والمثل أكثر تأثيراً فيما لو ظلّت في إطار النظريات والأقوال فقط.

بعبارة أخرى: إنّ العلوم البشرية والمعارف الإنسانية ليست في مأمن من الخطأ والنقص؛ لأنّها جاءت عن طريق الحواس. أمّا الشرائع والأحكام التي بشرّ بها الأنبياء فإنّها من وحي الله، فهي غير خاضعة للحواس البشرية المحدودة الإدراك، بل هي حقائق عالم الغيب الذي يسري إلى ذواتهم وأفئدتهم. وبهذا فهم معصومون عن الخطأ منزّهون عن العصيان؛ لأنّهم يعيشون عالم الشهود، على بصيرة من أمرهم، منعمين بلذائذ الكمال.

أدلة الإمامة

يمكن اعتماد نفس الأدلة التي تثبت النبوة والعصمة، في ضرورة وجود انسان يخلف النبيّ يكون مسؤولاً عن حفظ الشريعة وتبليغها؛ لأنّ الهدف من وراء النبوات وإنزال الشرائع لا يتحقق إلا باستمرار تلك الشرائع بعيدة عن الزيادة والنقص والتحريف، ولذا فإنّ الله سبحانه جعل أئمة أوصياء بعد الأنبياء.

ويكون الخليفة أو الوصي معصوماً هو الآخر عن الخطأ في إبلاغه الشريعة حتى يتحقق الهدف الالهي وتتمّ حجّة الله على عباده ويكون مثلاً للشريعة في عمله وقوله وسيرته. ومن هنا فإن الإمام يجب أن يكون معصوماً عن الخطأ

والنقص؛ لكي يؤدي رسالته وينهض بمسؤوليته الكبرى. ويكون عالماً بالشرية، وعلمه ليس عن طريق حواسه بل مأخوذ عن النبي وإرشاده، فهو يعيش حالة الشهود التي تجعله يعيش الحقائق فيعمل في ضوء ذلك، فيكون إماماً للناس وقدوة للبشر.

وبتعبير آخر إن البشرية تحتاج إلى إنسان كامل يجسد التعاليم الإلهية وتمثل فيه الشرائع والأحكام السماوية دون نقص أو زيادة، وان يكون معصوماً عن الخطأ والعصيان وكل ما يعتور الإنسان العادي من انحراف. وفي غياب مثل هكذا إنسان تضيع الشريعة، وتضل البشرية طريقها، ويكون الخراب.

فالإمام وجود ضروري لازم لاستمرار معرفة الله وعبادته، فهو مستودع علم الله وسرّه، وهو كالمراة تتجلى فيه حقائق العالم فتعشو البشرية إلى نوره. جلال: ليس من الضروري أن يكون شخص واحد عالماً بالشرية، فمن الممكن تقسيمها وإيداعها لدى الناس جميعاً، وعندما تدرك كل مجموعة جزءاً من الشريعة وتعمل بها، عندها تستمر الشريعة علماً وعملاً.

نبيه: إن هذا الافتراض خاطئ لسببين:

الأول: ذكرنا فيما سبق أنه لا بد من وجود الإنسان المثال الذي تتحقق فيه مقومات الكمال الإنساني التي ينطوي عليها الإنسان كقابلية أودعها الله في طينته. وفراغ البشرية من هذا المثال يعني انقراضها لانعدام غايتها.

وتقسيم الشريعة بين أفراد البشر - حسب فرضيتكم - فإن كل فرد وإن كان يحمل جزءاً من الشريعة ويعمل بها فإنهم جميعاً لا يسرون في خط الدين، بل هم

يعيشون حالة من الانحراف عملياً فأحكام الدين والشريعة يربطها وثاق يحكم تفاصيله وأجزائه.

الثاني: إنّ القوانين والشرائع الإلهية تنطوي على هدف هو الهداية. وعليه يجب بقاؤها ثابتة، بعيدة عن التحريف والتغيير والتبدّل والزوال؛ لتكون طريقاً للناس جميعاً. وهذه مسؤولية لا ينهض بها سوى الإنسان المعصوم الذي يكون بمنأى عن الخطأ والغفلة والنسيان والمعصية.

أمّا لو آمنا بفرضيتكم، فإنّ الشريعة ستكون عرضة لكلّ الانحرافات؛ لأنّ الإنسان عرضة لكلّ التغيرات والميول، وعندها تنتفي حجّة الله على عباده.

الإمامة في ضوء الروايات

نبيه: انّ كلّ ما ذكرته عن الإمامة له ما يعززه من النصوص والروايات التي وردت عن أهل البيت (عليهم السلام) ومن يريد التحقيق في ذلك فيمكنه الرجوع إلى كتب الحديث، وهذه أمثلة:

قال أبو حمزة:

قلت لأبي عبدالله (الصادق): أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت^(١).

وعن الوشاء قال: «سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: هل تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا. قلت إنا نروي: أنّها لا تبقى إلاّ ان يسخط الله على العباد. قال:

(١) أصول الكافي ط الاسلامية سنة ١٣٨١ ج ١ ص ٣٣٤.

لا تبقى إذاً لساخت»^(١).

وقال ابن الطيار:

سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «لو لم يبق في الأرض إلا اثنان لكان أحدهما الحجّة»^(٢).

وقال أبو جعفر (عليه السلام):

«والله ما ترك الله أرضاً منذ قبض آدم (عليه السلام) إلا وفيها إمام يهتدى به إلى الله وهو حجّته على عباده ولا تبقى الأرض بغير إمام حجّة لله على عباده»^(٣).
وقال الصادق (عليه السلام): «إنّ الله خلقنا فأحسن خلقنا وصوّرنا فأحسن صورنا وجعلنا خزّانه في سمائه وأرضه ولنا نطق الشجر وعبادتنا عبد الله ولولانا ما عبد الله»^(٤).

وعن الصادق (عليه السلام) أيضاً: «الأوصياء هم أبواب الله التي يؤتى منها ولولاهم ما عرف الله، وبهم احتجّ الله تبارك وتعالى على خلقه»^(٥).

وعن أبي خالد الكابلي قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله «فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا» فقال يا أبا خالد النور - والله - الأئمة. يا أبا خالد! لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٤.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٥.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٣٣٣.

(٤) أصول الكافي ج ١ ص ٣٦٨.

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٣٦٩.

الذين ينوِّرون قلوب المؤمنين، ويحجب الله نورهم عمَّن يشاء، فتظلم قلوبهم ويغشاهم بها»^(١).

وعن الرضا (عليه السلام) في حديث طويل.. إلى أن قال: «وإنَّ العبد إذا اختاره الله لأُمور عباده شرح صدره لذلك وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم إلهاماً فلم يعي بعده بجواب ولا يحير فيه عن الصواب فهو معصوم مؤيد موفق مسدّد، قد أمن من الخطأ والزلل، والعتار، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده وشاهده على خلقه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»^(٢).

وقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) أن أهل البيت أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء^(٣):

وقال عليّ (عليه السلام) في خطبة له: «اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّة إمّا ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلا تبطل حجج الله وبيّناته، وكم ذا، وأين أولئك؟ أولئك - والله - الأقلون عدداً، والأعظمون قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيّناته حتى يودعوها نظراءهم، ويزرعوها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وصحبوا الدنيا بأبدانٍ معلقة بالمحلّ الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه»^(٤).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٧٢.

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٠.

(٣) تذكرة خواص الأئمة ط سنة ١٢٨٥ ص ١٨٢.

(٤) نهج البلاغة الخطبة ١٤٧.

وقال (عليه السلام) في خطبة أُخرى:

« فيهم كرائم القرآن وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يُسبقوا»^(١).

وقال أيضاً: « بهم عاد الحقّ في نصابه، وانزاح الباطل عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية، لا عقل سماع ورواية، فإنّ رواة العلم كثير، ورعاته قليل»^(٢).

هذه الأدلة العقلية والنصوص المتوافرة تؤيد وجود إنسان يتمتع بالكمال يعيش في الأرض، وهو المؤشر الوحيد على استمرار النوع الإنساني في الحياة، وهو حلقة الوصل بين عالمي الغيب والشهادة، يتنزّل عليه الفيض الإلهي ليشعّ منه إلى العالمين.

وإنّ انتفاء وجود مثل هذا الإنسان في الأرض يعني انقراض النوع الإنساني؛ لانتفاء الغاية والهدف المنشود. وهذا وحده دليل على ضرورة وجود الإمام؛ فاذا لم يكن ظاهراً، فلا بدّ أن يكون متوارياً عن الأنظار.

لقد امتدّ بنا الحديث وآن لنا أن نغادر البيت، على أن نلتقي فيما بعد.

(١) المصدر السابق الخطبة (١٥٠).

(٢) المصدر السابق الخطبة (٢٣٤).

الحوار الرابع

انتضم شمل الأصدقاء في منزل السيد جلال وكان هو البادئ بالحديث .
جلال : يزعم بعض المسلمين وهم قلة قليلة ان المهدي هو الإمام الحسن العسكري وأنه وُلد سنة ٢٥٦ هـ وأنه ارتقى عن العالم السفلي إلى عالم هورقليا، وأنه متى بلغ النوع الإنساني سنّ الرشد والنضوج وتخلّص من كدورات العالم السفلي أمكنه رؤية الإمام ومشاهدته .

وقال أحد زعمائهم في كتاب له : كان هذا العالم نازلاً في أسفل الأرض ، فنودي في عصر آدم ان اصعد ، فهو إلى الآن في حالة ارتقاء ، لم يخلص بعد من الأدران والغبار ، ولم يصل بعد إلى الفضاء النقي ، وعندما يجتاز البشر هذه الظلمات وهذا الغبار ويصل الفضاء النقي سيرى شعاع الإمام وينتفع به شهوداً لا من وراء حجاب ، وتتبدّل الأحكام ويتغيّر الدين .

وإذن فعلينا أن ننطلق إلى حيث يظهر الولي ، لا أن يأتي هو إلينا لأنه لو جاء إلينا ولم تكن لنا قابلية الانتفاع به فلن نراه ولياً نافعاً ، وهذا خلاف الحكمة ، ولكن

إذا تغيّرت قابليتنا وصرنا أفضل مما مضى فيصبح معلوماً بأننا قد ارتقينا، واذن فمن الواضح إن علينا الإرتقاء إلى تلك الدرجة التي تدعى بلغة الحكمة «هورقلياً».

وإذن متى ما ارتقت «الدنيا» إلى عالم «هورقلياً» عندها يمكن مشاهدة

حكومة الإمام حيث الحق هو السائد، والظلم مغلوب منبوذ.^(١)

نبيه: لا أفهم ما يرمي إليه المؤلف، فهل يقصد أن الإمام قد خلع عنه عناصره

الأرضية وبدنه المادّي وانتقل إلى عالم المثل، وأنه لم يعد موجوداً مادياً؟ وإذا كان

هذا ما يرمي إليه فهو رأي باطل لأنه يتناقض مع الأدلة العقلية والبراهين النقلية التي

أثبتنا بها ضرورة الإمامة في استمرار النوع الإنساني، ذلك أن الأدلة تؤكّد وجود

فرد كامل بلغ أوج الكمالات الإنسانية جميعاً، وأنه يسير على هدي الدين القويم

وأنه يتحمّل مسؤولية هداية البشرية حتى لا يبقى دون غاية، وحتى يكون هو

الأمين على شريعة الله في الأرض وبه تتم حجّة الله على العالمين، وان هذا الفرد

هو الإمام، أي أن الامام لا بد وأن يكون موجوداً بينهم هادياً وقائداً ومسؤولاً.

فإذا كان مراد الكاتب أن «هورقلياً» جزء من العالم المادي فقد يبدو ممكناً،

ولكنه يتضارب مع ظاهر كلامه.

هل يولد في آخر الزمان

فهمي: انا أتفق معكم على هذا القدر، وهو ضرورة الاعتقاد بوجود المهدي

كعقيدة إسلامية، إذ ان الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بشر بظهوره،

(١) ارشاد العوام لمحمد كريم خان ط کرمان سنة ١٣٨٠ هـ ج ٣ ص ٤٠١.

ولكن ما هو الضرر أو المانع في الايمان بأن المهدي الموعود لم يولد بعد وأنه متى تهيأت الظروف المناسبة وأصبح المسلمون في وضع يؤهلهم للتغيير بعث الله رجلاً من ذرية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتحمل مسؤولية ذلك، فيقيم العدل ويدحض الظلم ويجتث جذور الباطل.

نبيه: لقد ذكرت فيما مضى ان الأرض لا تخلو من إمام وأن انتفاء وجوده يعني انقراض النوع الإنساني. وعلى هذا فإن الامام موجود في كلّ العصور، وإنّ عصرنا لا يخلو من وجوده. هذا أولاً. وثانياً: إنّ النصوص والروايات قد تواترت حول شخصية المهدي، وعلامات شخصه، حتى لم يعد هناك مجال للغموض في ذلك. وبالطبع فإنّ الوقت لا يكفي لاستعراض كلّ تلك النصوص فساكتفي بهذا الفهرست، ومن ينشد المزيد يمكنه مراجعة كتب الحديث

المهدي في الروايات

- الأئمة الاثنا عشر أولهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم المهدي ... ٩١ حديثاً.
- الأئمة اثنا عشر آخرهم المهدي ... ٩٤ حديثاً.
- الأئمة اثنا عشر تسعة منهم من نسل الحسين تاسعهم المهدي ... ١٠٧ أحاديث.
- المهدي من عترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... ٣٨٩ حديثاً.
- المهدي من ولد عليّ ... ٢١٤ حديثاً.
- المهدي من ولد فاطمة ... ١٩٢ حديثاً.
- المهدي من ولد الحسين ... ١٨٥ حديثاً.

- المهدي تاسع أولاد الحسين ... ١٤٨ حديثاً.

- المهدي من ولد علي بن الحسين ... ١٨٥ حديثاً.

- المهدي من ولد الباقر... ١٠٣ أحاديث.

- المهدي من ولد الصادق... ١٠٣ أحاديث.

- المهدي السادس من ولد الصادق... ٩٩ حديثاً.

- المهدي من ولد الكاظم... ١٠١ حديثاً.

- المهدي الخامس من ولد الكاظم... ٩٨ حديثاً.

- المهدي الرابع من ولد الرضا... ٩٥ حديثاً.

المهدي الثالث من ولد الجواد... ٩٠ حديثاً.

المهدي من ولد الهادي... ٩٠ حديثاً.

المهدي ابن العسكري... ١٤٥ حديثاً.

اسم والده الحسن ١٤٨ حديثاً.

المهدي يواطئ اسمه اسم النبي وكنيته أيضاً... ٤٧ حديثاً^(١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): المهدي من ولدي اسمه اسمي

وكنيته كنيته أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً تكون له غيبة وحيرة تضلّ فيه الأمم، ثم

يقبل كالشهاب الثاقب، ويملاها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(٢).

ومن الواضح أنّ هذه الأحاديث قد حددت صفة المهدي بصورة لا يبقى فيها

مجال للشك.

(١) أخذت هذه الإحصائية من كتاب «منتخب الأثر» للسيد الصافي.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٢.

وهناك عدد محدود من الأحاديث الشريفة تشير إلى نهي الرسول أن يجمع المرء بين اسمه وكنيته .

فقد روي عن أبي هريرة نهي رسول الله عن الجمع بين اسمه وكنيته^(١). وعلى أساس هذا اعترض بعض الصحابة على عليّ يوم ولد ابنه محمّد وكنّاه بأبي القاسم قائلاً أنّ لديه ما يسوغ ذلك بإذن من رسول الله ، وقد أيّد بعض الصحابة مقولة عليّ .

فإذا أضفنا هذه الأحاديث إلى غيرها ممّا تشير إلى التشابه بين اسم المهدي وكنيته مع اسم النبيّ وكنيته ، أدركنا نهي الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) عن الجمع بين الكنية والاسم في شخص واحد .

وعلى هذا أشار محمّد بن الحنفية إلى مهديته في قوله:
أجل انا مهدي اهدي الى الرشد والخير اسمي اسم نبي الله وكنيتي كنية نبي الله ،
فاذا سلّم احدكم فليقل : سلام عليك يا محمد ، السلام عليك يا ابا القاسم^(٢) .

المهدي من ذريّة الحسين

فهمني : يقول بعض علمائنا أنّ المهدي من أولاد الحسن ، ويستندون في ذلك إلى حديث ورد في سنن أبي داود :

قال أبو اسحاق : قال علي ونظر إلى ابنه الحسن : إن ابني هذا سيّد كما سمّاه النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) وسيخرج من صلبه رجل يسمّى باسم نبيّكم

(١) الطبقات الكبرى ج ١ ص ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ج ٥ القسم الأول ص ٦٦ .

يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق»^(١).

نبيه : من المحتمل ان يكون تصحيف في الحديث فورد اسم الحسن بدل الحسين فهناك حديث يشبهه في السند وال متن موجود في كتب أخرى ورد فيه اسم الحسين بدل الحسن^(٢). هذا أولاً، وثانياً ان هذا الحديث لا يصمد أمام سيل الأحاديث المتواترة في كتب الشيعة والسنة التي تؤكد ان المهدي من ذرية الحسين (عليه السلام).
وهذه أمثلة:

- عن حذيفة ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من ولدي اسمه اسمي فقال سلمان : من أي ولدك يا رسول الله ؟ قال من ولدي هذا وضرب بيده على الحسين^(٣).
وعن ابي سعيد الخدري ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مرض مرضة ثقيلة فدخلت عليه فاطمة وأنا جالس عنده ولما رأت ما به من الضعف خنقتها العبرة، الحديث. وهو أنه ضرب على منكب الحسين وقال : من هذا مهدي هذه الامة^(٤).

وعن سلمان الفارسي قال : دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) واذا الحسين بن علي فخذ وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول : انت سيد ابن

(١) سنن أبي داود ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ٢٠٨.

(٣) ذخائر العقبى ص ١٣٦.

(٤) البيان في أخبار صاحب الزمان، الباب التاسع.

سيد أخو سيد، انت امام ابن امام أخو امام انت حجة ابن حجة أخو حجة وانت ابو حجج تسعة تاسعهم قائمهم^(١).

وأمام حشد الأحاديث التي تؤكد على أنّ المهدي من نسل الحسين يتوجب الاعراض عن الحديث الذي يشير الى ان المهدي سيكون من ذرية الحسن، وحتى لو افترضنا صحة هذا الحديث فيمكن تفسيره لصالح الأحاديث المتواترة؛ وذلك ان الحسن والحسين هما في الحقيقة من أجداد المهدي كما أن أم الإمام محمد الباقر (عليه السلام) هي من ذرية الحسن (عليه السلام).

قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لفاطمة: ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما - والذي بعثني بالحق - خيرٌ منهما؛ يافاطمة والذي بعثني بالحق إنّ منهما مهدي هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً^(٢).

لو كان بيّناً

جلال: لو كانت علامات المهدي الموعود واضحة وصفاته بيّنة لدى المسلمين في صدر الإسلام لما حاروا في الأمر ولما وقعوا في الشبهات، لكننا نرى حتى بعض أولاد الأئمة الاطهار كانوا أيضاً في جهل بحقيقة الأمر، وإلا كيف تجرأ البعض على ادعاء المهديّة لنفسه واستطاعوا بذلك خداع الناس؛ فلو كان المسلمون مطلّعين على اسم المهدي وكنيته واسم والديه وأنه الامام الثاني عشر وسائر العلامات

(١) ينابيع المودة ج ١ ص ١٤٥.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ١٨٣.

الأخرى لما وقعوا في الخطأ، فتصوروا - مثلاً - أن محمداً بن الحنفية أو محمد بن عبدالله بن الحسن (المعروف بالنفس الزكية) أو حتى الامام الصادق أو ابنه موسى الكاظم، المهدي الذي بشر به النبي.

نبيه: كما بينت سابقاً، إن فكرة المهدي كانت من الأمور المعروفة في صدر الإسلام لدى كل المسلمين، حتى إن الشك لم يعتور أحداً منهم، وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبين لعامة المسلمين هذه المسألة بشكل إجمالي عام من أنه ينهض بالأمر فيقيم العدل ويدحض الباطل ويجتث جذور الفساد، وإن الإسلام سيظهر على الدين كله، وكانت بشائر النبي أملاً للمسلمين. أما تفاصيل الموضوع فيمكن القول أنها كانت من أسرار النبي التي كان يخص بها خلفاءه في الأرض، وبعض ثقاته من الصحابة.

كان رسول الله يخص بهذه الأخبار علياً، وفاطمة وجمعاً من أمناء سرّه. ومن هنا فقد تابع الأئمة الأطهار سيرة جدّهم في ذلك، فبيّنوا ما هو عام للمسلمين، فيما ظلت التفاصيل أسراراً يتوارثها الأئمة جيلاً بعد جيل. ومن الواضح أنّ للنبي والأئمة في ذلك هدفين:

الأول: حماية المهدي من عدوان الظالمين فيما لو تعرّفوا على هويته بشكل دقيق؛ وبذلك أنقذوا حياته من الأخطار المحتملة. وكان النبي يدرك أن التفاصيل سوف تساعد في إرشاد الظالمين والجبارين في معرفة هويته وبالتالي الحؤول دون ولادته أصلاً. ولقد كانت حكومات بني أمية ثم بني العباس لا تألو جهداً في البطش والقسوة بكل من يخالف نهجها أو ينافس ملوكها في الخلافة، فكيف بالمهدي الذي يهددها بالفناء والزوال. وإذا عرفنا أنّهم يبطشون حتى بأقرب

المقرّبين اليهم إذا شَمّوا فيه رائحة المنافسة مع بقاء أصل النظام، فكيف بمن يدمّر عروشهم ويقضي على ظلمهم ويقيم دولة الحقّ؟

من أجل هذا، كان الأئمّة (عليهم السلام) يخشون حتى بعض أقاربهم ويعملون بالتقيّة دفعاً للأخطار.

ففي حديث للإمام الصادق (عليه السلام) حدّث به المفضل وأبا بصير وابان ابن تغلب:

«كذلك بنو أمية وبنو العباس لما وقفوا على ان زوال ملك الامراء والجبابرة منهم على يد القائم منا ناصبونا العداوة ووضعوا سيوفهم في قتل آل الرسول وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول الى قتل القائم ويأبى الله عز وجل ان يكشف أمره لواحد من الظلمة الا ان يتم نوره ولو كره المشركون»^(١).

وسأل أبو خالد الكابلي من الامام محمد الباقر أن يسمّي القائم «حتى اعرفه باسمه» فقال: يا أبا خالد سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه لحرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة^(٢).

الثاني: ان الأئمة كانوا يهدفون من وراء التبشير بالمهدي بثّ الأمل في النفوس المقهورة؛ حتى لا يستولي عليها اليأس والقنوط. فالأمل بحياة خالية من الظلم والفساد هو الهدف الذي تسعى إليه الإنسانية وتحلم به. لهذا كان المهدي الموعود أملاً كبيراً في نفوس المسلمين، ولكن لو عرفوا تفاصيل ظهوره ومتى سيخرج على العالم ليظهر الأرض وأنه سيمرّ وقت طويل - وربما آلاف السنين -

(١) كمال الدين ج ٢ ص ٢٣.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ط ٢ ص ٢٠٢.

فإنّ اليأس سوف يغزو النفوس ويخرجون من الدين فيتجذّر الفساد والظلم ويندثر الإسلام.

وهكذا فإنّ أملاً بظهور المهدي الذي سينتصر للحقّ والعدالة ويقضي على الفساد والانحراف سوف يحيي القلوب، فتتقرب اليوم الموعود. ومن الواضح فإنّ هذه الحالة لن تحصل إلاّ بإخفاء التوقيت الحقيقي لثورة المهدي ويوم الظهور.
قال يقطين لابنه علي:

ما بالنّا قيل لنا فكان وقيل لكم فلم يكن؟ فقال له علي: ان الذي قيل لكم ولنا من مخرج واحد غير ان امركم قد حضركم فاعطيتم محضه وكان كما قيل لكم، وان امرنا لم يحضر فعللنا بالاماني، ولو قيل ان هذا الامر لا يكون الى مائتي سنة أو ثلاثمئة سنة لقتست القلوب ولرجعت عامة الناس عن الاسلام، ولكن قالوا: ما أسرع وما أقربه تألفاً لقلوب الناس وتقريباً للفرج^(١).

أحاديث أهل البيت حجة على المسلمين كافة

فهمني: من الإنصاف أن أذكر أنّ أحاديثكم قد أوضحت بجلاء قضية المهدي، غير أنّها لا تتمتع بالاعتبار لدينا نحن أبناء العائمة.

نبيه: لا أريد أن أخوض في موضوع الإمامة والولاية، ولكنني أجد من الضروري الإشارة إلى موضوع هام وهو أن النصوص التي تصدر عن عترة النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) هي حجة على المسلمين كافة سواء الذين يعتقدون

بإمامتهم أو الذين لا يرون ذلك. فكلّ الأحاديث الشريفة والمتواترة التي صدرت عن رسول الله في هذا المضمار والتي ينقلها السنّة والشيعّة على السواء تطرح أهل البيت كمرجع للمسلمين في العلوم والشريعة؛ ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وآله وسلّم):

- «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي. ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(١).

وقد ورد هذا الحديث بأسانيد وعبارات مختلفة وأقرّوا بصحته وذكره ابن حجر في «الصواعق المحرقة»^(٢).

وعن ابن عباس عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) أنّه قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٣).

وعن أبي ذر قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم) آخذاً بيد علي فيقول: «يا علي أنت أخي وصفيي ووزيرني وأميني، مكانك مني مكان هارون من

(١) ذخائر العقبين ط القاهرة سنة ١٣٥٦ ص ١٦.

الصواعق المحرقة ص ١٤٧.

الفصول المهمة ص ٢٢ - البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٠٩.

كنز العمال ط حيدرآباد ص ١٥٣ و ١٦٧.

نظم درر السمطين لمحمد بن يوسف ط النجف ص ٢٣٢.

تذكرة خواص الأئمة لابن الجوزي ط ٣ سنة ١٢٨٥ هـ ص ١٨٢.

(٢) الصواعق المحرقة ص ١٥٠ مكتبة القاهرة - مصر.

(٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٨.

موسى الا انه لا نبي بعدي»^(١).

عن انس قال: صعد النبي المنبر فذكر قولاً كثيراً ثم قال: اين علي، فوثب اليه علي فضمه (صلى الله عليه وآله) إلى صدره وقبل بين عينيه وقال: «يا معاشر المسلمين هذا أخي وابن عمي وختني وهذا لحمي ودمي وسري وهذا أبو السبطين الحسن والحسين سيدي شباب اهل الجنة... فمن أراد ان يبرأ من الله ومني فليبرأ من علي وليبلغ الشاهد الغائب»^(٢).

ونستشف من كل هذه الأحاديث وهي مثبتة في كتب السنّة والشيعه عدّة أمور هي:

- ١- ان العترة الطاهرة مقرونة بالقرآن، وهي باقية ببقائه مستمرة باستمراره، ويمكن الاستدلال بذلك على وجود الإمام الغائب.
- ٢- إنّ المراد بالعترة هم أوصياء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الاثنا عشر.
- ٣- إنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يدع المسلمين في حيرة من أمرهم بل جعل لهم حجّة ومرجعاً وطريقاً للهداية وهو أهل بيته (عليهم السلام) فأقوالهم وأعمالهم حجّة ينبغي الاقتداء بها والسير في هداها.
- ٤- إنّ الإمام لا ينفصل بأيّ حال من الأحوال عن القرآن وسيكون همّه تطبيق الشريعة. ومن هنا يتعيّن أن يكون عالماً بأحكام الله. وكما أن القرآن هو سبيل الهدى والتمسك به نجاة من الضلالة، فكذلك الامام معصوم من الخطأ والزلل، ومن تمسك به تمسك بحبل الله المتين.

(١) اثبات الهداة ج ٢ ص ٢٥٣.

(٢) ينابيع المودة ج ١ ص ٥٤.

عليّ معدن الوحي

كثيرة هي الأحاديث والشواهد التي تؤكّد بأنّ عليّاً (عليه السلام) هو الوحيد الذي كان يستوعب أسرار النبوة وأنّه معدن الوحي، ولذا كان رسول الله يوليه عناية فائقة، فجعله مستودعاً لأسراره وعلومه وأخلاقه.

وكان عليّ يتبعه اتباع الفصيل إثر امه.

فعليّ كان يلازم الرسول ملازمة الظلّ لصاحبه. وقد تربي في حجر النبيّ^(١).

وعنه (عليه السلام) قال: كنت اذا سألت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

أعطاني واذا سكت ابتداني^(٢).

وعنه (عليه السلام) أنه لم ينس شيئاً سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله

وسلم)^(٣).

وأنّ رسول الله كان يخلو به ساعة في الليل وساعة في النهار^(٤).

وعن عليّ (عليه السلام) قال: قال رسول الله: يا عليّ اكتب ما أملي عليك.

قلت: يا رسول الله أتخاف عليّ النسيان؟ قال: لا وقد دعوت الله عزّوجلّ أن يجعلك

حافظاً ولكن اكتب لشركائك، الأئمة من ولدك، بهم تسقى أمّتي الغيث وبهم

يستجاب دعاؤهم وبهم يصرف الله عن الناس البلاء وبهم تنزل الرحمة من السماء

(١) أعيان الشيعة ط ١ ج ٣ ص ١١.

(٢) ينابيع المودة ج ١ ص ١٠٤.

(٣) أعيان الشيعة ج ٣.

(٤) ينابيع المودة ج ١ ص ٧٧.

وهذا أولهم - وأشار إلى السنن - ثم قال: وهذا ثانيهم - وأشار إلى الحسين . ثم قال: والأئمة من ولده^(١).

كتاب عليّ

لقد حبا الله عليّاً بتلك القابلية على استيعاب العلم فكان أذنّاً واعية تعي كلّ ما يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله، له ولغيره، وكان يثبت ما يسمعه وما يمليه النبيّ في كتاب، وكان الأئمة يتوارثونه من بعده.

قال بكر بن كرب الصيرفي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وإن عندنا كتاباً من إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطّ عليّ عليه السلام صحيفة فيها كلّ حلال وحرام^(٢). وقال محمّد الباقر عليه السلام مخاطباً جابر بن عبد الله الأنصاري: «يا جابر إنّنا لو كنّا نحدّثكم برأينا لكنّا من الهالكين، ولكنّا نحدّثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضّتهم»^(٣).

وعن عبد الله بن سنان انه سمع الصادق عليه السلام يقول: ان عندنا جلدأ سبعون ذراعاً أملى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه علي عليه السلام بيده وأن فيه جميع ما يحتاجون اليه حتى أرش الخدش^(٤).

(١) ينابيع المودة ج ١ ص ١٧.

(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ١ المقدمة.

(٣) جامع أحاديث الشيعة ج ١.

(٤) المصدر السابق ج ١.

ورثة العلم النبوي

يا سيّد فهمي: أنتم لا تعتقدون بإمامة أولاد النبيّ، كما أنكم وفي كلّ الأحوال تؤمنون بحجّية أحاديث الصحابة والتابعين، ومعنى هذا ان لهم نفس هذا المستوى حتى مع افتراض عدم إمامتهم، فهذا لا يسلبهم حقّ الرواية، مع ان روايتهم كما أظنّ سوف يكون لها اعتبار أكثر، فعلماء السنّة يقرّون بسموّ مقامهم العلمي ومنزلتهم الرفيعة^(١).

وطالما كان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يصرّحون مراراً وتكراراً بأنّ علمهم مستمدّ من علم النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم).
وهذه أمثلة:

- عن هشام بن سالم وحمّاد بن عثمان وغيرهما: قالوا سمعنا أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله^(٢).
أنا أنشد الإنصاف يا سيّد فهمي. أفلا تحظى أحاديث الحسن والحسين وهما سيّدا شباب أهل الجنّة، وأحاديث علي بن الحسين مع ما له من التقوى والعبادة،

(١) للمزيد من التحقيق يمكن مراجعة الكتب التالية: مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة - تذكرة خواص الأئمة - الفصول المهمة لابن صباغ المالكي - نور الأبصار للشبلنجي - الصواعق المحرقة لابن حجر - تاريخ ابن خلكان - الصفوة لأبي الفرج - روضة الصفا ج ٣ - اثبات الوصية للمسعودي.
(٢) جامع أحاديث الشيعة ج ١ المقدمة.

ومحمّد بن علي، وجعفر بن محمّد مع ما لهما من المقام العلمي.. ألا تحظي
أحاديثهم بنفس القيمة التي لأحاديث أبي هريرة وسمرة بن جندب وكعب
الأخبار؟!!

أجل إنّ رسول الله قد جعل عليّاً والأئمّة من بعده معادن علم الوحي والرسالة،
وذكّر المسلمين بذلك في كلّ مناسبة، ولكن من المؤسف أن المسلمين كانوا في
غفلة، فحرموا العلم النبويّ لأهل البيت (عليهم السلام).

جلال: ما تزال أسئلة عالقة في ذهني، ولكن الوقت قد تأخّر كما يبدو.
المهندس: اقترح أن يكون اللقاء القادم في منزلي إذا وافق الأخوة.

الحوار الخامس

هل كان للإمام العسكري ولد؟

اكتمل جمع الأصدقاء في منزل المهندس وكان ذلك ليلة السبت، وبدأ الحوار بسؤال طرحه السيّد جلال.

جلال : حسبما سمعت ان الامام الحسن توفي ولم يكن له ولد، وهذا يتضارب مع المزاعم التي تقول انّ المهدي هو ابن الامام العسكري .
نبيه : يمكن اثبات ما نقوله بعدّة طرق :

الأوّل : ورد في كثير من الأحاديث النبويّة الشريفة وكذا الأحاديث المروية عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام)، أنّه سيكون للحسن بن علي ولد ينهض بالأمر بعد غيبة طويلة، فيصلح على يديه شأن العالم ويملأ الأرض عدلاً. وقد تضافرت الروايات على هذا المضمون وبعبارات شتى. فهو في الأحاديث :

التاسع من ولد الحسين (عليه السلام).

والسادس من ولد الصادق (عليه السلام).

والخامس من ولد الكاظم (عليه السلام).

والرابع من ولد الرضا (عليه السلام).

والثالث من ولد الجواد (عليه السلام).

الثاني: أفادت كثير من الروايات بأنّ المهدي هو ابن الإمام الحادي عشر

(عليه السلام)؛ وهذه أمثلة:

- عن الصقر بن أبي دلف قال: سمعت علي بن محمّد بن علي الرضا (عليهم

السلام) يقول: إنّ الامام بعدي الحسن ابني وبعد الحسن ابنه القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً^(١).

الثالث: إنّ الإمام الحسن العسكري قد أخبر به.

عن علي بن همام قال: سمعت محمّد بن عثمان العمري يقول: سمعت أبي

يقول: سئل أبو محمّد الحسن بن عليّ (عليهما السلام) وأنا عنده عن الخبر الذي

روي عن آبائه (عليهم السلام) ان الأرض لا تخلو من حجّة لله عليّ خلقه إلى يوم

القيامة وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، فقال (عليه السلام):

«إنّ هذا حقّ كما أنّ النهار حقّ فليل له: يا بن رسول الله فمن الحجّة والإمام بعدك؟

فقال: ابني محمّد وهو الإمام والحجّة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة

جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون، ويهلك فيها المبطلون، ويكذب فيها

الوقّاتون ثم يخرج فكأنني أنظر إلى الأعلام البيض تخفق فوق رأسه بنجف

الكوفة»^(٢).

(١) اثبات الهداة ج ٦ ص ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦٠.

الرابع: أن الإمام العسكري نفسه قد بشر بعض أصحابه بميلاده:

- عن أحمد بن اسحاق قال: سمعت أبا محمد الحسن ابن علي العسكري (عليهما السلام) يقول: «الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلقاً وخلقاً يحفظه الله تبارك وتعالى في غيبته ثم يظهره فيملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

- عن أحمد بن الحسن القمي^(٢): لَمَّا ولد الخلف الصالح (عليه السلام) ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي، على جدِّي أحمد بن اسحاق كتاب وإذا فيه مكتوب بخط يده (عليه السلام) الذي كان يرد به التوقيعات عليه: ولد المولود فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً فإنا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته والمولى لولايته أحببنا اعلامك ليسرّك الله به كما سرّنا والسلام.

- قال أبو جعفر العمري^(٣): لَمَّا ولد الخلف المهدي صلوات الله عليه سطع نور من فوق رأسه إلى عنان السماء ثم سقط لوجهه ساجداً لرّبّه - تعالى ذكره - ثم رفع رأسه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، إن الدين عند الله الاسلام. وكان مولده ليلة الجمعة.

ويستفاد من مجموع هذه الأحاديث أنه كان للإمام الحسن العسكري ولد وهو

المهدي (عليه السلام).

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦١.

(٢) اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٣٢.

(٣) بحار الأنوار ج ١ ص ١٦.

رؤية المهدي في صباه

الدكتور: كيف يعقل ان يولد صبي ويبقى ميلاده سراً، ثم تمرّ خمسة أعوام فلا يعرف ذلك أحد؟ لقد كان الإمام العسكري يعيش في سامراء وكان يلتقي الناس والناس يزورونه، فكيف يبقى الأمر سراً ثم نصّدق رجلاً واحداً هو عثمان بن سعيد؟

نبيه: صحيح أن الأمر وفي تلك الظروف ينبغي أن يبقى طيّ الكتمان ولكن المصلحة اقتضت أن يطلع البعض على ذلك السرّ الخطير وهذه نماذج:
- لقد شهدت حكيمة وهي بنت الإمام محمّد الجواد ميلاد المهدي وروت ذلك بالتفصيل:

بعث الي ابو محمد (عليه السلام) سنة خمس و خمسين ومائتين في النصف من شعبان وقال: يا عمّة اجعلي الليلة إفطارك عندي فان الله عز وجل سيسرك بوليه وحجته علي خلقه خليفتي من بعدي. قالت حكيمة: فتداخمني لذلك سرور شديد وأخذت ثيابي عليّ وخرجت من ساعتني حتى انتهيت الي ابي محمد (عليه السلام) وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله فقلت: جعلت فداك يا سيدي، الخلف ممن هو؟ قال من سوسن، فأدرت طرفي فيهن فلم أر جاريه عليها أثر غير سوسن.

قالت حكيمة: فلما ان صليت المغرب والعشاء الآخرة أتيت بالمائدة فأفطرت انا وسوسن وبايتها في بيت واحد، فغفوت غفوة ثم

استيقظت ، فلم أزل مفكرة فيما وعدني أبو محمد (عليه السلام) من أمر ولي الله ، فقممت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كل ليلة للصلاة ، فصليت صلاة الليل حتى بلغت الى الوتر ، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب فقممت لأنظر فإذا بالفجر الأول قد طلع ، فتداخل قلبي الشك من وعد أبي محمد فناداني من حجرته : لا تشكي ، وكأنك بالامر الساعة قد رأيته ان شاء الله تعالى .

قالت حكيمة : فاستحييت من أبي محمد ومما وقع في قلبي ورجعت الى البيت وأنا خجلة فاذا هي قد قطعت الصلاة وخرجت فزعة فلقيتها على باب البيت فقلت : بأبي انتِ وأمي هل تحسّين شيئاً؟ قالت : نعم يا عمة إني لأجد أمراً شديداً . قلت : لا خوف عليك ان شاء الله تعالى ، وأخذت وسادة فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة ، فقبضت على كفي وغمرت غمزة شديدة ثم أنتِ أنّه وتشهدت ونظرت تحتها فاذا انا بولي الله صلوات الله عليه متلقياً الارض بمساجده ، فأخذت بكتفيه فأجلسته في حجري فاذا نظيف مفروغ منه ، فناداني ابو محمد : يا عمة هلمي فأتيني بابني ، فأتيته به فتناوله وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحها ثم أدخله في فيه فحنكه ثم في أذنيه وأجلسه في راحته اليسرى فاستوى ولي الله جالساً فمسح يده على رأسه وقال له : يا بني انطق بقدره الله ، فاستعاذ وليّ الله من الشيطان الرجيم واستفتح : بسم الله الرحمن الرحيم ونريد ان نمّن على الذين استضعفوا في الارض

ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكّن لهم في الأرض ونري
 فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون.
 وصلى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى أمير
 المؤمنين والائمة واحداً واحداً حتى انتهى إلى أبيه. فناولنيه أبو محمد
 وقال يا عمه ردّيه إلى أمّه حتى تفر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد
 الله حق ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

فرددته إلى امه وقد انفجر الفجر، فصليت الفريضة وعقبت إلى ان
 طلعت الشمس ثم ودعت أبا محمد (عليه السلام) وانصرفت إلى
 منزلي، فلما كان بعد ثلاث اشتقت إلى ولي الله فصرت اليهم فبدأت
 بالحجرة التي كانت سوسن فيها فلم أرا أثراً ولا سمعت ذكراً فكرهت
 ان أسأل، فدخلت على أبي محمد فاستحييت ان أبدأ بالسؤال فبدأني
 فقال: هو يا عمّة في كنف الله وحرزه وستره وغيبه حتى يأذن الله له،
 فاذا غيب شخصي وتوفاني ورأيت شيعتي قد اختلفوا فأخبري الثقات
 منهم وليكن عندك وعندهم مكتوماً فان ولي الله يغيبه الله عن خلقه
 ويحجبه عن عباده فلا يراه أحد^(١).

- روت ماريّة ونسيم وكانتا خادمين في منزل الإمام الحسن^(٢):

لما سقط صاحب الزمان (عليه السلام) من بطن امه سقط جاثياً على ركبتيه؛

ثم عطس فقال: الحمد لله ربّ العالمين.

(١) الغيبة للشيخ الطوسي ص ١٤١ - ١٤٢.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ٢٩٢ - اثبات الوصية ص ١٩٧.

- وقال أبو غانم الخادم: ولد لابي محمد (عليه السلام) ولد فسماه محمداً فعرضه على أصحابه يوم الثالث وقال: هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتد إليه الأعناق بالانتظار، واذا امتلأت الارض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً^(١).

- وروى أبو علي الخيزراني عن جارية كان قد وهبها للإمام الحسن أنها كانت حاضرة يوم ولد صاحب الامر وان اسم امه صقيل^(٢).

- وقال الحسن بن الحسين العلوي: دخلت على أبي محمد الحسين بن علي (عليه السلام) بـ (سر من رأى) فهنأته بولادة ابنه^(٣).

- وقال عبدالله بن عباس العلوي: وردت على أبي محمد بسر من رأى فهنأته بولادة ابنه^(٤).

- وقال حزة بن أبي الفتح جاءني الحسن بن المنذر يوماً فقال لي: البشارة، ولد البارحة في الدار مولود لابي محمد وأمر بكتمانه. قلت وما اسمه. قال: سمي بمحمد (عليه السلام)^(٥).

- وقال أحمد بن اسحاق: دخلت على ابي محمد الحسن بن علي (عليه السلام) وأنا أريد ان أسأله عن الخلف بعده فقال لي مبتدئاً: يا احمد بن اسحاق ان

(١) اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٣١.

(٢) منتخب الأثر ص ٣٤٣.

(٣) اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٣٣.

(٤) اثبات الهداة ج ٧ ص ٢٠.

(٥) اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٣٢.

الله تبارك وتعالى لم يُخل الأرض منذ خلق آدم ولا تخلو إلى يوم القيامة من حجة الله على خلقه. (به) يدفع البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث وبه يخرج بركات الأرض^(١).

- وعن معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب ومحمد بن عثمان العمري قالوا:
عرض علينا أبو محمد الحسن بن علي (عليه السلام) ابنه ونحن في منزله
وكنا اربعين رجلاً فقال: هذا امامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوا ولا تتفرقوا
من بعدي فتهلكوا في اديانكم، اما انكم لا ترونه بعد يومكم هذا^(٢).

- وروى جعفر بن محمد بن مالك عن جماعة من الشيعة قالوا: اجتمعنا إلى ابي
محمد الحسن بن علي (عليه السلام) نسأله عن الحجة من بعده وفي مجلسه اربعون
رجلاً، فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال: يا بن رسول الله اني اريد أن
اسألك عن أمر انت اعلم به مني فقال له: اجلس يا عثمان، فقام مغضباً ليخرج
فقال: لا يخرجن احد، فلم يخرج أحد إلى ان كان بعد ساعة، فصاح بعثمان، فقام
قائماً على قدميه، فقال: أخبركم بما جئتم له؟ فقالوا: نعم يا بن رسول الله. قال:
جئتم تسألوني عن الحجة بعدي. قالوا: نعم؛ فاذا غلام كأنه فلقه قمر^(٣).

- وقال أبو هارون: رأيت صاحب الزمان ووجهه كأنه القمر ليلة البدر^(٤).
- ويقول يعقوب: دخلت على ابي محمد الحسن بن علي وهو جالس على

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥.

(٣) اثبات الهداة ج ٦ ص ٣١١.

(٤) المصدر السابق ج ٧ ص ٢٠.

دكان في الدار وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل فقلت يا سيدي من صاحب هذا الامر؟ قال ارفع هذا الستر، فرفعته فخرج غلام خماسي له عشر أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبينين، ابيض الوجه^(١).

- وعن عمرو الأهوازي قال: أراني ابو محمد ابنه وقال: هذا صاحبكم من بعدي^(٢).

- وقال الخادم الفارسي: كنت بباب الدار خرجت جارية من البيت ومعها شيء مغطى فقال لها أبو محمد اكشفي عما معك، فكشفت، فاذا غلام ابيض حسن الوجه فقال: هذا امامكم من بعدي. فما رأيته بعد ذلك^(٣).

- وقال أبو نصر الخادم: دخلت على صاحب الزمان وهو في المهد^(٤).

- وقال أبو علي بن مطهر: رأيت ولد أبي محمد وله قدر جليل^(٥).

- وعن كامل بن ابراهيم: دخلت على ابي محمد الحسن وعلى باب البيت ستر فجاءت الريح فكشفت طرف الستر فاذا غلام كأنه القمر فقال ابو محمد: يا كامل قد أنباك بحاجتك هذا الحجة من بعدي^(٦).

- وعن سعد بن عبدالله: رأيت مولاي أبا محمد وعلى فخذ غلام^(٧).

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٤٢٥.

(٢) المصدر السابق ج ٧ ص ١٦.

(٣) ينابيع المودة الباب ٨٢.

(٤) اثبات الهداة ج ٧ ص ٣٤٤ - اثبات الوصية ص ١٥٨.

(٥) ينابيع المودة الباب ٨٢.

(٦) اثبات الهداة ج ٧ ص ٣٢٣ - ينابيع المودة الباب ٨٢.

(٧) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٧٨ و ٨٦.

- وعن حمزة بن نصير غلام أبي الحسن عن أبيه قال: لما ولد السيد تباشر أهل الدار بذلك، فلما نشأ خرج الأمر إلى أن ابتاع في كل يوم مع اللحم قصب مخ، وقيل إن هذا لمولانا الصغير^(١).

- وقال إبراهيم بن محمد: لما همّ الوالي عمرو بن عوف بقتلي غلب علي خوف عظيم فودّعت أهلي وتوجهت إلى دار أبي محمد لأودّعه وكنت أردت الهرب فلما دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً في جنبه فقال: هو ابني وخليفتي من بعدي^(٢).

وهؤلاء ثقة كان بعضهم أصحاباً للإمام وكان بعضهم يعيش في منزله، وقد شهدوا جميعاً ولادة المهدي أو شاهده، وهذا ما يعزز الأخبار التي وردت عن النبي وآله (عليهم السلام).

الوصية

المهندس: يقال أن الإمام قد أوصى قبل وفاته إلى أمّه وقد ثبت ذلك لدى القضاء آنذاك، ولم يرد لأبنه ذكر في الوصية كما وقد قسّم الميراث بعد وفاته بين أمّه وأخيه^(٣)، ولو كان له ولد لورد له ذكر في الوصية حتى لا يحرم من الميراث. نبيه: لقد عمد الإمام الحسن إلى إخفاء الأمر عمداً خوفاً من بطش الحاكمين،

(١) اثبات الهداة ج ٧ ص ١٨ - اثبات الوصية ص ١٩٧.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ٣٥٦ - ومن أجل المزيد من أخبار ولادة الإمام المهدي يمكن الرجوع إلى « تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي » لهاشم البحراني / بحار الأنوار ج ٥٢ الباب ١٧ و ١٩.

(٣) أصول الكافي باب ولادة أبي محمد الحسن بن عليّ (عليهما السلام).

وقد ذكرنا كيف انّ الامام كان يخفي ولادته حتى عن أصحابه إلا قليلاً منهم .
 يقول ابراهيم بن إدريس: وجه إليّ مولاي أبو محمّد (عليه السلام) بكبش
 وقال: عقه عن ابني فلان وكل واطعم أهلّك . ففعلت ثم لقيتّه بعد ذلك فقال لي:
 المولود الذي ولد لي مات ثم وجّه إليّ بكبشين وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم عقّ
 هذين الكبشين عن مولاك وكل هنّاك الله وأطعم إخوانك . ففعلت ، ولقيتّه بعد ذلك
 فما ذكر لي شيئاً^(١) .

كما انّ الامام الصادق ولكي يخفي وصيّته قد عمد إلى عمل مشابه إذ أوصى
 إلى خمسة أشخاص؛ وهم المنصور العباسي الخليفة آنذاك ومحمّد بن سليمان والي
 المدينة، وعبدالله وموسى وهما ولداه إضافة إلى زوجته حميدة^(٢) . وكان هذا
 الاجراء خوفاً من الإمام على حياة وصيّته الكاظم (عليه السلام) من الأخطار . ولقد
 صدق حدس الإمام لأن المنصور كان قد أصدر أمراً بقتل الوصي .

لماذا بقي الآخرون في جهل بولادته

فهمني: عادة ما يطّلع الآخرون عندما يولد لأحدهم صبي، خاصّة الجيران
 والأقارب والأصدقاء، ويزداد الاحتمال قوّة لو كان الشخص معروفاً حتى لا يحدث
 اختلاف فيمن يرثه، فكيف يمكن ذلك وهذا الشخص هو الإمام الحسن العسكري
 الذي يحظى بمنزلة سامية لدى الشيعة، هل يعقل أن يرزقه الله ولداً ويبقى الناس في
 غفلة عن ذلك .

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢ - اثبات الهداة ج ٧ ص ٧٨ - اثبات الوصية ص ١٩٨ .

(٢) أصول الكافي باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن موسى (عليه السلام) .

نبيه: عندما تكون الظروف عادية فإنّ كلامك منطقي تماماً، ولكن الإمام الحسن كان يعيش ظروفاً استثنائية؛ ولهذا كان يتّخذ جانب الحذر الشديد في إخفاء ولادته. وهناك من الروايات الكثير عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة تشير إلى أنّ خفاء ولادته هو أحد علاماته.

عن سعيد بن جبير عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: القائم منّا تخفى ولادته على الناس حتى يقولوا: لم يولد بعد، ليخرج حين يخرج وليس لأحد في عنقه بيعة^(١).

وعن عبدالله بن عطا قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) إنّ شيعتك بالعراق كثير، والله ما في أهل البيت مثلك، كيف لا تخرج؟ فقال: يا عبدالله بن عطا، قد أمكنت الحشوة من أذنك، والله ما أنا بصاحبكم، قلت: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من تخفى على الناس ولادته فهو صاحبكم^(٢).

فهمني: ترى لماذا أخفى الإمام ولادته على الناس وتركهم في حيرة من أمرهم؟!

نبيه: كما ذكرت سابقاً إن موضوع المهدي بات من المسائل الحساسة جداً منذ صدر الإسلام، وكانت أحاديث النبي والأئمة تدور بين أذهان عامّة المسلمين، وهم يدركون أن المهدي الذي بشر به النبي سيكون من ولد فاطمة (عليها السلام) ومن ذرية الحسين (عليه السلام). وكان الحاكمون يدركون ذلك تماماً ويعلمون أنّ دولتهم ستزول على يديه، ولهذا كانوا متأهبين لدفع الأخطار مهما كان الثمن.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق ج ٥١ ص ٣٤.

ومن أجل هذا كانت منازل بني هاشم تخضع لمراقبة شديدة خاصة منزل الإمام الحسن العسكري، فقد كان هناك جواسيس في العلانية والسرّ يراقبون ما يجري في بيت الإمام.

فالتاريخ ينقل ان المعتمد الخليفة العباسي عيّن عدّة من النسوة اللاتي يعملن قابلات فكن يترددن بين الحين والآخر على منازل وبيوت بني هاشم للتفتيش. وعندما اطّلع المعتمد على خبر يفيد بمرض الإمام أرسل جواسيسه لتكثيف المراقبة ليل نهار، وفتّش منزل الإمام أكثر من مرّة، والأنكى من هذا كله أنّه أمر بعض النسوة القابلات بإجراء فحوصات والتأكد من حالات الحمل حتى لدى الجوّاري؛ وقد أبدت إحدى القابلات شكوكاً حول إحدى الجوّاري فتمّ اعتقالها واحتجازها في القصر، وعيّن الخليفة «نحرير الخادم» مراقباً عليها، ولم يطلق سراحها إلا بعد أن تأكّد لهم عدم حملها.

ولما توفي الإمام الحسن أصدر الخليفة أمراً يقضي بتفتيش جميع بيوت المدينة والتحقيق في الصبي الموعود^(١).

فكيف يتصرّف الإمام في جوّ خائق مليء بالجواسيس والعيون، وكيف يتسنى له حماية ولده من بطش الطغاة؟

وأمامنا القرآن الكريم الذي تعرّض أكثر من مرّة إلى قصّة سيّدنا موسى بن عمران (عليه السلام) وكيف ان فرعون أمر باحتجاز النسوة الحوامل في بني اسرائيل وقتل جميع الأطفال الذكور، ومع ذلك فقد ظلّ حمل أم موسى خافياً كما

(١) أصول الكافي - إرشاد المفيد - أعلام الوري - كشف الغمة .

ظلت ولادته خافية لأمرٍ قدّره الله سبحانه.

غير أننا نرى الإمام الحسن مع كلّ تلك الظروف الرهيبة يطلع بعض أصحابه المخلصين على ولادته، فرآه بعضهم أكثر من مرّة وكان يشدّد عليهم في إخفاء أمره.

أم المهدي

جلال: ما كان اسم والدته؟

نبيه: ذكرت لأُمَّه أسماء عديدة منها: نرجس، صقيل، ريحانة، سوسن،

حكيمة، مريم، ويعود هذا الاختلاف إلى جملة من العوامل:

الأوّل: تعدّد الجوّاري اللاتي كنّ في منزل الإمام الحسن.

عن حكيمة عمّته قالت: انتهيت إليه وهو جالس في صحن داره وجوّاريه

حوله فقلت: جعلت فداك يا سيّدي، الخلف ممّن هو؟ قال: من سوسن^(١).

وفي رواية أخرى عن حكيمة أيضاً تقول: دخلت عليه فقلت له كما أقول

ودعوت كما أدعو، فقال: يا عمّة أما أن الذي تدعين الله أن يرزقنيه يولد في هذه

الليلة.. فاجعلي إفطارك معنا. فقلت: ياسيدي ممّن يكون هذا الولد العظيم؟ فقال

(عليه السلام): من نرجس يا عمّة^(٢).

وهناك روايات أخرى ترد فيها أسماء أخرى وكلّها تدلّل على أن له جوّاري

عديدات.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٧.

الثاني: كما أشير سابقاً أن الظروف التي تحيط ميلاد الإمام كانت خطيرة، فكلّ المؤشرات كانت تؤكّد توجس السلطات من قرب ولادته ولذا أحاطوا حياة الإمام الحسن بالجواسيس بل تعدت المراقبة لتشمل كلّ بيوت بني هاشم والقبض على كل صبي في المهدي.

وبعد التأكيد على هذين العاملين ينبغي القول: ان الله سبحانه قد قدر ولادته رغم كلّ الظروف الخائفة وكانت إرادته الغالبة ولا رادّ لأمره، وهناك مؤشرات لليد الغيبية التي أمّده بأسباب البقاء:

- لم تظهر على والدته آثار الحمل حتى ليلة المخاض.

- لم يذكر الإمام الحسن اسم والدته لأحد مبالغة في الاحتياط.

- لم يشهد الولادة أحد سوى عمّة الامام الحسن السيّدة حكيمّة وبعض

الجواري.

وهكذا تمّ أمر الله، ففي قلب الظلام من ليلة النصف من شعبان ولد الصبي

الموعود في جوّ يسوده الحذر والكتمان.

وتمرّ الأيام، ولا يشعر أحد بذلك؛ لهذا ثار جدل حول الموضوع، وأنكر

الكثير من أصحاب الإمام موضوع ولادته، كما ثار خلاف لدى المؤمنين حول اسم

والدته، فمن قائل أنّها نرجس، أو صقيّل، أو انها ريحانة أو سوسن حتى ان السيّدة

حكيمّة - ولكي يبقى الموضوع خافياً - كانت تقول مرّة أن نرجس هي أم المهدي

ومرّة أخرى تصرّح أنّها سوسن. وبالطبع لا تخفى المصلحة في هذا الاختلاف

ودوره في حفظ الصبي من الأخطار المحدقة.

عن أحمد بن ابراهيم قال دخلت على حكيمّة بنت محمد بن علي الرضا في

سنة اثنتين وستين ومائتين بالمدينة فكلمتها من وراء حجاب وسألتها عن دينها فسمت لي من تأتمّ به ثم قالت: فلان بن الحسن فسّمته، فقلت لها: جعلني الله فداك معاينة أو خبراً، فقالت: خبراً عن أبي محمد كتب به إلى أمّه فقلت لها: فأين المولود فقالت: مستور، فقلت: فألى من تفرع الشيعة؟ فقالت: إلى الجدّة ام أبي محمد فقلت: اقتدى في وصيته إلى المرأة؟ فقالت: اقتداء بالحسين بن علي بن أبي طالب، ان الحسين أوصى إلى اخته زينب بنت علي في الظاهر، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين من علم ينسب إلى زينب بنت علي تستراً على علي بن الحسين، ثم قالت: انكم قوم اصحاب اخبار، اما رويتم ان التاسع من ولد الحسين يقسم ميراثه وهو في الحياة^(١).

وفي هذه الرواية نجد ان السيّدة حكيمة كتبت شيئاً ونسبت ولادة المهدي إلى والدة الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في حين نراها في رواية أخرى تفصل الموضوع وتكون هي الشاهد الأساس في ولادته وأنها تحدثت مع المهدي في صباحه أكثر من مرّة. وتقول: والله اني لأراه صباحاً ومساءً وانه لينبؤني عما تسألوني^(٢).

وهناك حادث له دلالته، فقد نشب خلاف في إرث الإمام الحسن بين أخيه وأمه، ولا يستبعد أن يكون الحادث قد تمّ بتحريض «جعفر» المعروف بالكذاب وكان على صلوات وثيقة بالسلطة من أجل إثارة خلاف يمكن أن يكون عاملاً في الكشف عن وجود ابن للإمام الحسن العسكري، ولقد كانت الخلافة العباسية

(١) كمال الدين ج ٢ ص ١٧٨.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ٩٩-١٠٣.

تتوجس من وجود الصبي الذي سيكون بقاؤه سبباً في زوالها.

يذكر الصدوق في كتابه كمال الدين: قدمت ام ابي محمد واسمها (حديث) حين اتصل بها الخبر الى «سرّ من رأى» فكانت لها اقاصيص يطول شرحها مع أخيه جعفر ومطالبته اياها بميراثه وسعايته بها الى السلطان، وكشف ما امر الله عز وجل، فادعت عند ذلك (صقيل) انها حامل، فحملت الى دار المعتمد، فجعل نساء المعتمد وخدمه ونساء الموفق وخدمه ونساء القاضي ابن ابي الشوارب يتعاهدون امرها في كل وقت ويراعونه الى ان ادهمهم امر الصفار وموت عبد الله بن يحيى ابن خاقان بغتة وخروجهم من (سر من رأى) وأمر صاحب الزنج بالبصرة وغير ذلك فشغلهم ذلك عنها^(١).

ومن المحتمل أن تكون الأسماء التي وردت حول أمّه تعود إلى جارية واحدة هي أمّه، فمن عادة العرب آنذاك مناداة من يكرّمونه بعدّة أسماء، وهناك رواية تعضد هذا الاحتمال أوردها الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين، بسنده عن غياث أنّه قال: ولد الخلف المهدي صلوات الله عليه يوم الجمعة واهمه ريحانة ويقال لها نرجس ويقال لها صقيل ويقال لها سوسن الاّ انه قيل لسبب الحمل صقيل^(٢).

وفي ختام حديثي أقول أنّه بالرغم من وجود اختلاف في اسم الأم إلاّ أن هذا لا يחדش في أصل الموضوع، فقد تضافرت الروايات والأخبار حول ولادته، خاصّة وقد أكّدت السيدة حكيمة ذلك مرّات عديدة وهي امرأة جلييلة القدر موثوقة الرواية إضافة إلى كثير ممّن رأوا الصبي فيما بعد في منزل والده.

(١) كمال الدين ج ٢ ص ١٤٩.

(٢) المصدر السابق ج ٢ ص ١٠٦.

المهدي لدى علماء السنّة

فهمي: لو كان للإمام الحسن العسكري ولد لورد له ذكر في كتب السنّة.

نبيه: لقد أثبت بعض مؤرخي السنّة ولادته. وهذه أمثلة:

- ذكر محمّد بن طلحة الشافعي: اسمه (محمّد) وكنيته (أبو القاسم) وأنه ولد

سنة (٢٥٨) هـ في سامراء وان اسم والده الحسن الخالص ومن ألقابه الحجّة،
والخلف الصالح والمنتظر.

ثمّ يورد بعض أحاديث المهدي ويعدّ ذلك مصداقاً لابن الإمام العسكري، وهو

الآن غائب، وسيظهر فيما بعد^(١).

- وذكره محمّد بن يوسف بعد إشارة إلى وفاة أبيه: وأن الإمام الحسن لم يخلف

إلاً ولداً ويقال أنه المهدي المنتظر^(٢).

- وأورد ابن قزاوغي بعد بيان أحوال أبيه الحسن: اسمه (محمّد) وكنيته (أبو

عبدالله) و «أبو القاسم»، وأنه الحجّة صاحب الزمان والقائم المنتظر، وبه تختتم

الإمامة. ثم سجّل بعض أخباره^(٣).

- وذكره ابن الصباغ المالكي في الفصل الثاني عشر في أحوال أبي القاسم

محمّد الحجّة، الخلف الصالح ابن أبي محمّد الحسن الخالص، وهو الإمام الثاني

(١) مطالب السؤل ط سنة ١٢٨٧ هـ ص ٨٩.

(٢) كفاية الطالب ص ٣١٢.

(٣) تذكرة خواص الأمة ص ٢٠٤.

عشر لدى الشيعة، ثم أثبت تاريخه، وبعض أخباره^(١).

- وذكره الشبلنجي في كتابه «نور الأبصار» محمّد بن الحسن العسكري وأمّه أمّ ولد يقال لها نرجس أو صقيل أو سوسن، وكنيته أبو القاسم، وتقول الإمامية أنّه الحجّة والمهدي والخلف الصالح والقائم المنتظر وصاحب الزمان^(٢).

- كما ذكره ابن حجر في كتابه «الصواعق المحرقة» بعد بيان أحوال أبيه، وإن الحسن لم يخلف غيره، وكنيته أبو القاسم، وكان له من العمر خمس سنوات عند وفاة أبيه^(٣).

- وذكره أيضاً محمّد أمين البغدادي في «سبائك الذهب»... ومحمّد الذي يدعى بالمهدي كان له خمس سنين عند وفاة والده^(٤).

- وأورد ذلك ابن خلكان في «وفاة الأعيان»: أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر لدى الإمامية، يعتقد الشيعة أنّه المنتظر والقائم والمهدي^(٥).

- وأورد أمير خواند ذلك أيضاً في «روضة الصفا»: محمّد بن الحسن، كنيته أبو القاسم، تقول الإمامية أنّه الحجّة والقائم والمهدي^(٦).

- وذكره الشعراني في «اليواقيت والجواهر»: المهدي ابن الإمام الحسن

(١) الفصول المهمة ط ٢ ص ٢٧٣ و ٢٨٦.

(٢) نور الأبصار ط مصر ص ١٦٨.

(٣) الصواعق المحرقة ص ٢٠٦.

(٤) سبائك الذهب ص ٧٨.

(٥) وفاة الأعيان ط سنة ١٢٨٤ ج ٢ ص ٢٤.

(٦) روضة الصفا ج ٣.

العسكري ولد في النصف من شعبان سنة ٢٥٥، وأنه حيّ وسيبقى حتى نزول عيسى، وقد مضى له من العمر حتى سنة «٩٥٨ هـ» ٧٠٣ أعوام^(١).

- وأورد الشعراني ما ذكره ابن عربي في كتابه «الفتوحات المكيّة» يخرج المهدي عندما تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً فيملأها قسطاً وعدلاً وهو من ذريّة رسول الله ومن نسل فاطمة (عليها السلام) جدّه الحسين وأبوه الحسن العسكري ابن الإمام علي النقي ابن الإمام محمّد التقي ابن الإمام علي الرضا ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمّد الباقر، ابن الإمام زين العابدين ابن الحسين بن عليّ بن أبي طالب^(٢).

- وذكر الخواجة يارسا في كتابه «فصل الخطاب»: اسمه (محمّد)، وأنه ابن (الإمام الحسن العسكري). وذكر ولادته (سنة ٢٥٥) في النصف من شعبان، واسم أمّه (نرجس) وكان له من العمر خمس سنين لما توفي والده، وهو غائب منذ ذلك الزمان، وهو الإمام المنتظر لدى الشيعة، وقد ثبت وجوده لدى الخواص والثقة من أهله، وقد مدّ الله في عمره كما مدّ عمر الخضر والياس^(٣).

- وذكره الحنبلي (أبو الفلاح) في شذرات الذهب^(٤).

- والذهبي في «العبر في خبر من غير»^(٥).

(١) اليواقيت والجواهر للشعراني ط ١ سنة ١٣٥١ ج ٢ ص ١٤٣.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣.

(٣) تقياً عن ينابيع المودّة ج ٢ ص ١٢٦.

(٤) شذرات الذهب ط بيروت ج ٢ ص ١٤١.

(٥) العبر في خبر من غير ط الكويت ج ٢ ص ٣١.

- والحموي، وأثبت ولادته سنة ٢٥٩ في سامراء^(١).
وهذا غيظ من فيض، فهناك العديد من علماء ومؤرخي السنّة ممن سجّل
ولادة المهدي وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام^(٢).
وفي ختام هذا البحث افترق الأصدقاء على أمل اللقاء في ليلة السبت القادم
في منزل السيّد جلال.

(١) تاريخ المنصوري نسخة مصورة عن نسخة موسكو ص ١١٤.

(٢) وللمزيد يمكن الرجوع إلى «كشف الاستار» لحسين بن محمد تقي النوري و«كفاية الموحدين»

للطبرسي ج ٢.

الحوار السادس

سأل السيّد فهمي: لو آمتنا بأن للإمام الحسن ولداً، فكيف يمكن أن يكون إماماً، وهو ما يزال صبيّاً في الخامسة من عمره.

نبيه: أنتم تتصورون أنّ مقام النبوة والإمامة مقام ظاهري لا يتطلّب استعداداً ذاتياً، فمن الممكن مثلاً انتخاب أبي سفيان بدل محمّد بن عبد الله أو يكون طلحة والزبير محلّ علي بن أبي طالب؛ غير أنّ الأخبار والروايات المنقولة عن أهل البيت (عليهم السلام) لا تصور الأمر هكذا، لأنّ النبوة مقام رفيع ووسام عظيم لا يتقلّده إلاّ المؤهل لهذه المنزلة، وهو من يختاره الله لذلك، ويوحى إليه علمه وأمره ونهيه، ويكون معصوماً عن الخطأ، بعيداً عن الزلل، وهكذا بالنسبة للإمامة، فهي مقام شامخ ومنزلة رفيعة. فالإمام في منزلة النبيّ من حيث العصمة وله ما للنبيّ عدا الوحي، فهو المثال والحجّة الذي اختاره الله لعباده.

ومن هنا يكون الإمام - بل ينبغي له أن يكون - في الدرجة الرفيعة من الكمال الإنساني والاستعداد الروحي والقدرات العقلية حتى يكون محلاً للحقائق الكلّية

والإفاضات الغيبية، فلا يتطرق إليه الخطأ ولا يتسلل إليه النسيان.

وإذن فإن النبيّ والإمام لهما امتيازات دون سائر البشر واستعداد ذاتي خصهما الله به، وهو موجود فيهما منذ الصغر، ولكن متى توافرت الظروف وانتفت الموانع عرف بأنه إمام أو نبي فيتحمل مسؤوليته في إبلاغ الشريعة والحفاظ عليها.

قال سبحانه في كتابه المجيد: «فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم مَنْ كان في المهد صبياً. قال اني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبياً. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمتُ حياً»^(١).

وهذه الآيات تدلّ على ان سيدنا عيسى كان نبياً منذ أن كان في المهد صبياً. وعلى هذا فما هو المانع في أن يكون صبي في الخامسة إماماً منصوباً من قبل الله لحفظ شريعته، ومبلغاً لها؟ والتاريخ يؤكد أن الإمام محمّداً الجواد كان له من العمر سبعة أو تسعة أعوام يوم أصبح إماماً، حتى تردّد بعض الشيعة في إمامته؛ ولهذا تعرّض له العلماء بأمّهات المسائل المعقّدة، فكان يجيب عنها، كما شهدوا له كراماتٍ أزال ما علق في أذهانهم من شكوك.

وكان الإمام الرضا (عليه السلام) ينوّه بإمامته وخلافته، وعندما يواجه إشكالاتهم وأنه ما يزال صغيراً، كان يحتجّ عليهم بعيسى ابن مريم - كان نبياً وهو في المهد. كما أنّ علياً الهادي كان إماماً، وكان له يوم توفي والده ست سنين وخمسة أشهر فقط. وهكذا يا سيّد فهمي فإننا أمام هذه الظواهر لا يمكننا إخضاع الأئمة لمقاييس الأفراد العاديين.

العباقره من الصغار

انا نشاهد في بعض الأحيان بروز طفل يمتاز بذكاء حادّ يفوق رجلاً في الأربعين.

فلقد كان «ابن سينا» واحداً من اولئك القلائل الذين نبغوا وهم في السني الأولى من أعمارهم، فقد تعلّم القرآن والآداب وكان يحفظ كلّ ما يسمعه من معلمه، وأرشده معلمه إلى كتب عديدة منها «الصفات» و «غريب المصنف» و «أدب الكاتب» و «إصلاح المنطق» و «العين»، و «الشعر والحماسة» و «ديوان ابن الرومي» و «تصريف المازني» و «نحو سيبويه» فحفظها كلّها في عام ونصف. ولولا تأخير المعلم له لحفظها في أقلّ من هذه المدّة على ما نقل هو، وكان محطّ إعجاب أهل بخارى. تعلّم الفقه وكان يفتي على مذهب أبي حنيفة وهو في الثانية عشرة من عمره، وكتب «القانون في الطب» وهو في السادسة عشرة حتى رأى نفسه مبرزاً في كلّ العلوم وهو في الرابعة والعشرين من عمره! (١).

ونقل عن «الفاضل الهندي» أنّه أحاط بعلوم المعقول والمنقول ولمّا يبلغ الثالثة عشرة من العمر، وشرع يؤلّف الكتب وهو دون الثانية عشرة (٢).

وكان «توماس يونغ» من كبار العلماء الانجليز، تعلّم القراءة وهو في الثانية من العمر، ودرس الرياضيات وهو في الثامنة ودرس اللغات الأجنبية ما بين التاسعة والرابعة عشرة مستغلاً أوقات الفراغ فقط فأتقن لغات عديدة كالفرنسية

(١) هدية الأحباب ط طهران سنة ١٣٢٩ ص ٧٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٨.

والايطالية والعبرية والفارسية والعربية، وقدّم للجامعة الملكية وهو في العشرين نظريته في الرؤية، وبين فيها كيفية تأثير تحدّب زجاجية العين في وضوح الرؤية^(١).

ولو تصفحت تاريخ الشرق والغرب لوجدت العشرات من العباقرة الذين نبغوا في طفولتهم.

يا سيد فهمي! عندما يحبو الله هؤلاء الصغار بنعمة العقل والنبوغ حتى ليصبحوا نوادر عصرهم وفرائد زمانهم، أفتراه يعجز عن اختيار انسان ليجمعه خليفته وحجّته ومثالاً لأبناء البشر ومسؤولاً عن شريعته فيهم؟ أفنصدق عيسى ويحيى ونستبعد إماماً أخبر آباؤه بصغر سنّه.

قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام): «صاحب هذا الأمر أصغرنا سنّاً وأخملنا شخصاً»^(٢).

القيام لدى ذكره

جلال: لماذا يقوم الناس لدى ذكر المهدي؟ وهل هناك دليل من الشرع يسوّغ ذلك؟

نبيه: لقد تعارف الشيعة على ذلك منذ عصور قديمة، وروي أن الإمام الرضا (عليه السلام) عندما كان في خراسان كان يقوم لدى ذكر المهدي ويضع كفه فوق

(١) تاريخ العلوم، بيير روسو، ترجمة: صفاري، ط ٣ ص ٤٣٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٨.

رأسه ، ويدعو له قائلاً: اللهم عجل فرجه وسهّل مخرجه^(١).

وهو متعارف عليه حتى في زمن الصادق (عليه السلام) وقد سئل عن ذلك فأجاب بأنه تعبير عن الاحترام والأدب^(٢).

قصة الغيبة

الدكتور: يقال ان الامام الحسن العسكري مات ولم يخلف ولداً، ومن هنا قام بعض النفعيين والطامعين كعثمان بن سعيد باختراع قصة الغيبة وأشاعوها بين الناس حفاظاً على مصالحهم.

نبيه: ولكني بينت فيما مضى بأن رسول الله قد أخبر بغيبته. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول أكثر الناس: ما لله في آل محمد حاجة، ويشكّ آخرون في ولادته. فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان عليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني فقد أخرج أبويكم من الجنة من قبل وان الله عزوجل جعل الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون^(٣).

وعن الأصبع بن نباتة عن امير المؤمنين علي (عليه السلام) انه ذكر القائم فقال: اما ليغيبن حتى يقول الجاهل: ما لله في آل محمد حاجة^(٤).

(١) الزام الناصب ط سنة ١٣٥١ ص ٨١.

(٢) الزام الناصب ص ٨١.

(٣) اثبات الهداة ج ٦ ص ٢٨٦.

(٤) اثبات الهداة ج ٦ ص ٣٩٣.

وروى محمد بن مسلم قال: سمعت أبا عبدالله «الصادق» عليه السلام يقول:
ان بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها^(١).

وهناك ثمانية وثمانون حديثاً في هذا المضمار.

وبناءً على ما تقدّم من الروايات والأحاديث فإنّ مسألة الغيبة تعدّ من علامات المهدي، حتى أنّهم لا يظنّون بأحد أنّه المهدي حتى يظنّون غيبته، فقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني عن عيسى بن عبد الله قال: لم يزل محمد بن عبد الله منذ كان غلاماً إلى ان بلغ يتغيب ويستخفي، ويسمى بالمهدي^(٢).

يقول السيد الحميري: كنت اعتقد غيبة محمد بن الحنفية وضللت في ذلك زماناً فمنّ الله علي بالصادق جعفر بن محمد فقلت له يا بن رسول الله قد روي لنا أخبار عن آبائك في الغيبة وصحة كونها فاخبرني بمن تقع فقال: ان الغيبة ستقع بالسادس من ولدي^(٣).

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٣٥٠.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٦٥.

(٣) وله أشعار يذكر فيها الغيبة؛ منها:

وما كان قولي في ابن خولة مبطلاً
ولكن روينا عن وصي محمد
بأنّ ولي الله يـفقد لا يرى
فتقسم أموال الفقيـد كأنما
فيـمكث حيناً ثم ينبع نبعه
يسير بنصر الله من بيت ربّه
يسير على أعدائه بلوانه

معاندة مني لنسل المطيب
وما كان فيما قال بالمتكذب
سنين كفعل الخائف المترقب
يغيب ما بين الصفيح المنصب
كنبعة جدي من الأفق كوكب
على سؤدد منه وأمر مسبب
فيقتلهم قتلاً كحران مفضب

وذكر الطبرسي ان اخبار الغيبة متداولة قبل ميلاد الامام وميلاد أبيه وجدّه، وإنّ رواة الشيعة قد سجّلوا ذلك في كتبهم منذ عصر الصادق والباقر عليهما السلام. ومن جملة من سجل ذلك: الحسن بن محبوب الذي سبق الغيبة بقرن في تأليف كتابه «المشيخة» الذي أورد فيه أخبار وروايات الغيبة، وقد اشتمل على أحاديث عديدة منها ما ذكره عن ابي بصير عن الصادق (عليه السلام) من أنّ للقائم غيبتين صغرى وكبرى، ثم يستشهد الطبرسي بذلك كدليل على صحّة الأحاديث^(١).

وقد ألف محمّد بن ابراهيم بن جعفر النعماني كتابه «الغيبة» ابّان الغيبة الصغرى حيث ولد المؤلّف خلالها أيضاً، وذكر في كتابه اخبار الأئمة حول غيبة الامام المهدي وعدّ غيبته تأييداً لعقائد الإمامية؛ وإلا كان انتفاؤها شهادة على بطلان العقيدة الشيعية.

صرفنا إليه قولنا لم نكذب
يعيش به من عدله كلّ مجذب
أمرت فحتم غير ما متعصب
على الناس طراً من مطيع ومذنب
تطلّع نفسي نحوه بتطرب
فصلّى عليه الله من متغيّب
فيملك من في شرقها والمغرب
ولست وإن عوتبت فيه بمعتب

كمال الدين ج ١ ص ١١٢ - ١١٥.

= فلما روى ان ابن خولة غائب
وقلنا هو المهدي والقائم الذي
فان قلت لا فالحق قولك والذي
وأشهد ربي أنّ قولك حجة
بأنّ ولي الأمر والقائم الذي
له غيبة لا بدّ من أن يغيبها
فيمكث حيناً ثم يظهر حينه
بذاك أدين الله سرّاً وجهرة

(١) أعلام الورى للطبرسي ط طهران سنة ١٣٣٨ ص ٤١٦.

كتب عن الغيبة قبل وقوعها

وكثيرة هي الروايات والأحاديث النبوية الشريفة التي أكّدت مسألة الغيبة لدى الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت، وهناك إضافة إلى ذلك أحاديث موثقة عن الإمام عليّ (عليه السلام) والأئمة الأطهار من بعده كلّها تدور في هذا المجال، وهذه طائفة من رجال الحديث:

- عليّ بن حسن بن محمّد الطائي كان من أصحاب الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)^(١). ألف كتاباً في الغيبة وكان من الفقهاء الثقات.

- علي بن عمر الأعرج الكوفي من أصحاب الكاظم (عليه السلام) كتب في الغيبة^(٢).

- الحسن بن علي بن أبي حمزة ألف في الغيبة في عهد الرضا (عليه السلام)^(٣).

- عباس بن هشام الناشري وهو رجل جليل القدر، ثقة من أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) توفي سنة ٢٢٠ هـ، ألف في الغيبة^(٤).

- علي بن الحسن بن فضال: عالم ثقة من أصحاب الهادي والعسكري (عليهما

(١) رجال النجاشي ص ١٩٣ - رجال الشيخ الطوسي ص ٣٥٧ - فهرست الشيخ الطوسي ص ١١٨.

(٢) رجال النجاشي ص ٢٨ - فهرست الشيخ الطوسي ص ٧٥.

(٣) رجال النجاشي ص ٢٨ - فهرست الشيخ الطوسي ص ٧٥.

(٤) رجال النجاشي ص ٢١٥ - رجال الشيخ الطوسي ص ٣٨٤ - فهرست الشيخ الطوسي ص ١٤٧.

السلام). ألف في الغيبة^(١).

- الفضل بن شاذان النيسابوري: فقيه متكلم من أصحاب الهادي والعسكري (عليهما السلام). كتب وألف حول القائم من آل محمد وغيبته. توفي سنة ٢٦٠هـ^(٢).

وظاهرة الغيبة لم تكن طارئة أو وليدة ظرف معيّن بل هي ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ الإسلامي، وكانت مفهومة لدى الذين عاشوا في زمن النبيّ والصحابة والتابعين، ومن هنا فلا يمكن القول أنها مسألة مختلفة من قبل عثمان بن سعيد أو غيره.

ولنتأمل في هذه النقاط الثلاث قبل أن نختم البحث.

الأولى: انّ كل البراهين العقلية والروايات المنقولة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تؤكّد وجود الإمام الحجّة وأنّ وجوده ضروري لاستمرار النوع البشري بأسره؛ ولهذا فإنّ أيّ عصر لا يخلو منه.

الثانية: انّ الأحاديث المتواترة تفيد بوجود اثني عشر إماماً لا غير.

الثالثة: هذه الأحاديث وشهادة التاريخ حول حياة أحد عشر إماماً ووفياتهم وولادة الإمام الثاني عشر دون ذكر وفاته تؤيد نظرية وجوده وغيبته.

(١) رجال النجاشي ص ١٩٥ - رجال الشيخ الطوسي ص ٤١٩.

(٢) رجال النجاشي ص ٢٣٥ - رجال الشيخ الطوسي ص ٤٢٠، ٤٣٤ - فهرست الشيخ الطوسي ص ١٥٠.

وله غيبتان

جلال: ماهو المقصود بالغيبتين الصغرى والكبرى؟

نبيه: توارى الإمام الثاني عشر عن الأنظار مرتين؛ الأولى: بدأت مع ولادته سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦ هـ أو سنة ٢٦٠ هـ وهي سنة وفاة والده، وامتدت حتى سنة ٣٢٩ هـ، واستغرقت بذلك ٦٩ أو ٧٤ عاماً وتدعى هذه المرحلة بالغيبة الصغرى، وأهم ما يميّزها قصرها نسبياً ووجود من يتّصل به مباشرة وهم السفراء الأربعة الذين كانوا حلقة الوصل بينه وبين عامّة الناس.

أما الغيبة الثانية وهي الكبرى فقد بدأت بوفاة السفير الرابع سنة ٣٢١ هـ، وما تزال مستمرة حتى اليوم إلى أن يأذن الله بظهوره، وفيها توارى الإمام عن الأنظار نهائياً.

ولقد أخبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) والأئمة الأطهار بوقوع هاتين الغيبتين، وهذه طائفة من الأحاديث:

- عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: للقاء غيبتان إحداهما طويلة والأخرى قصيرة، فالأولى يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته، وأما الأخرى فلا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة مواليه في دينه^(١).

عن المفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) يقول: ان لصاحب الامر غيبتين إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، ويقول بعضهم قُتل، ويقول

(١) اثبات الهداة ج ٧ ص ٦٩ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٥٥.

بعضهم: ذهب، حتى لا يبقى على امره من اصحابه الا نفر يسير لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره الا المولى الذي يلي امره^(١) وثمة ثمانية أحاديث أخرى.

الغيبة الصغرى واتصال الشيعة بالإمام

فهمني: لقد استغل البعض - كما سمعت - غيبة الإمام فادّعوا نيابة الإمام الغائب لخداع البسطاء من الناس، واستولوا بذلك على أموال طائلة، فهل يمكن توضيح ذلك؟

نبيه: حُرّم الناس في زمن الغيبة من الاتصال بالإمام مباشرة ولكن كان هناك نوع من الارتباط غير المباشر من خلال سفير كان الإمام يعيّنه بنفسه، وكان مهمة السفراء رفع حوائج الناس والسعي في حلّ مشاكلهم وكانت الأسئلة تسجّل في ورقة فيأتي جوابها بتوقيعه (عليه السلام) حتى اصطلح عليها فيما بعد بالتواقيع الصادرة عن الناحية المقدّسة.

هل كانت التواقيع بخط الإمام؟

جلال: هل كانت التواقيع بخط الإمام نفسه؟

نبيه: أجل وكان ذلك معروفاً لدى الخاصّة من العلماء ولهم في ذلك شواهد: - قال محمّد بن عثمان: خرج توقيع بخطّ أعرفه^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٥٣.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣.

- وعن الشيخ الموثق أبي عمر العامري قال: تشاجر ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة في الخلف فذكر ابن أبي غانم أن أبا محمد مضى ولا خلف له. ثم أنهم كتبوا في ذلك كتاباً وأنفذوه إلى الناحية وأعلموا بما تشاجروا فيه، فورد جواب كتابهم بخطه^(١).

- وقال إسحاق بن يعقوب: سألت محمد بن عثمان العمري أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فوق التوقيع بخط مولانا^(٢).
- وجاء عن الشيخ الصدوق بأنه يحتفظ بتوقيع صدر لأبيه من صاحب الزمان^(٣).

وهذه شهادة لطائفة من الثقة حول صدور التواقيع بخط الإمام، ولكن كيف كان يعرف هؤلاء خط الإمام. على ان هناك ما يشير إلى أن التواقيع كانت بخط عثمان بن سعيد ومحمد بن عثمان لأنها كانت تشبه ذات التواقيع التي كانت تصدر إلى الشيعة عنهما في عهد الإمام العسكري (عليه السلام).

فعن أبي نصر هبة الله بن محمد بن أحمد الكاتب: كانت توقيعات صاحب الأمر (عجل الله فرجه) تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته وخواص أبيه أبي محمد (عليه السلام) بالأمر والنهي والأجوبة عمّا تسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه بالخط الذي كان يخرج في حياة

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٩ - اثبات الهداة ج ٧ ص ٤٦٠.

(٣) الأنوار النعمانية طبعة تبريز ج ٢ ص ٢٤.

الحسن (عليه السلام)^(١).

يقول في موضع آخر: مات أبو جعفر العمري (رحمه الله) سنة أربع وثلاثمئة وإنه كان يتولى هذا الأمر نحواً من خمسين سنة فيحمل الناس إليه أموالهم ويخرج إليهم التوقيعات بالخطّ الذي كان يخرج في حياة الحسن (عليه السلام) إليهم بالمهمات في أمر الدين^(٢).

وقال أيضاً: «... والتوقيعات تخرج على يده إلى الشيعة في المهمات طول حياته بالخطّ الذي كانت تخرج في حياة أبيه عثمان»^(٣).

وقال عبدالله بن جعفر الحميري:

«لما مضى أبو عمر (رضي الله عنه) أتتنا الكتب بالخطّ الذي كتّنا نكائب به بإقامة أبي جعفر (رضي الله عنه) مقامه»^(٤).

ومن الواضح ان هذه الروايات تؤكّد صدور التواقيع عن طريق عثمان بن سعيد وولده محمّد بن عثمان فيما بعد، وهي تحمل ذات الخطّ الذي كانت تصدر به في عهد الإمام الحسن العسكري. وإذن فهي تشير إلى أنّها لم تكن بخطّ الإمام المهدي. على ان هناك إجماعاً تاماً من لدن الشيعة على أن التواقيع كانت تصدر عن المهدي (عليه السلام) طيلة الغيبة الصغرى، وكانت المكاتبات بين الإمام وشيعته مستمرة طوال تلك المدّة حول مسائل عامّة وأخرى شخصية.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٩.

وإذن فهناك تصديق كامل بصحة التوقيعات وأن مصدرها هو الإمام الغائب، بالرغم من بعض الشكوك التي تنتاب أحدهم فيكاتب مرّة أخرى للطمانينة والتأكد^(١).

وقد كاتبه علي بن الحسين بن بابويه يطلب منه الدعاء ان يرزقه الله ولداً فجاءه الجواب^(٢).

وكان محمّد بن ابراهيم بن جعفر النعماني وهو أحد العلماء الذين عاشوا ابان الغيبة الصغرى يؤيد في كتابه (الغيبة) ظاهرة السفارة التي كانت بديلاً عن الاتصال المباشر بين الإمام والشيعة للظروف التي تطرقنا إلى ذكرها. وبوفاة السفير الرابع سنة ٣٢٩ انتهت السفارة لتبدأ بعدها الغيبة الكبرى^(٣).

انّ الجوّ العام كان يسلم ويؤيد ويستجيب لكلّ التواقيع التي كانت تصدر عن الإمام، وكانت الاستجابة عامّة تشمل العلماء والبسطاء، وقد ذكر الشيخ الحرّ العاملي المشاجرة التي وقعت بين ابن أبي غانم القزويني وجماعة من الشيعة وكان يصرّ على ان الإمام الحسن مضى ولم يخلف ولداً، فكتب الشيعة بذلك إلى الإمام الغائب وكانت طريقتهم الكتابة على ورق أبيض بقلم من غير مداد، فيصدر الجواب عن ذلك من لدن الإمام^(٤)!

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٥٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠٦.

(٣) الغيبة النعمانية ص ٩١.

(٤) اثبات الهداة ج ٧ ص ٣٦٠.

السفراء

تؤيد الشواهد التاريخية تعاقب أربعة أشخاص على تولي السفارة بين الإمام وقواعده الشعبية خلال مدة السفارة في الغيبة الصغرى وهم كلٌّ من: عثمان بن سعيد وبعده محمد بن عثمان، ثم الحسين بن روح وأخيراً عليّ بن محمد السمري^(١).

على ان بعض الكتب الشيعة أوردت أسماء عديدة كنواب للإمام، فقد ذكر ابن طاووس في كتابه «ربيع الشيعة» أسماء عديدة منها أبو هاشم داود بن القاسم، محمد بن علي بن بلال، عثمان بن سعيد، محمد بن عثمان، عمر الأهوازي، أحمد ابن إسحاق، أبو محمد الوجنائي، ابراهيم بن مهزيار ومحمد بن ابراهيم^(٢).

فيما ذكر الطوسي شيخ الطائفة أسماء أخرى:

العمرى وولده، وحاجز والبلالي والطار من بغداد والعاصمي من الكوفة، ومحمد بن ابراهيم بن مهزيار من الأهواز، وأحمد بن إسحاق من قم، ومحمد بن صالح من همدان، والشامي والأسدي من الري، والقاسم بن العلاء من آذربيجان، ومحمد بن شاذان من نيسابور^(٣).

على ان المشهور هو سفارة الأربعة الذين تقدّم ذكرهم.

ومن المحتمل أنّ الأشخاص المذكورين هم نواب ووكلاء للسفراء في مناطق مختلفة أشير الى بعضها أعلاه.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٢.

(٢) رجال بو علي ط سنة ١١٠٢ ص ٣١٢.

(٣) رجال المامقاني ط النجف سنة ١٣٥٢ ج ١ ص ٢٠٠ - اثبات الهداة ج ٧ ص ٢٩٤.

السفير الأول

كان عثمان بن سعيد من كبار أصحاب الإمام الحسن العسكري، ثقة، جليل القدر^(١).

وصفه العلامة الكبير البهبهاني بأنه ثقة جليل القدر^(٢)

قال أحمد بن إسحاق عنه: سألت أبا الحسن (عليه السلام): من أعامل؟ وعمّن آخذ؟ وقول من أقبل؟ فقال الإمام: العمري ثقني فما أدنى إليك فعني يؤدّي وما قال لك فعني يقول فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون^(٣).

وروي عن أبي علي أنه سأل أبا محمّد الحسن بن علي عن مثل ذلك فقال له: العمريّ وابنه ثقتان فما أديا إليك فعني يؤدّيان وما قالاك لك فعني يقولان فاسمع لهما وأطعهما فإنهما الثقتان المأمونان^(٤).

وروي عن محمّد بن اسماعيل وعلي بن عبد الله أنهما قالوا:

دخلنا على أبي محمّد الحسن (عليه السلام) بسرّ من رأى (سامراء) وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه (بدر) خادمه، فقال: يا مولاي بالبواب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن - في حديث طويل يسوقانه إلى ان ينتهي إلى أن قال الحسن (عليه السلام) لبدر: فامض فائتنا بعثمان ابن سعيد العمري فما لبثنا إلّا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمّد

(١) رجال بو علي ص ٢٠٠ - رجال المامقاني ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) منهج المقال للبهبهاني ط طهران سنة ١٣٠٧ ص ٢١٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٨.

(عليه السلام): امض يا عثمان فانك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، اقبض من هؤلاء النفر اليمينيين ما حملوه من المال.

ثم ساق الحديث إلى ان قالوا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا والله ان عثمان لمن خيار شيعتك ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله، قال: نعم واشهدوا على ان عثمان بن سعيد العمري وكيلي وان ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم^(١).

وعن جماعة من الشيعة فيهم علي بن بلال، وأحمد بن هلال ومحمد بن معاوية بن حكيم، والحسن بن أيوب بن نوح قالوا: اجتمعنا إلى أبي محمد الحسن ابن عليّ (عليه السلام) نسأله عن الحجّة من بعده، وفي مجلسه أربعون رجلاً فقام إليه عثمان بن سعيد بن عمرو العمري فقال له: يا بن رسول الله أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به مني، فقال له: اجلس يا عثمان. فقام مغضباً ليخرج، فقال لا يخرجن أحد فلم يخرج منا أحد إلى ان كان بعد ساعة فصاح (عليه السلام) بعثمان فقام على قدميه فقال: أخبركم بما جئتم؟ قالوا: نعم يا بن رسول الله، قال: جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي، قالوا: نعم. فإذا غلام كأنه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد (عليه السلام). فقال: هذا إمامكم من بعدي، وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا أديانكم. ألا وإنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتمّ له عمر فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا إلى أمره واقبلوا قوله، فهو خليفة امامكم والأمر إليه.^(٢)

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٤٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٦.

كراماته

ولهذا الرجل كرامات تؤيد سفارته وأنه من أولياء الله؛ منها: ما ذكره الشيخ الطوسي في كتابه الغيبة: عن جماعة من بني نوبخت منهم أبو الحسن بن كثير النوبختي.. أنه حمل إلى أبي جعفر (رضي الله عنه) في وقت من الأوقات ما ينفذه إلى صاحب الأمر (عليه السلام) من قم ونواحيها، فلما وصل الرسول إلى بغداد ودخل على أبي جعفر وأوصل إليه ما دفع إليه وودّعه قال له أبو جعفر: قد بقي شيء مما استودعته فأين هو؟ فقال الرجل: لم يبق شيء يا سيدي في يدي إلا وقد سلّمته فقال له أبو جعفر: بلى قد بقي شيء فارجع إلى ما معك وفتّشه وتذكّر ما دفع إليك.

فمضى الرجل فبقي أياماً يتذكّر ويبحت ويفكّر فلم يذكر شيئاً ولا أخبره من كان في حملته ورجع إلى أبي جعفر فقال له: لم يبق شيء في يدي ممّا سلّم إليّ إلا وقد حملته إلى حضرتك فقال أبو جعفر: فإنّه يقال لك: الثوبان السروانيان اللذان دفعهما فلان بن فلان ما فعلا؟ فقال الرجل: أي والله يا سيدي لقد نسيتهما وذهبا عن قلبي ولست أدري أين وضعتهما^(١).

وعن محمد بن علي الأسود قال: دفعت إليّ امرأة سنة من السنين ثوباً وقالت احمله إلى العمري، فحملته مع ثياب كثيرة فلما وافيت بغداد أمرني بتسليم ذلك كلّه إلى محمد بن العباس القميّ فسلمت ذلك كلّه ما خلا ثوب المرأة فوجّه إليّ العمري (رضي الله عنه) وقال: ثوب المرأة سلّمه إليه، فذكرت بعد ذلك أنّ امرأة سلّمت إليّ

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣١٦.

ثوباً فطلبته فلم أجده؟ فقال لي: لا تغتم فأنتك ستجده، فوجدته بعد ذلك^(١).
 وذكر الشيخ الصدوق (عليه الرحمة) في «الغيبة» عن اسحاق بن يعقوب قال:
 سمعت الشيخ العمري يقول: صحبت رجلاً من أهل السواد «الكوفة» ومعه مال
 للغريم فأنفذه فرُدَّ عليه وقيل له: أخرج حقَّ ابن عمِّك منه، وهو اربعمائة درهم،
 فبقي الرجل باهتاً متعجباً، ونظر في حساب المال وكانت في يده ضيعة لولد عمِّه قد
 كان ردَّ عليهم بعضها وزوى عنهم بعضها، فإذا الذي نقص لهم من ذلك المال
 اربعمائة درهم^(٢).

فهل يمكن بعد كلِّ هذه الروايات في توثيق عثمان بن سعيد والمنزلة التي
 كانت له لدى الإمامين الهادي والعسكري وإجماع الشيعة على عدالته.. هل يمكن
 اتِّهامه بأنه كان نفعياً حاول الاستفادة من مسألة الغيبة؟!!

السفير الثاني

خلف محمّد بن عثمان أباه في السفارة بين الإمام وشيعته. ذكره الشيخ
 الطوسي في من ذكره من وكلاء الإمام صاحب الزمان^(٣)، وذكره المامقاني في
 رجاله، وأشار إلى علوِّ قدره وشأنه لدى الإمامية، وإجماع الشيعة عليه، ولا يحتاج
 الأمر إلى دليل أو برهان في ذلك^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٢٦- اثبات الهداة ج ٧ ص ٣٠٢.

(٣) منهج المقال ص ٣٠٥- رجال المامقاني ج ٣ ص ١٤٩.

(٤) رجال المامقاني ج ٣ ص ١٤٩.

وقد صرّح أبو عثمان بخلافته ونيابة الإمام المهدي في غيبته^(١).
وعن يعقوب بن إسحاق قال: سألت محمّد بن عثمان العمري ان يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت عليّ فوق التوقيع بخطّ مولانا صاحب الدار: «وأما محمّد بن عثمان العمري رضي الله عنه وعن أبيه من قبل فأنّه ثقتي وكتابه كتابي»^(٢).

كراماته

وعن محمّد بن شاذان قال: اجتمع عندي مال للغريم صلّى الله عليه وآله: خمسمائة درهم تنقص عشرين درهماً فأبيت أن أبعثها ناقصة هذا المقدار فأتممتها من عندي وبعثت بها إلى محمّد بن جعفر ولم أكتب مالي فيها، فأنفذ إلى محمّد بن جعفر القبض وفيه وصلت خمسمائة درهم لك فيها عشرون درهماً^(٣).

وعن جعفر بن محمّد بن متيل: دعاني أبو جعفر محمّد بن عثمان السّمان المعروف بالعمري وأخرج إليّ ثوبيات معلّمة وصرّة فيها دراهم فقال لي: تحتاج ان تصير بنفسك إلى واسط في هذا الوقت وتدفع ما دفعت إليك إلى أوّل رجل يلقاك عند صعودك من المركب إلى الشطّ بواسط.

قال: فتداخمني من ذلك غمّ شديد وقلت مثلي يُرسل في هذا الأمر ويحمل هذا الشيء الوقح. قال: فخرجت إلى واسط وصعدت من المركب فأول رجل

(١) رجال المامقاني ج ١ ص ٢٠٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٢٥.

تلقاني سألته عن الحسن بن محمد بن قطة الصيلاني وكيل الوقف بواسط، فقال: أنا هو، من أنت؟ فقلت أنا جعفر بن محمد بن متيل. قال فعرفني باسمي وسلّم عليّ وسلّم عليه وتعانقنا، فقلت له: أبو جعفر العمري يقرأ عليك السلام ودفعت إليّ هذه الثياب وهذه الصرة لأسلمها اليك. فقال الحمد لله فإنّ محمد بن عبدالله العامري قد مات، وخرجت لأصلح كفنه محلّ الثياب فإذا بها ما يحتاج إليه من حبرة وثياب وكافور وفي الصرة كرى الحمالين والحقار، قال: فشيّعنا جنازته وانصرفت^(١).

وعن محمد بن علي الأسود القمي، قال: ان أبا جعفر العمري قدّس الله روحه حفر لنفسه قبراً وسوّاه بالساج فسألته عن ذلك فقال للناس أسباب. ثم سألته عن ذلك فقال: قد أمرت أن أجمع أمري، فمات بعد ذلك بشهرين رضي الله عنه وأرضاه^(٢).

توفي محمد بن عثمان سنة ٣٠٤ هـ بعد ان لبث مدّة خمسين سنة في نيابة الإمام^(٣).

السفير الثالث

وخلف محمد بن عثمان في السفارة الحسين بن روح؛ وكان أعلم أهل زمانه وذكر المجلسي في البحار عن جماعة من بني نوبخت: ان أبا جعفر العمري لمّا اشتدّت حاله اجتمع عنده جماعة من وجوه الشيعة منهم أبو علي ابن همام وأبو

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥١.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥٢.

عبدالله ابن محمّد الكاتب وأبو عبدالله الباقتاني وأبو سهل اسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبدالله ابن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر فدخلوا على أبي جعفر (رضي الله عنه) فقالوا له: ان حدث أمر فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح ابن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر والوكيل والثقة الأمين فارجعوا إليه في أموركم وعولوا عليه في مهماتكم فبذلك أمرت وقد بلغت^(١).

وعن جعفر بن محمّد المدائني قال: كان من رسمي إذا حملت المال الذي في يدي إلى الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري قدّس الله روحه أن أقول ما لم يكن أحد يستقبله بمثله: هذا المال ومبلغه كذا وكذا للإمام (عليه السلام) فيقول لي: نعم دعه فأراجعه فأقول له: تقول لي أنه للإمام؛ فيقول: نعم للإمام (عليه السلام) فيقبضه.

فصرت إليه آخر عهدي به (قدّس الله روحه) ومعني أربعمئة دينار فقلت له على رسمي، فقال لي: امض بها إلى الحسين بن روح فتوقفت فقلت: تقبضها أنت مني على الرسم، فردّ عليّ كالمنكر لقولي، قال: قم عافاك الله فادفعها إلى الحسين ابن روح.

فلما رأيت في وجهه غضباً خرجت وركبت دابتي فلما بلغت بعض الطريق رجعت كالشاكّ فدققت الباب فخرج إليّ الخادم فقال: من هذا؟ فقلت انا فلان فاستأذن لي. فرجعني وهو منكر لقولي ورجوعي فقلت له: ادخل فاستأذن لي فإنه

لابدّ من لقائه فدخل فعرفه خبر رجوعي وكان قد دخل دار النساء فخرج وجلس على سرير ورجلاه في الأرض وفيهما نعلان تصف حسنها وحسن رجله، فقال لي: ما الذي جرّأك على الرجوع ولم تمتثل ما قلته لك؟!!

فقلت: لم أجسر على ما رسمته لي، فقال لي وهو مغضب: قم عافاك الله فقد أقمت أبا القاسم الحسين بن روح مقامي ونصبته منصبي، فقلت: بأمر الإمام؟ فقال: قم عافاك الله كما أقول لك؛ فلم يكن عندي غير المبادرة.

فصرت إلى أبي القاسم بن روح وهو في دار ضيقة فعرفته ما جرى فسرّ به وشكر الله عزّوجلّ ودفعت إليه الدنانير، وما زلت أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك.

ويبدو ان تنصيب الحسين بن روح لم يكن متوقّعا من الزعامات الشيعية آنذاك وقد جاء في الأخبار عن بعض المشايخ؛ كذا لا نشكّ أنّه إن كانت كائنة من أبي جعفر لا يقوم مقامه إلا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه لما رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله حتّى بلغ أنّه كان في آخر عمره لا يأكل طعاماً إلا ما أصلح في منزل جعفر بن أحمد بن متيل بسبب وقع له.

وكان أصحابنا لا يشكّون إن كانت حادثة، لم تكن الوصيّة إلا إليه. فلما وقع الاختيار على أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر (رضي الله عنه)، ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم^(١). وعن أبي سهل النوبختي سئل فقيل له: كيف صار هذا الأمر إلى الشيخ أبي

القاسم الحسين بن روح دوتك ؟ فقال : هم أعلم وما اختاروه ، ولكن أنا رجل ألقى الخصوم وأناظرهم ولو علمت بمكانه كما علم أبو القاسم وضغطتني الحجة لعلي كنت أدلّ على مكانه وأبو القاسم فلو كان الحجة تحت ذيله وقُرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه^(١).

وذكر الشيخ الصدوق في كتابه (كمال الدين):

حدثنا محمد بن علي الاسود قال : سألتني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه بعد موت محمد بن عثمان العمري أن أسأل أبا القاسم الروحي ان يسأل مولانا صاحب الزمان ان يدعو الله عز وجل ان يرزقه ولداً ذكراً . قال : فسألته فأنهني ذلك فأخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام ان قد دعا لعلي بن الحسين وانه سيولد له ولد مبارك ينفعه الله عز وجل به وبعده أولاد .

وعن الاسود ايضاً قال : وسألته في امر نفسي ان يدعو الله لي ان يرزقني ولداً ذكراً فلم يجبني اليه ، وقال : ليس الي هذا سبيل . قال فولد لعلي بن الحسين تلك السنة ابنه محمد بن علي وبعده أولاد ولم يلد لي شيء .

قال مصنف الكتاب : كان أبو جعفر محمد كثيراً ما يقول لي اذا رأني اختلف الي مجالس شيخنا محمد بن الحسن بن احمد بن الوليد وأرغب في كتب العلم وحفظه : ليس ان تكون لك هذه الرغبة في العلم وانت ولدت بدعاء الامام^(٢).

وشك أحدهم في سفارة الحسين بن روح فكتب إلى الإمام بقلم من دون مداد

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥٩ .

(٢) كمال الدين ج ٢ ص ١٨٠ .

على ورق أبيض فجاء الجواب^(١).

توفي الحسين بن روح في شعبان سنة ٣٢٦ هـ^(٢).

السفير الرابع

وهو الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمّد السمرى؛ كان من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (عليهما السلام)، ومن وجهاء الشيعة في عصره كما ذكر ذلك ابن طاووس^(٣).

وعن أبي عبدالله أحمد بن محمّد الصفواني، قال: أوصى الشيخ أبو القاسم إلى أبي الحسن علي بن محمّد السمرى فقام بما كان إلى أبي القاسم، فلما حضرته الوفاة، حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ولمن مقامه، فلم يظهر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يؤمر بأن يوصي إلى أحد بعده في هذا الشأن^(٤).

وقد استمرت سفارة السمرى ثلاث سنين حيث توفي سنة ٣٢٩ هـ وكانت وفاته بداية الغيبة الكبرى للإمام^(٥).

وعن أبي محمّد الحسن بن أحمد قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ أبو الحسن عليّ بن محمّد السمرى (قدّس الله روحه) فحضرته قبل

(١) اثبات الهداة ج ٧ ص ٣٤٠.

(٢) رجال المامقاني ج ١ ص ٢٠٠.

(٣) رجال المامقاني ج ٢ ص ٢٠٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٠.

(٥) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٠.

وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا عليّ بن محمّد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصِ إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلّا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفترٍ؛ ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم»^(١).

ومرحلة السفارة هذه والسفراء الأربعة مشهورة لدى الشيعة، وقد ادّعى السفارة رجال من الشيعة وافتضح أمرهم فيما بعد؛ منهم: حسن الشريعي، ومحمّد بن نصير النميري، وأحمد بن هلال الكرخي، ومحمّد بن علي بن بلال، ومحمّد بن علي السلمغاني، وأبو بكر البغدادي. وهذا ما تيسّر لي عرضه في هذا المضمّار وأظنه كافياً.

الدكتور: لديّ أسئلة، ولكنني لضيق الوقت أوّجّل طرحها إلى اللقاء القادم.

الحوار السابع

بدأ الحوار بسؤال طرحه الدكتور: ما جدوى الغيبة الصغرى، ولماذا لم تبدأ الغيبة الكبرى منذ وفاة الإمام الحسن؟

نبيه: إن غياب الإمام فجأة ودون مقدمات سوف تكون له نتائج وخيمة، فمن الصعب على الناس استيعاب فكرة الغيبة، ولهذا يمكن القول أن التمهيد لها بدأ منذ عصر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة الأطهار، وكان التأكيد على هذا الجانب في المهدي يلوح بين الفترة والأخرى، إضافة إلى بيان ما سيجري في غيابه من مصائب وما يحلّ من ظلم، وما في انتظار الفرج من ثواب عظيم.

وقد ذكر المسعودي في «إثبات الوصية» أن الإمام الهادي (عليه السلام) كان يعتزل عامة الناس ولا يتصل إلا بخاصته من الأصحاب، وسار على ذلك خليفته الحسن العسكري (عليه السلام) فكان يحدث الناس من وراء حجاب، وكل ذلك

من أجل أن يهيئ الشيعة إلى قبول غيبة الإمام الثاني عشر^(١).
على ان بدء الغيبة الكبرى للمهدي بعد وفاة أبيه مباشرة كان سيدفع عامّة
الناس إلى تناسيه والإصغاء لما أشاعه البعض عن وفاة الحسن (عليه السلام) دون
خلف؛ لهذا كان لابدّ من مرحلة صغيرة من الغيبة تمهّد للغيبة التامة.

زمن الغيبة الكبرى

المهندس: ما هو أمد الغيبة الكبرى، وكم تبلغ مدّتها؟
نبيه: ليس هناك وقت محدّد لها، ولكنها طويلة بحيث تثار الشكوك حولها،
ولا يصدّق بها إلا قليل من الناس، وجاء في الروايات أنّها تطول «حتى ليقال ما لله
في آل محمّد حاجة»^(٢).
وعن السجّاد (عليه السلام) قال: في القائم سنّة من نوح وهو طول العمر^(٣).

فلسفة الغيبة

المهندس: إنّ حضور الإمام بين الناس له فائدة عظيمة، فلماذا الغياب؟
نبيه: أجل هذا هو الصحيح لو لم تكن هناك موانع. إنّ أفعال الله هي الحكمة
بذاتها، وقد أخفى الله وجود الإمام لمصلحة نجهلها، وإنّ هناك سبباً لا نعرفه نحن.
عن عبدالله بن فضيل الهاشمي قال:

(١) اثبات الوصيّة ص ٢٠٦.

(٢) اثبات الهداة ج ١ ص ٣٩٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢١٧.

سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: ان لصاحب هذا الامر غيبة لا بدّ منها يرتاب فيها كلّ مبطل، فقلت له: ولم جعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم. قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ فقال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غياب من تقدّمه من حجج الله تعالى ذكره. ان وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره كما لا ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسى (عليه السلام) الا وقت افتراقهما^(١).

ومن هنا نفهم بأنّ هناك سبباً للغيبة يعرفه الأئمة الأطهار (عليهم السلام). على ان هناك من الأحاديث ما يشير إلى بعض الأسباب؛ منها:
- أنّ الغيبة تمخّص الايمان الحقيقي كجزء من الايمان بالغيب، والصبر على الشدائد وانتظار الفرج.

قال الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام): «إذا فقد الخامس من ولد السابع من الأئمة فالله الله في أديانكم لا يزيلنكم عنها أحد، يا بني أنّه لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، أنّما هي محنة من الله امتحن الله بها خلقه»^(٢).

- ظهور الإمام وليس في عنقه بيعة لأحد من الظالمين.
عن الحسن بن فضال أنّه قال: قال الإمام الرضا (عليه السلام): كآني بالشيعة عند فقدهم الثالث من ولدي يطلبون المرعى فلا يجدونه. قلت له: ولم ذلك يا بن

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩١.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٣.

رسول الله؟ قال: لأن إمامهم يغيب عنهم، فقلت: ولم؟ قال: لئلا يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف^(١).

- إن الغيبة ستجعل الإمام في مأمن من الخطر.

عن زرارة عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: يازرارة لا بدّ للقائم من غيبة، قلت: ولم؟ قال يخاف على نفسه؛ وأومئ بيده إلى بطنه^(٢).

ما هو الخطر في ظهور الإمام؟

المهندس: ما هو الخطر في ظهور الإمام وزعامته للناس دينياً في بلد ما حتى تنهياً الظروف المناسبة لثورته؟

نبيه: وهذا تساؤل في محله، ولكن يتوجب البحث أولاً في نتائج ذلك. لقد أخبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة من بعده بأن ظهور المهدي سيكون عهداً جديداً للعالم بأسره، وبداية للعدل ونهاية للظلم والفساد، ولهذا كان المهدي هاجس فريقين من الناس.

الأول: فريق المظلومين والمقهورين والمستضعفين الذين يتطلعون الى يوم الخلاص.

الثاني: فريق الظالمين من الجبابرة والطغاة ومصاصي الدماء الذين يعيشون على قهر الشعوب؛ فإن المهدي يعني لهم النهاية وخراب قصورهم التي نهضت على جماجم الضحايا؛ ومن هنا فإنهم لا يألون جهداً في محاربتة والقضاء عليه.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٢.

(٢) اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٣٧.

لماذا هذا الحرص على الحياة؟

جلال: ماهو الضرر في استشهاد الإمام في سبيل الإصلاح وإبلاغ الشريعة والدفاع عن حياض الدين؟ ألم يستشهد آباؤه في سبيل ذلك الهدف؟ فلماذا هذا الخوف من الموت؟

نبيه: الإمام لا يخشى الموت في سبيل الله؛ وهو في ذلك مثل آباءه الطاهرين. إنهم ينظرون الى مصلحة الدين والأمة أولاً وآخراً؛ ثم ان كل إمام يقتل كان يخلفه إمام آخر يحل مكانه في المسؤولية، فيا ترى من سيخلف الإمام المهدي بعد استشهاد، ثم ان الله قدر له النصر ونشر العدل والقضاء على الظلم والفساد، وبه يتحقق وعد الله في وراثة الأرض لعباده الصالحين.

قدرة الله

جلال: أليس الله قادراً على حفظ الإمام من أعدائه، فلا يضطر إلى الغيبة؟
نبيه: إن قدرته سبحانه مطلقة، وهو القادر المتعال، غير ان لكل شيء سبباً، وهكذا كان تاريخ الأنبياء والرسل. إنهم يعيشون حياتهم الطبيعية يحاربون ويقتلون ويشردون، فالدنيا دار امتحان واختبار للإنسان.

ربما آمن الظالمون

جلال: ربما كان ظهور الإمام سبباً في إيمان الظالمين فمن المحتمل أنهم لن يقتلوه، بل يكفون عن ظلمهم وطغيانهم.

نبيه: إنَّ التاريخ البشري لا يؤيّد هذا الاحتمال، فالظالمون والطغاة كانوا أوّل من يحارب الحقّ، وأوّل من يواجه الأنبياء والرسل، ويسعون في قتلهم، وكانوا أوّل من يكذب بآيات الله. ولو أعلن الإمام أهدافه لما تورّع الظالمون عن قتله، كما نرى ونشهد كلّ يوم ما يجري لأهل الحقّ.

وإذا سكت الإمام؟

الدكتور: ماذا لو اعتزل الإمام السياسة، وانشغل في إرشاد الناس بعيداً عن شؤون الساسة والحكام؟ أليس في هذا أمان له من القتل وحفظ للشريعة؟
نبيه: إن الظالمين لن يروق لهم ذلك وهم يرون عدوّهم الذي يهدّد وجودهم بالزوال، أضف إلى ذلك أنّ سكوت الإمام سوف يعدّ تقريراً للفساد والظلم. وعندما يرى المؤمنون ذلك فسوف يصابون بالخيبة والإحباط، وسوف ينفضون أيديهم من الحقّ ويأسون من انتصاره، وبالتالي يشكّون بوعد الله ورسوله.

الميثاق

المهندس: من الممكن عقد ميثاق بين الإمام والظالمين بعدم تدخّل كل طرف في شؤون الطرف الآخر. وبما أنّ الإمام معروف بأمانته، فإنّ عهوده ومواريقه سوف تكون موضع احترام حكّام الجور فلا يلقى منهم معارضة.

نبيه: تمتاز مهمّة المهدي عن سائر الأئمة الأطهار، فقد كانت مهامهم حفظ الشريعة وانتشار الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولكنهم لم يؤمروا بإشهار السيف والجهاد المسلح، أمّا المهدي فهو مأمور بالثورة واستخدام القوّة ضد

الطغاة، وإقامة حكومة العدل الإلهي وتطهير الأرض من الفساد.
وقد كان الأئمة (عليهم السلام) يُسألون على مرّ الأيام: ألسنت القائم، فيجيب
الامام: أجل أنا القائم، ولكنّي لسْتُ المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما
مُلئت ظلماً وجوراً.

لقد كان الظلم يشتدّ والفساد ينتشر يوماً بعد آخر والمؤمنون قلّة مستضعفة
فكانوا يشكون ويشتكون ويتألمون لدى الأئمة، وكان الإمام يطمئن شيعته وأنصاره
بانّ انتصار الحقّ وعد الهي وأنّ الغلبة للمهدي من آل محمّد، فاصبروا وصابروا ولا
تأسوا من روح الله.. لهذا كان الشيعة يتحملون ألوان العذاب بصبر فريد.

وإذا كان المهدي يمثل الأمل الكبير، ليس للمسلمين وحدهم بل للبشرية
جمعاء، فكيف يتسنى له عقد ميثاق مع الظالمين؟ أليس في هذا خرقٌ لميثاق آخر
بين المهدي والمستضعفين في العالم؟!

ولو حصل مثل هذا فإنّ القلّة المؤمنة الصابرة - هي الأخرى - ستصاب
بالإحباط وتنفض أيديها عن الإسلام، وستنهار في أوّل منازلة مع الكفر.

بل لو حصل مثل هذا فإنّ المهدي نفسه سيكون ملزماً بالوفاء للظالمين.

قال سبحانه وتعالى: «يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود»^(١).

وقال تعالى: «وأوفوا بالعهد أن العهد كان مسؤولاً»^(٢).

وقال تعالى: «والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون»^(٣).

(١) المائدة الآية (١).

(٢) الاسراء الآية (٣٤).

(٣) المؤمنون الآية (٨).

وقد جاء في الروايات أنّ من بواعث الغيبة أن يخرج الإمام وليس له في عنقه بيعة ولا ميثاق مع أحد الظالمين. كما ورد ذلك في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام)^(١).

ثم كيف يتوقع من الظالمين الذين بنوا قصورهم وعروشهم على الظلم والغدر والدماء أن يفوا بالمواثيق والعهود مع الناس؟ فهل من الممكن سكوتهم عن فرد يهدّد وجودهم بالفناء؟ إن أفضل وسيلة لحفظ سلطانهم هو تصفية الإمام والتخلّص منه؛ والتاريخ يضجّ بالكثير من الشواهد.

سفرء في الغيبة الكبرى

جلال: نحن نؤمن أساساً بالغيبة، ولكن ماهو المانع في استمرار السفارة بين الإمام والناس؟ لكي يتسنى للشيعة الاتصال به.

نبيه: إن ظاهرة السفارة لن تبقى في الخفاء وسوف ينكشف أمر السفرء وبالتالي سيتعرّضون للتعذيب والقتل وقد يجدون أنفسهم مضطرين فيعترفون على مكان الإمام، وفي هذه خطر كبير.

جلال: إذا كان ذلك صعباً فمن الممكن للإمام أن يظهر لبعض المؤمنين، وعن طريق هؤلاء يمكن إبلاغ الأوامر الى الشيعة.

نبيه: وهذا أيضاً لا يبدو خالياً من المخاطر، فقد يدلّ هؤلاء على مكان الإمام وفضح هويته.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٦.

جلال: هذا وارد لو كان الأمر يختصّ بالناس العاديين ولكن لو ظهر الإمام للعلماء مثلاً فلا مجال لبروز الخطر.

نبيه: هذا يحتاج إلى تأمل ولنلاحظ ذلك في عدّة نقاط:

الأولى: لو أراد الإمام أن يعرف نفسه لشخص ما فإنّ ذلك يتطلب بعض المعاجز لإقناعه، ولو حصل ذلك فإن الباب سيفتح على مصراعيه للمشعوذين والسحرة الذين سوف يستغلون ذلك في تضليل الناس، خاصّة البسطاء، وفي هذا كثير من المفاسد.

الثانية: قد يستغل الطامعون من الانتهازيين هذا الأمر فيخدعون البسطاء بادّعائهم رؤية الإمام، ومن ثمّ ينسبون له أحكاماً مخالفة للشرع، وبذلك يتشوّه الدين. فكلّ من أراد تحقيق غرض من أغراضه الشخصية ادّعى رؤية الإمام وتأييده لذلك.

الثالثة: ليس لدينا ما ينفي لقاء الإمام وظهوره لبعض الثقات من الناس، ومن المحتمل ذلك جدّاً، وان البعض من الصالحين والمؤمنين قد التقى الامام، ولكنه يكتب ذلك لمسائل أمنية.

ما الفائدة من وراء إمام غائب؟

المهندس: إن الأصل في وجود الإمام هو الحضور وانتفاع الناس منه، فما جدوى وجود إمام غائب؟ ما فائدة إمام يغيب مئات السنين، عاجز عن نشر الدين وحل مشاكل المسلمين، فلا هو يأمر بالمعروف ولا هو ينهى عن المنكر، ولا يدفع الأذى عن المؤمنين، ولا يقيم حدود الله، ولا يرشد الناس إلى مسائل الحلال

والحرام.. فياترى ما فائدته إذن؟

نبيه: إن الغيبة كما ذكرت فيها حرمان كثير من الفوائد، على ان فائدة الإمام الغائب لا تنحصر في ذلك. أنها تتعداها إلى فوائد عديدة وهامة منها:

- انّ كلّ الأحاديث التي تدور في مجال الإمامة والولاية تجعل من وجود الإمام المبرّر الوحيد لاستمرار وتكامل النوع الإنساني في الأرض، ولولاه لتعرض للانقراض والزوال، وبدونه لا يُعرف الله، ولا نقطع ذلك الارتباط بين عالم العقل والروح وبين عالم المادّة. إنّ وجوده بمثابة المصدر الكهربائي الذي يمدّ آلاف المصابيح بالطاقة والتيار اللازمين، وإن إفاضات عالم الغيب إنما تنعكس عن قلبه إلى قلوب سائر الناس، فالإمام هو قلب عالم الوجود وهو مثال الكمال الإنساني، وإن التساؤل الذي يُثار حول جدوى امام غائب أنّما يصدر عن الذين لم يدركوا المعنى الحقيقي للإمامة، ولا يرون فيه سوى مفتياً أو منقّداً لحدود الله.

فعن جعفر الصادق عن أبيه عن جدّه علي بن الحسين (عليهم السلام) قال: «نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادات المؤمنين وقادة الغرّ المحجلين وموالي المسلمين، ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وبنا يمسك السماء أن تقع على الأرض إلاّ بإذنه، وبنا ينزل الغيث وتنشر الرحمة وتخرج بركات الأرض ولولا ما على الأرض منّا لساخت بأهلها».

ثم قال: «ولم تخل منذ خلق الله آدم من حجّة الله فيها، إما ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو الأرض إلى ان تقوم الساعة من حجّة ولولا ذلك لم يُعبدا الله».

قال سليمان: فقلت لجعفر الصادق (عليه السلام) كيف ينتفع الناس بالحجّة

الغائب المستور؟ قال كما ينتفعون بالشمس اذا سترها سحب^(١).

في هذا الحديث وأحاديث أخرى نلمس لوجود الإمام أثراً تكوينياً، فهو يشبه الشمس ودورها في استمرار الحياة على الأرض، ولولاها لانعدمت الحياة. وهذه الأهمية للشمس - وهي مركز المجموعة الشمسية - لا تنتفي بحلول المساء والظلام، ولا باختفائها خلف الغيوم. إنها تمدّ الأرض بالحرارة والنور للحياة. ومن الخطأ ان نظنّ بأن الشمس تفقد أهميتها وفائدتها في الليل أو وراء الغيوم.

وهكذا وجود الإمام، فهو قلب العالم الإنساني، والأساس التكويني للتكامل البشري، ولا فرق في ظهوره وغيابه، وينبغي هنا ان نستذكر ما تعرضنا له سابقاً في لقاءات ماضية حول النبوة والإمامة؛ لنستكشف المعنى الحقّ للولاية، والفوائد المترتبة لوجود الإمام، وأنه المبرّر الوحيد لاستمرار النوع البشري.

على ان الغيبة في الواقع تعدّ حرماناً كبيراً للناس من فوائد الإمام، وبالطبع فإنّ اللوم لا يقع على أحد سوى البشر أنفسهم الذين لم يتهيأوا بعد لظهور الإمام والإيمان به قائداً ومعلماً ومنقذاً للبشرية.

ربما يتساءل البعض فيقول: إذا كانت الظروف لا تساعد على ظهور الإمام فما جدوى هذه الجهود المبذولة في طريق مليء بالأشواك والأخطار؟

وهنا ينبغي أن نفهم شيئاً هاماً، هو انّ المسلم لا يفكر في مصلحته الآنية، وإن عليه أن يبذل قصارى جهده لتحقيق النفع العام بل السعي لإصلاح البشرية جمعاء، وانّ الجهاد ضد الطغاة والمستغلّين هو من أكبر العبادات.

وربما يقال أيضاً: ما جدوى ان يجاهد شخص أو شخصان بينما الانحراف ظاهرة عامة؟ والجواب: ان سعي المؤمن من أجل إصلاح من حوله سوف يكون له الأثر البالغ في نشر الحقّ والتمهيد في ظهور الإمام، إضافة إلى أنه يكون قد أدّى واجبه وأنجز وظيفته كمسلم غيور، وأنه سيكون مستحقاً لثواب الله ورضوانه. إن خطوة واحدة من أجل الحقّ وفي سبيل الحقّ لها من الثواب ما يعجز الإنسان عن وصفه، وهذا هو الانتظار الحقّ.

وهناك شيء لا ينبغي التغافل عنه وهو ان المهدي يمثل الأمل للمؤمنين الذين جعلوا الاصلاح همّهم الوحيد، وبدون الأمل لا يمكن أن يكون هناك سعي وحركة ونشاط، فالجماعة التي تشعر باليأس لا تملك مقومات الاستمرار فضلاً عن النجاح.

أجل ان أوضاع العالم تبعث على الحزن، لقد طغت المادّة على الحياة الإنسانية وانتشر الفساد وعمّ الظلم، وما زال الاستعمار يبطش بالشعوب المقهورة والأمم المستضعفة، والحروب مشتعلة هنا وهناك، والأرض مليئة بترسانات الأسلحة المدمّرة، والمصلحون في العالم أصابهم اليأس والقنوط حتى ان بعضهم يرى ان لا طريق للإصلاح أبداً، وان البشرية تنزلق باتجاه الهاوية والفناء.

وفي غمرة هذا الوضع المخيف والمظلم فإن هناك في الأفق كوة مضيئة بالأمل، وإن علينا ان نترقّب وننتظر ظهور الفرج.. لإشراق حكومة العدل الإلهي.

والانتظار المطلوب هو الانتظار الايجابي الذي يبعث في القلوب الكسيرة الطمأنينة والسلام، وهذه البشارات التي تتحدّث عن يوم موعود لانتصار المظلومين هي التي تمدّ المستضعفين بالروح.. روح المقاومة والصمود.. فالأمل هو أعظم ما

يملكه الإنسان المتفائل الذي ينظر إلى المستقبل فيراه أخضر بلون الربيع .
 إنّ سيّدنا محمّداً (صلى الله عليه وآله وسلّم) وهو يرتسخ في أذهان أتباعه
 فكرة المهدي إنّما يهدف إلى القضاء على مارد اليأس وسدّ الطريق أمام التخاذل
 والهزيمة أمام الانحراف والفساد والظلم، فالجولة الأخيرة للإسلام، ولا بدّ لراية
 التوحيد أن تخفق فوق ربوع العالم بأسره .
 ولنصغ إلى مؤسس البلاغة .. إلى عليّ (عليه السلام) وهو يخطب في
 المسلمين :

«وأخذوا يميناً وشمالاً في مسالك الغيّ وتركاً لمذاهب الرشد، فلا
 تستعجلوا ما هو كائن مرصداً، ولا تستبطنوا ما يجيء به الغد، فكم من
 مستعجل بما ان أدركه ودانه لم يدركه، وما أقرب اليوم من تباشير
 غد. يا قوم! هذا ابان ورود كلّ موعد ودنو من طلعة ما لا تعرفون،
 ألا وان من أدركها منّا يسري فيها بسراج منير ويحذو فيها على مثال
 الصالحين، ليحلّ فيها ربقاً ويعتق رقاً ويصدع شعباً، في ستره عن
 الناس، لا يبصر الفائق أثره ولو تابع نظره ثم ليتخذن فيها قوم شحذ
 القين النصل، تجلى بالتنزيل أبصارهم، ويرمى بالتفسير مسامعهم،
 ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح»^(١).

ونستشف من هذه الخطبة ان الناس في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
 كانوا ينتظرون وقوع الحوادث التي أخبر بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلّم)،

وجوّ الخطبة كما هو واضح يدور حول الغيبة وانّ الإمام خلالها يسعى ببصيرة من الله في الدفاع عن دينه وأمّته ويدفع عن المظلومين الأذى، ويشتت قوى الكفر التي تسعى لتدمير الدين. وببركة وجوده يستمر الإسلام والقرآن، ووجود المؤمنين.

فهمني: ليتك توضّح لنا هذا الغموض في أحاديثنا نحن أهل السنّة حول وجود المهدي بهذا الوضوح الذي لديكم فلم يرد له ذكر لأسمائه مثل القائم، وصاحب غير أنّ الوقت متأخّر، فأرجو من سيادتكم الجواب في اللقاء القادم.

الحوار الثامن

انتظم اللقاء بحضور الأخوة وأعاد السيّد فهمي سؤاله السابق:

فهمي: ان أحاديث أهل السنّة لا توضّح مسألة المهدي بالشكل الموجود لدى اخواننا من الشيعة، وما ورد في ذلك لا يزيل الغموض والإبهام عن هذه المسألة الحسّاسة، كقصّة الغيبة التي تؤكد في كلّ الأحاديث التي يرويها اخواننا الشيعة حيث عدّت من علامات المهدي المسلّم بها، في حين بقيت هذه المسألة في الظلّ لدى أهل السنّة، ثمّ مسألة تعدّد ألقاب المهدي مثل القائم والحجة وصاحب الأمر، فيما هو لدى أهل السنّة معروف بلقب وحيد هو المهدي، وهذا مشكل بالنسبة لي، فهل لديكم ما تقولونه في هذا المضمار؟

نبيه: الجوّ العام الذي ساد عصور بني أميّة وبني العباس جعل لمسألة المهدي بعداً سياسياً خطيراً. فما يخصّ غيبته ومن ثمّ خروجه ثائراً يشكّل أمراً بالغ الخطورة للحاكمين آنذاك، وهذا ما جعل الخلفاء حسّاسين تماماً تجاه مسألتين هما الغيبة والقيام.

ولو راجعتم تاريخ بني أمية وبني العباس والأزمات والصراعات المريرة التي وقعت هنا وهناك في الأرض الإسلامية فسوف تتوضح ما لمسألة المهدي من خطورة وحساسية.

وبالطبع لا يمكنني في هذه العجالة استعراض الوقائع التاريخية التي تؤيد ما أرمي إليه، ولكن من الممكن الإشارة إلى ما يلي:

ان فكرة المهدي الموعود فكرة عميقة الجذور تعود إلى عهد النبي الذي بشر بظهوره ليملا الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تُملاً ظلماً وجوراً.
من أجل هذا كانت أملاً كبيراً للمقهورين والمستضعفين تدفعهم الى الحركة والنشاط والاستمرار في المقاومة؛ خاصة في الظروف الصعبة والمنعطفات التاريخية الخطيرة.

ولعلّ المختار الثقفي هو أوّل من وظّف قضية المهدي في الثورة ضد بني أمية بعد حادثة كربلاء ومقتل الحسين (عليه السلام)، ولما كان محمّد بن الحنفية وهو أخو الحسين يحمل اسم رسول الله وكنيته، فقد انتهز المختار هذه الفرصة وأعلن بأنّ محمّد بن الحنفية هو المهدي الموعود، ولقد لقيت هذه الدعوة تصديقاً لدى الرأي العام في الكوفة على الأقلّ لما شاهده من ظلم وجور، وما سببته مذبحة كربلاء من هزّة عميقة في الضمائر. ولعلّ هذه الدعوة هي أساس النجاح الساحق الذي حققه المختار في ثورته وتحرير الكوفة من قبضة الجلادين.

وفي أواخر حكم بني أمية ظهر شخص آخر يرفع لواء المهديّة وهو «أبو مسلم الخراساني» وقد حظيت دعوته بترحيب واسع في خراسان لأن ثورته كانت

تهدف إلى الثأر لدماء الحسين وأصحابه في كربلاء، والانتقام من قَتلة الثائر العلوي زيد بن علي الذي لقي مصرعه على نحو فجيع، وكذا الثأر لدماء ابنه يحيى بن زيد الذي قُتل في عهد الوليد الأموي.

ولقد عدّ بعضهم «أبا مسلم الخراساني» المهدي الموعود نفسه بينما عدّه فريق آخر بأنه من علامات ظهوره والممهدين له. ومهما كانت الدوافع للثورة وأهدافها فإنها حملت شعاراً ضخماً هو الدعوة إلى «الرضا من آل محمّد» وكان هذا أساساً لنجاحها وانهيار الحكم الأموي الغاشم.

ولقد استطاع زعماء بني العباس الذين كانوا يحرّكون الأحداث في المسار الذي يرتأون.. استطاعوا توظيف العواطف المخزونة لآل البيت في طرح شعارات عامّة وتسليط الأضواء على بعض الشخصيات العلوية للإستفادة منها في الإنقضاء على الحكم الأموي، إضافة إلى حشر أنفسهم كجزء من بني هاشم في آل البيت الذين يحظون باحترام واسع لدى الأمة.

وهكذا تمكّن بنو العباس من الإطاحة بالنظام الأموي وعمّت الفرحة سائر البلدان الإسلامية وهي ترى عودة الحقّ إلى نصابه وعودة الخلافة إلى أهلها من آل البيت.

ولم تكد تمرّ بضعة أعوام حتى استيقظت الأمة من أحلامها الذهبية على ظلم أشدّ من ظلم بني أميّة وأقسى، وواجه العلويون الذين تنفّسوا الصعداء قليلاً حملة إبادة رهيبة جعلتهم يفكرون باستئناف الثورة من جديد، فبدأوا فصولاً مريرة من المقاومة ضد الظلم الجديد.

لقد وجد العلويون أنفسهم مضطرين للثورة ورفع لواء المقاومة من جديد.

ولقد أضحى آل محمد رمزاً للثورة والمظلومية وكانوا محوراً للأمة التي أدركت بعد فوات الأوان ذلك، وأضحى الثوار العلويين نماذج كبرى للمقاومة في سبيل الله، فهم:

- أولاد علي وفاطمة رمز الطهر والاخلاص وهم أحق بالخلافة من غيرهم.
- وهم أيضاً أولاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فاحتلوا من أجل ذلك منازل رفيعة في القلوب.

- كما أنهم اضحوا رمزاً للمظلومية، فلقد اغتصبت كل حقوقهم، وصب بنو العباس عليهم الظلم صباً.

ومن هنا أصبح بنو علي رمزاً للقيادة المثلى والشعور بالمسؤولية تجاه الأمة والدين، وكلما تصاعد الظلم والجور، كلما تعمق حب علي وأولاده في القلوب وتجدد في النفوس.

ولما كانت الأخبار قد تضافرت حول المهدي الموعود وأنه من ولد فاطمة فقد أضحى ذلك أملاً للمظلومين وهاجس الظالمين، ولهذا كان العباسيون يعدون أبناء علي (عليه السلام) أكبر خطر يتهدد حكومتهم، وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه ان موسى الهادي قد عمم أمراً بإلقاء القبض على بني علي وإرسالهم مخفورين إلى بغداد^(١).

وكان جل هم جعفر المنصور لما تقلد الخلافة القبض على محمد بن عبدالله بن الحسن^(٢).

(١) تاريخ اليعقوبي طبعة النجف سنة ١٣٨٤ ج ٣ ص ١٤٢.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٤٣.

غيبة العلويين

من الظواهر التي تلفت النظر في العصر العباسي ظاهرة اختفاء بعض العلويين وتواريتهم عن الانظار، خاصة ممن تتوفر فيهم بعض علامات المهدي، إذ ان هؤلاء سرعان ما يصبحون محوراً لاستقطاب الأمة التي تبحث عن العدل الإسلامي، ومن هنا فأنهم سرعان ما يصبحون أيضاً هاجس الحاكمين الذي يقضّ مضاجعهم ويسلب الكرى من عيونهم.

ولقد حدّثنا التاريخ عن كثير من ابناء عليّ قضاوا عمرهم مختبئين بعيداً عن عيون الجواسيس خوفاً من بطش الحاكمين.

ويذكر أبو الفرج في كتابه «مقاتل الطالبين» بعضاً منهم:

- سأل ابو جعفر (المنصور) لما حج عبد الله بن الحسن عن ابنه؟ فقال: لا علم لي بهما^(١).

- توارى عيسى بن زيد بعد وقعة باخمري ومقتل ابراهيم في دور بن صالح وطلبه المنصور ومن بعده المهدي^(٢).

- وتوارى محمد بن القاسم ايام المعتصم، وايام الواثق^(٣). ثم أخذ في أيام المتوكل، فحمل اليه فحبس حتى مات في محبسه. ويقال انه دس اليه سماً فمات منه^(٤).

(١) مقاتل الطالبين ص ١٤٣ - ١٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٨.

(٣) المصدر السابق ص ٣٩٢.

(٤) المصدر السابق ص ٣٠٨ - ٣٢١.

- وتوارى يحيى بن عبد الله بن الحسن في خلافة الرشيد ثم سيق إلى السجن حيث قضى نحبه فيه اثر الجوع والتعذيب^(١).

- ووُلِّي موسى الهادي على المدينة رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله فحمل على الطالبين وأساء اليهم وأفرط في التحامل عليهم وطالبهم بالعرض كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة وأخذ كل واحد منهم بكفالة قرينه ونسبيه، فضمن الحسين بن علي ويحيى بن عبد الله بن الحسن، الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ووافى أوائل الحاج وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً فنزلوا دار ابن افلح بالبقيع وأقاموا بها ولقوا حسيناً (صاحب فخ) وغيره فبلغ ذلك (العمرى) فأنكره، ثم أشاع ان الحسن بن محمد بن عبد الله قد وجد على شراب، فضرب الحسن ثمانين سوطاً وأمر أن يدار في المدينة زيادة في التنكيل به وفضح بني هاشم.

ووصى العمرى على الطالبين عيسى الحائك مولى الانصار فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم بالانصراف حتى بدأ أوائل الناس يجيئون إلى المسجد ثم اذن لهم فكان قصارى احدهم أن يغدو ويتوضأ للصلاة ويروح إلى المسجد، فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ثم عرضهم فدعا باسم الحسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى والحسين بن علي لتأتياي به أو لأحبسكما فان له ثلاثة أيام لم يحضر العرض ولقد خرج أو تغيب، ثم هددهما بالقتل وهذم الدور^(٢).

(١) المصدر السابق ص ٤١٥ - ٤١٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٤ - ٢٩٦.

وهناك أمثلة أخرى تزخر بها كتب التاريخ التي تصوّر الجوّ الخانق والرهيب السائد آنذاك. ومن هنا فإن حركة التأليف وضبط الأحاديث لا بدّ وان تتأثر سلباً وتأخذ مساراً لا يشكّل خطراً على الحاكمين، ان لم نقل يخدم أهدافهم في كثير من الأحيان.

ولنتصوّر إذن ماذا سيكون موقف العباسيين ازاء الذين يحاولون ضبط وتسجيل الأحاديث التي تبشّر بالمهدي الموعود الذي يعدّ أكبر الأخطار التي تهدّد حكمهم ووجودهم بالزوال.

انحسار الحرية

روى ابن عساكر عن محمد بن اسحاق قال: أخبرني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: ما مات عمر بن الخطاب حتى بعث الى اصحاب رسول الله فجمعهم من الآفاق، عبد الله بن حذيفة وأبا الدرداء وأبازر وعقبة بن عامر فقال: ما هذه الاحاديث التي افشيتم عن رسول الله في الآفاق! قالوا: تنهانا؟ قال: لا، اقيموا عندي لا والله لا تفارقوني ما عشت فنحن نعلم نأخذ منكم ونرد عليكم فما فارقه حتى مات^(١).

وروى ابن عساكر، واللفظ لابن سعد، قال: سمعت عثمان بن عفان على المنبر يقول: لا يحل لأحد أن يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر^(٢).

(١) اضواء على السنّة المحمّدية لمحمود أبو رية الطبعة ١ ص ٢٩.

(٢) المصدر السابق ص ٣٠.

وجاء معاوية ليزيد الطين بلة بتشجيع الوضع والتزوير فأصدر أمره باختلاق أحاديث في فضائل الصحابة والخلفاء والتشويش على أحاديث صحيحة في فضل عليّ عدوّ اللدود^(١).

وجاء المأمون سنة ٢١٨ هـ ليمارس الارهاب الفكري على نطاق أوسع بافتعال ما دعي في التاريخ بـ «محنة خلق القرآن» حيث تعرّض للإهانة والشتيم وحتى التعذيب كثير من الفقهاء وكان السؤال هل ان القرآن قديم أم مخلوق، وكان يصدر حكم التكفير بكلّ من يؤمن بخلق القرآن، وعمّم أمراً إلى المدن والحوضر الإسلامية أسقط بموجبه شهادة من يقول بذلك. وهكذا وجد كثير من الفقهاء -وخشية على حياتهم- أنفسهم مضطرين إلى اعتناق رأي الخليفة^(٢).

وقد استدعي مالك بن أنس فقيه الحجاز الكبير بعد أن أفتى على خلاف رغبة والي المدينة جعفر بن سليمان وتعرض للاهانة، ثم أمر بجلده سبعين سوطاً غادرته طريح الفراش مدّة من الزمن^(٣).

ثم أرسل إلى بغداد حيث طلب المنصور منه تأليف كتاب في الفقه والحديث وشدّد عليه في الكتابة عن بعض الرواة دون غيرهم وان ينجز ذلك في عام واحد^(٤). وقد احضر المعتصم العباسي أحمد بن حنبل وامتحنه في هل أنّ القرآن

(١) النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل ط ٣ ص ٨٧.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ٢٠٢.

(٣) الامامة والسياسة ج ٢ ص ١٧٧ - ١٨٠.

(٤) المصدر السابق.

مخلوق أم قديم، ثم أمر بجلده بالسياط^(١).

وكان هارون الرشيد قد أمر بهدم دار عباد بن عوام ومنعه من رواية الحديث^(٢).

وطلب والي بخارى من محمد بن اسماعيل البخاري ان يعرض عليه صحيحه حيث امتنع عن ذلك لمعرفة بمرامي الحكّام، وكان هذا سبباً في نفيه من وطنه الى إحدى قرى سمرقند وتدعى «خرتتك» حيث قضى فيها بقية عمره، وكان يشكو إلى الله ظلم الولاة^(٣).

وكان النسائي قد ألف كتابه «الخصائص» وذكر فيه فضائل لعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فاستدعي إلى دمشق وطلب منه أن يذكر فضائل لمعاوية في كتابه فأجاب أنه لا يعرف لمعاوية فضيلة إلا دعوة الرسول عليه ألاّ يشبع بطنه، فانها لوا عليه يضربونه فتوفي متأثراً بذلك^(٤).

خلاصة القول

وفي مثل هذا الجوّ العاصف المشحون بالخطر، وحيث فكرة المهدي قد تبلورت لتأخذ شكلاً سياسياً بالغ الخطورة، كيف يمكن في مثل هذا الجوّ أن ينبري رواة الحديث إلى نقل أخبار المهدي وأهدافه وعلامات ظهوره.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٣ ص ٢٠٦.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٤١.

(٣) تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٣.

(٤) النصائح الكافية ص ١٠٩.

لقد تعرّض الرواة والفقهاء للقتل والتشريد والجلد لأسباب شبه عادية، فكيف بمسألة حسّاسة كالمهدي. فهذا مالك بن أنس يحفظ مائة ألف حديث لم يثبت في كتابه الموطأ سوى خمسمئة حديث فقط^(١)! لأنّها ارادة المنصور والجوّ السياسي المشحون يملي ذلك.

ومن كلّ هذا نستنتج ان الأحاديث والرواية والأخبار كانت تخضع إلى رقابة من قبل الحكومات المتعاقبة طوال مئات السنين.

لهذا ظلّت روايات المهدي مبهمة وغامضة إلى حدّ ما لدى أذهان العامّة بينما نجدها واضحة لدى شيعة أهل البيت الذين يدينون بالولاء للائمة الطاهرين من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).

عمر الامام

جلال: كم يعمر الإمام الغائب؟

نبيه: ليس هناك رقم في ذلك، ولكن الروايات تشير إلى انّ عمره طويل. فعن الحسن بن محمّد بن صالح قال: سمعت الحسن العسكري (عليه السلام) يقول: ان ابني هو القائم بعدي، وهو الذي يجري فيه سنن الأنبياء بالتعمير والغيبة، حتى تقسو القلوب لطول الأمد، ولا يثبت على القول به إلا من كتب الله عزّ وجلّ في قلبه الايمان وأيّده بروح منه^(٢).

وهناك ستة وأربعون حديثاً آخر في هذا المضمار.

(١) اضواء على السنّة المحمّدية ص ٢٧١.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٤.

الدكتور: يا أخ نبيه.. انّ كلّ الذي ذكرتموه من أدلّة وبراهين حول وجود المهدي هو بالنسبة لي ولرفاقي شيءٌ جديد ويدعو إلى التأمّل، وأنا شخصياً مقتنع أمام هذه الأدلّة بوجود الإمام.. ولكن هناك مسألة هي غاية في التعقيد وشيء غير مألوف في الحياة الإنسانية وهو العمر.. إذ كيف يتسنّى للانسان أن يعيش كلّ هذه السنين بل كلّ هذه القرون من الزمن، اننا نعيش في عصر العلم والفضاء، فكيف يمكن حلّ هذه المعضلة؟

نبيه: أنا أيضاً يا دكتور لبيب أعترف بأنّ مسألة العمر في هذا الموضوع مسألة شائكة، وبالطبع فانا لست طبيباً وليست لديّ معلومات في علم الأحياء، ولكنني على استعداد للإصغاء اليكم، لذا أرجو أن تفضلوا علينا بما لديكم وكلّنا آذان صاغية.

الدكتور: انا بدوري اعترف بأن معلوماتي ليست كافية لكي تؤهلني للخوض في هذا الموضوع، واقترح في ذلك الاستفادة من سيادة الدكتور «أبو تراب النفيسي» عميد كلية الطب في جامعة اصفهان، وهو على ما أظنّ له اهتمام في مثل هذه المواضيع؛ لهذا سأصل به إذا لم يكن هناك من مانع.

نبيه: بالعكس أنا أرحب بذلك؛ وسأضع بدوري بعض الأسئلة وأرجو من سيادتكم ادراجها ضمن رسالتكم إليه؛ وهنا أجد من الأفضل تأجيل اللقاءات لحين وصول أجوبة الدكتور النفيسي، وسأحاول خلال هذه المدّة الحصول على بعض المعلومات المفيدة.

الحوار التاسع

بعد مضي حوالي الشهر على اللقاء الأخير استأنف الأخوة بحثهم في منزل السيد جلال، وبعد تبادل كلمات الودّ بدأ البحث بتمهيد السيّد نبيه: لقد وصل جواب الرسالة والحمد لله نرجو من سيادة الدكتور لبيب قراءته.

الدكتور: تسلّمت ببالح التقدير رسالتكم وأشكركم على عواطفكم الأخوية؛ وحول ما ورد في الرسالة، فقد أجبت باختصار، لكثرة مشاغلي حالياً مع الاعتذار.

س: هل هناك حدّ ما للعمر؟

ج: لا يوجد حدّ معيّن لعمر الإنسان، إلا أن عمر الإنسان قد يتجاوز مئة سنة بقليل وهناك اختلافات تنجم عن أثر المحيط والبيئة وعوامل الوراثة وأساليب الحياة، فقد حصلت تغيّرات في العصر الحاضر بالقياس إلى العصور الماضية.

فقد بلغ متوسط العمر في بريطانيا بين عام ١٨٣٨ - ١٨٤٥ م ٣٩/٩١ في الرجال و ٤١/٨٥ للنساء؛ وفي عام ١٨٣٧ بلغ لدى الرجال ٦٠/٤٠ ولدى النساء ٦٤/٤٠ وفي أميركا بلغ متوسط العمر ١٩٠١ م ٢٣ / ٤٨ في الرجال و ٥١ / ٨٠

في النساء، وارتفعت النسبة عام ١٩٤٤ ليبلغ ٦٣ / ٥٠ في الرجال و ٦٨ / ٩٥ في النساء.

وهذه النسب في الارتفاع تشمل مراحل الطفولة بسبب تحسّن طرق العلاج والوقاية من الأمراض خاصّة السارية منها، أمّا أمراض الشيخوخة التي تعدّ أمراضاً مستعصية من قبيل تصلّب الشرايين فلم يشهد علاجها تطوراً يذكر.

س: هل توجد قاعدة عامّة لتكون مقياساً ثابتاً لتعيين عمر الكائنات الحيّة؟

ج: يسود اعتقاد في ذلك حول وجود علاقة بين حجم الكائن الحيّ ونسبة العمر، فمثلاً لا يقارن عمر الفراشة أو البعوضة بعمر السلحفاة، وبالطبع فإن هذه القاعدة لا تنسحب على كلّ الحيوانات، فالبيغاء والغراب والأوز مثلاً تعمّر أكثر من الطيور الأخرى الأكبر حجماً منها، بل وأكثر من بعض الثدييات.

كما اننا نجد أسماك «السالمون» تعيش مائة عام، «الكراب» مائة وخمسين عاماً و «البيك» مائتي عام، بينما لا يعيش الحصان أكثر من ثلاثين سنة.

ومنذ عصر ارسطو كان يظنّ ان عمر الكائن الحيّ يعادل نسبة معينة من مدّة بلوغه، فيرى «فرانسيس بيكون» انها تبلغ ثمانية أضعاف مدّة بلوغه بينما هي لدى «فلورانس» خمسة أضعاف.

وفي الإنسان يرى كلّ من «بوفون» و «فلورانس» انّ العمر الطبيعي للإنسان هو مائة عام وهي تكاد تكون سائدة في الأذهان.

وهناك طائفة من المعمرين عاشوا أعماراً طويلة منهم: «هنري جانكينز» الذي عاش ١٦٩ سنة، و «توماس پار» ٢٠٧ سنة و «كاتوين كونتيس دسموند» ١٤٠ سنة؛ ولا يخلو هذا التحديد من المبالغة في بعض الأحيان.

العوامل

س: ماهي العوامل المؤثرة في العمر؟

ج: هناك جملة عوامل منها:

- العامل الوراثي: وهو مؤثر في طول العمر، فيمكن ملاحظة ذلك لدى بعض الأسر التي يعمر أفرادها أكثر من الحدّ المتوسط إذا لم تكن هناك مؤثرات خارجية. وهناك بحوث ممتعة في هذا المضمار كالدراسة التي أجراها «ريموند بيرل»، فقد قام بمعونة ابنته بإحصاء سبعة أظهر من: الجد الأكبر - الجدّ - الحفيد - ابن الحفيد - ثم ابنه - فوجد ان أعمارهم بلغت ٦٩٩ عاماً على ان اثنان منهما ماتا في حوادث، وهناك دراسة «لوي دوبلين» و «هربرت ماركس» في سجّلات شركات التأمين أثبتت تأثير طول عمر الأجداد في أبنائهم وأحفادهم. وقد يؤثّر هذا العامل في الحدّ من تأثير عوامل أخرى كعامل البيئة أو بعض العادات السيئة، ومن هنا يمكننا تفسير طول العمر لدى بعض المدمنين على المشروبات الكحولية.

ويرث الأبناء السلامة واللياقة البدنية المؤثرة في طول العمر عن الآباء والأجداد؛ مع التأكيد على الجهاز العصبي، والدورة الدموية، إضافة إلى رأي «كازاليس» القائل: «يمكن اكتشاف عمر الانسان في شرايينه»، فهناك من يصل سنّ الشيخوخة قبل الأوان وذلك بسبب تصلّب الشرايين الوراثي.

- العامل البيئي: للبيئة أثر كبير، فالأجواء المعتدلة والهواء النقي من السموم والجراثيم، وأشعة الشمس الكافية لها تأثيرها في إطالة العمر.

- نوع العمل : يعدّ الاسعراق في العمل والجهد النفسي والعصبي المبذول من العوامل المؤثرة في إطالة العمر مع اشتراط الصفاء الذهني والفكري ، وبعكس ذلك فإن الملل الناجم عن البطالة وانحسار الجهد العضلي والعقلي له آثاره في قصر العمر أكثر من الإجهاد الناتج عن العمل المتواصل ، ولهذا يلاحظ ان الوزراء والقساوسة يعمرّون أكثر من غيرهم وهذا يعود إلى عملهم الدؤوب .

- الغذاء كماً ونوعاً : للغذاء دور وتأثير كبير في إطالة العمر ، فقد لوحظ انّ المعمرّين كانوا يتناولون وجبات خفيفة وقليلة ، ولهذا يقول « مونتين » : « الانسان لا يموت ولكنه ينتحر » كما قيل أيضاً : « الإنسان يحفر قبره باسنانه » .

ان التخمة وكثرة الأكل لها آثار مضرّة في حياة الإنسان ، فعنها تنجم أمراض مختلفة كالسكري وتصلّب الشرايين وأمراض القلب والكلى ؛ ومن المؤسف أن نشاهد البعض وهم يستعرضون عضلاتهم ويتباهون بقوة كاذبة قبل الإصابة بهذه الأمراض .

وقد لوحظ تضائل عدد الإصابات بمرض السكري في بعض البلدان ابان الحرب العالمية الأولى ، ويعود هذا إلى شحّة الغذاء وانتشار الفقر فكان لهذا دور في اعتدال الأكل ؛ فمن المعروف مثلاً ان الافراط في تناول اللحوم بعد سن الأربعين يخلق مضاعفات خطيرة .

وفي هذا المضمار أثبتت تجارب الدكتور « Mccay » في جامعة « كورنل / نيويورك » التي أجريت على الفئران ان السمان منها تعيش أقلّ من الفئران النحيفة ، وان الفأر يصل إلى أوج قوّته بعد أربعة أشهر ويصاب بالشيخوخة قبل السنة الثانية ويموت قبل الثالثة .

وقام هذا الدكتور بتربية مجموعة من الفئران على نظام غذائي غني بالفيتامينات والمواد المعدنية وتوصل إلى نتائج مذهشة حيث لاحظ ان مدة بلوغها استغرقت ألف يوم، في حين كان متوسط ذلك أربعة أشهر فقط، كما لاحظ ان أقصى فأر عاش ٩٦٥ يوماً بينما امتد العمر بفئران (النظام الغذائي) إلى مدد أطول بكثير، كما انها بقيت شابة وفتية ونادراً ما تصاب بالأمراض، وكانت أذكى من أفراد صنفها.

وقد أُجريت هذه التجارب على حيوانات أخرى كالأسماك و «Rmphibien» وأعطت نتائج مشابهة.

ان التخمة والافراط في تناول الطعام له آثاره في قصر العمر، وبالمقابل فإن سوء التغذية له نفس الآثار المدمرة، وإذن فالاعتدال هو الطريق المثالي في ذلك.

ظاهرة الشيخوخة

س: ماذا تعني الشيخوخة؟

ج: تصاب بعض الأعضاء الأساسية في البدن كالقلب والكلى والكبد والمخ والغدد بالإرهاك والإجهاد، فتصبح عاجزة عن إنجاز وظائفها على الوجه المطلوب، ويبدو ذلك في الاحساس بالضعف العام.

س: ماهي عوامل الشيخوخة؟

ج: يصاب المرء بالشيخوخة في سنين معينة، وهي ان كانت تظهر في فترات معينة ولكن ذلك لا يعدّ سبباً لها، فالشيخوخة ليست مرحلة زمنية، بل ظاهرة جسدية يمرّ بها الإنسان عادة، حيث تصاب أعضاء الجسم بالضعف والعجز عن

القيام بوظيفتها بالشكل المطلوب، فمثلاً يضعف الجهاز الهضمي عن اداء مهامه، ثم يسري ذلك إلى بقية أنحاء الجسم فتراجع القدرة الجنسية، كما يحدث ارتباك في الذاكرة خاصة في تذكّر الأسماء، ولكننا نشاهد في بعض الأحيان صفاءً روحياً بالرغم من الضعف الشديد في الجسد، ومن هنا يمكن القول ان الشيخوخة ليست علة بل هي معلولة، فمن الممكن أن تجد اشخاصاً معمرين يتمتعون بحيوية كاملة، وفي المقابل نلاحظ أفراداً يعانون من الشيخوخة وهم في سن مبكرة.

س: ماهي بواعث هذا العجز في الجسد؟

ج: يولد الإنسان وفي جسمه أعضاء لها قابلية العمل متأثرة بالعامل الوراثي، ثم تتعاقب المؤثرات الأخرى كالبيئة والتغذية واسلوب الحياة، ومبدئياً إذا كان كل شيء يسير على ما يرام فمن الممكن استمرار الإنسان في حياته، ولكن عندما تتأثر أجهزة الجسم أو أحدها فإن الآثار سرعان ما تشمل سائر الجسد، فالإنسان يعيش في بيئة ويقاوم هجمات الجراثيم في الخارج والسموم في الداخل، وهذا له تأثيره الضارّ بالخلايا الحيّة.

وجسم الإنسان يضم مختلف أنواع النشاط الحيوي، إذ يتوجّب عليه تموين جميع انحاءه بالغذاء الكافي والطاقة اللازمة، وفي نفس الوقت يصدّ هجمات الجراثيم والفيروسات وفي الوقت نفسه يقوم بإصلاح الأجزاء التالفة، وطرد السموم، ونقل الاغاثات إلى الأعضاء المصابة بالعجز، أنه في حرب مستمرة مع أعداء مختلفين وتواجهه التحديات في كل لحظة، ولذا فإن عليه أن يكون في حالة انذار دائمة.

يستمد الجسم قدرته من الطاقة الناجمة عن الغذاء اللازم وذلك لتوفير كل ما

يحتاجه البدن من وسائل الدفاع، على انّ الإنسان ومع بالغ الأسف لا يعرف حاجات جسمه، وبالتالي فإنّه يخذله في معركته مع الأعداء، بل أنّه يزيد الطين بلّة عندما يتناول أشياء تخدم العدوّ وتفتح الطريق أمام غارات الجراثيم وفي المقابل تضعف وسائل الدفاع المطلوب ويخسر الجسم نضارته السابقة لتظهر عليه أعراض الشيخوخة والذبول.

وقد يصاب الجسم بالشيخوخة بسبب الاصابة ببعض الأمراض أو ممارسة عادات ضارّة.

ويعتقد «متشكوف» ان السموم الناجمة عن تخمّر مكروبات الأمعاء هي وراء الشيخوخة ولو أمكن تطهير الأمعاء منها لعاش الإنسان طويلاً. وقد نشأ هذا الاعتقاد من نتائج بحوث أجريت حول ذلك، حيث لوحظ انّ نسبة المعمرين تزداد في بلاد «البلقان» خاصة في «بلغاريا» وفي «تركيا» والقوقاز، ووجد انّ تناول اللبن الرائب هو السبب في ذلك لاحتوائه على مادة «أسيد لاكتيك» الذي يقضي على تلك المكروبات.

ومن البديهي انّ طول أعمار الذين يعيشون في تلك المناطق الجبلية لا يتوقف فقط على نوع الغذاء، بل هناك عوامل الوراثة والبيئة واسلوب الحياة، وهذا ما نشاهد له نظيراً في سكّان المناطق الجبلية من ايران ايضاً.

س: هل من المحتمل ان يكتشف الإنسان مستقبلاً دواءً يعزّز من قدرة الجسم في المقاومة ويمنع حدوث الشيخوخة؟

ج: انّ العلم ما يزال يحبو في أول الطريق، ومن المحتمل جداً أن يتمكن الانسان من ذلك في المستقبل.

طول عمر الإمام

س: يعتقد الشيعة أنّ الإمام المهدي هو ابن الامام الحسن العسكري وقد ولد سنة ٢٥٥ هـ أو ٢٥٦ وهو حيّ غائب منذ ذلك الوقت، ومن المحتمل ان يعيش قروناً أخرى من الزمن، فما هو رأي علم الأحياء في ذلك؟

ج: انّ العلم لا يرفض ذلك مبدأياً وإذا أراد ذلك فإنّ الأمر يتطلب أدلة علمية يمكنها أن تفنّد هذه المسألة؛ على انّ علم الأحياء يزخر بنماذج كثيرة في ظاهرة امتداد العمر وهذه أمثلة:

- في عالم النباتات توجد شجرة السكويا «Sequoia» المعمّرة في كاليفورنيا بأمريكا الشمالية، ويبلغ ارتفاع بعضها «٣٠٠٠» قدم ومحيط جذعها «١١٠» أقدام، وقد يتجاوز عمر بعضها خمسة آلاف عام حتى يمكن القول أنّها كانت طرية وفتية يوم شرع الفرعون «خوفو» ببناء أضخم الأهرام في مصر وكان محيط جذعها يبلغ قدماً واحداً يوم ولد المسيح (عليه السلام). ففي المتحف الطبيعي في «Kensington» يوجد مقطع عرضي لجذع شجرة من هذا النوع تدعى «Scqueiagigenta» وفيه ١٣٣٥ حلقة ممّا يدلّ على أنّ عمرها يبلغ نفس هذا العدد من السنين^(١).

وفي أميركا توجد شجرة صنوبر في كاليفورنيا ما تزال حيّة حتى الآن ويبلغ عمرها الحالي أكثر من أربعة آلاف وستمئة عام واسمها «Pinasaristata».

(١) دائرة المعارف الامريكية ج ١٧ ص ٤٦٣.

وفي عالم الحيوان يوجد نوع من السلاحف في جزيرة «كالابا كوش» وهي بعمر ١٧٧ عام وفي وزن ٤٥٠ باوند ويبلغ سمك جلدها أربعة أقدام^(١).

- كشفت الحفريات في مصر القديمة وفي مقبرة الفرعون الشاب «توت عنخ آمون» حبوباً من القمح يعود تاريخها إلى ثلاثة أو أربعة آلاف عام، وقد شاهدها بعيني، ثم قرأت في الصحف والمجلات حول استنباتها وأنها اخضرت ونمت وأثمرت، وهذا دليل على احتفاظها بالحياة كل هذه القرون الطويلة.

- وتعدّ الفايروسات من أقدم الكائنات الحيّة، وهي كما هو معروف تسبب العديد من الأمراض كالزكام والانفلونزا والحمى، وقد دلّت التنقيبات على أنها عاشت في عصور ما قبل التاريخ وربما قبل ١٠٠٠/٠٠٠ سنة، وهي بعد لم تفقد آثار الحياة بالرغم من انها تبدو ميّتة^(٢).

- نشرت الصحف مؤخراً أن الحفريات في سيبيريا كشفت عن نوع من الكائنات الحية أكبر، وعندما وضع في ظروف مساعدة عاودته الحياة مرّة أخرى بعد فترة طويلة من الانجماد.

- من الطرق التي يمكن فيها اطالة عمر الكائن الحيّ هي ظاهرة «الهيبيوناسيون» أو «البيات الشتوي» الذي يجعل من الكائن نصف حيّ، وهو يستغرق كلّ فترة البرد أو فترة الحرّ. وفي مدّة «البيات» هذه تنتفي حاجة الكائن الحيّ إلى الغذاء وتتضاءل عملية الاحتراق والبناء ثلاثين مرّة؛ ويتوقف مؤقتاً جهاز التنظيم الحراري ويبقى الحيوان غير متأثر لدى انخفاض درجة حرارة المحيط،

(١) دائرة المعارف الأميركية ج ١٧ ص ٤٦٣.

(٢) جريدة اطلاعات.

حيث تتساوى حرارة جسمه مع حرارة المحيط التي قد تتجاوز الصفر بدرجات، وتصبح عملية التنفس بطيئة جداً وغير منتظمة، وينخفض معدل النبض في القلب؛ ففي السنجاب مثلاً تصبح « ١٠ - ١٧ » مرّة بينما هي ٣٠٠ مرّة، كما يتوقّف النشاط العصبي وتتلاشى أمواجه الكهربائية في المخ تحت درجة ٥٢ - ٦٦ درجة فهرنهايت.

كما يمكن لبعض الحيوانات أن تعيش في المياه الباردة جداً وأن تزاوّل نشاطها الطبيعي، كما هو الحال في الأسماك التي تعيش في السواحل النرويجية. ويمكن أيضاً حفظ حياة الكثير من الخلايا في حالة انجماد والاستفادة منها في اللقاح الصناعي، إضافة إلى تجميد بعض الكائنات الحيّة وحفظ حياتها لوقت الحاجة والقيام بهذا العمل عدّة مرّات دون أن يضرّ ذلك بالكائن الحيّ. إنّ ظاهرة البيات الشتوي لدى بعض الحيوانات ظاهرة تستدعي الدراسة والتأمّل العميق ويمكن من خلالها اكتشاف أسرار العمر الطويل.

كما أن دراسة الأشجار المعمّرة، واستمرار حياتها آلاف السنين، وكذا حياة الفايروسات سوف يكون لها آثارها الايجابية في امكانية إطالة عمر الإنسان والتغلّب على الشيخوخة. وعلى أمل أن يحلّ ذلك اليوم أقدم لكم خالص تحياتي د. أبو تراب النفيسي

عميد كليّة الطب في جامعة اصفهان.

قال نبيه بعد استراحة وجيزة:

لقد عثرت خلال هذه المدّة على موضوع شائق مترجم عن الفرنسية، وهذا

نصّه:

مقالة جوستين غلاس

يحدّد علم الأحياء عمر الكائنات الحيّة ما بين عدّة ساعات إلى مئات السنين، فهناك نوع من الحشرات لا يعيش أكثر من يوم واحد فقط، وهناك نوع يعيش عاماً كاملاً، على أنّ هناك استثناءات في نفس النوع تتجاوز القاعدة فيكون العمر ثلاثة أضعاف العمر الطبيعي.

وتوجد في المانيا مثلاً شجيرة ورد أحمر عمّرت مئات السنين أكثر من غيرها من نفس النوع، وفي المكسيك شجرة سرو عمرها ٢٠٠٠ عام، كما لوحظ ان عمر بعض الحيتان يتجاوز ١٧٠٠ سنة.

وفي لندن بلغ عمر «توماس بار» الذي ولد في القرن السادس عشر ٢٠٧ سنوات، ويعيش اليوم رجل اسمه «سيد علي» في قرية من قرى الشمال الإيراني وعمره ١٩٥ سنة وعمر ابنه ١٢٠ سنة ويبلغ عمر «لوييوف پوجاك» الروسي ١٣٠ سنة، فيما يبلغ عمر «ميكوخبولوف» ١٤١ سنة، ويرجع علماء الأحياء أسباب ذلك إلى عوامل داخلية.

وعلى أساس نظرية علم الأحياء في تحديد العمر الطبيعي فإن عمر الكائن الحيّ يتراوح ما بين سبع مرّات إلى أربعة عشرة مرّة بقدر مدّة نضجه.

وبما أنّ مدّة النمو في الإنسان تبلغ ٢٥ سنة فإن عمره الطبيعي وطبقاً لهذه النظرية يبلغ ٢٨٠ سنة.

ويمكن عن طريق نظام غذائي مناسب كسر هذه القاعدة والاستمرار في الحياة مدداً أطول؛ وما يعزز هذا الرأي ما نلاحظه في حياة النحل، فبينما لا تعيش

العاملات أكثر من أربعة إلى خمسة شهور تعمّر الملكة ثماني سنوات لأنها تتغذى على مادة الجلوتين الملكية.

على انّ الموضوع لدى الإنسان ليس بهذه البساطة؛ لأن الإنسان لا يمكنه أن يعيش في مكان خاصّ وفي حرارة منظمة بشكل دقيق كما لا يمكنه الاقتيات على نوع محدّد من الغذاء وفي ظلّ رعاية كاملة كما هو الحال لدى ملكة النحل.

الإنسان يواجه أخطاراً عديدة وهي كما يحدّدها العلماء التسمم الذاتي، وقلة الفيتامينات، وتصلّب الشرايين، وفي اعتقاد «جينز» الخبير الانكليزي فإن اضطراباً أو حدوث خلل في معدل نسبة الحديد والنحاس والمغنيسيوم والبوتاسيوم في جسم الإنسان سوف يسبب كارثة تؤدي إلى الموت في بعض الأحيان.

وفي كلّ هذا لم يذكر العلماء الشيخوخة كسبب من أسباب الموت.

ويعتقد الطبيب السويدي رئيس الجمعية العلمية الاميركية لطول العمر انّ الشيخوخة أنّما تحصل بسبب التصاق جزيئات من البروتين مع خلايا الجسم تشلّ من نشاطها شيئاً فشيئاً إلى ان تسبب الموت، والدكتور المذكور بصدد البحث عن مادة تحول دون هذا الالتصاق ويمكنها إعادة نشاط الجسم وتشغيله من جديد وبالتالي القضاء على مرحلة الشيخوخة.

وقد تمكّن العلماء من إطالة عمر بعض الحيوانات من قبيل الخنزير الهندي وذلك بإضافة فيتامين «B6» و «أسيد نوكلينك» و «أسيد بانتونكسيك» إلى غذائها فزاد عمرها بنسبة ٤٦/٤ بالمائة.

ويفكّر العالم الروسي «فيلاتوف» بالإستفادة من الأنسجة المتحلّلة في الجسم «كسماد» زراعي في إعادة تخصيب الجسم لما لها من قدرة مذهشة في ذلك.

واضافة إلى كلّ هذا توجد بين أيدينا قواعد ووصايا يمكنها أحداث زيادة في العمر، منها في النظام الغذائي المتّبع وطرق الاسترخاء، وأُصول للتنفس وغير ذلك^(١).

تحقيقات علمية حول العمر

كما اطلّعت على موضوع آخر نشر في إحدى المجلات الغربية ترجمت مقتطفات منه:

« يقول علماء مختصون في هذا المضمار: ان بإمكان الجسم أو أي عضو منه الاستمرار في الحياة مدّة غير محدودة إذا لم يتعرّض إلى طارئ خارجي، وقد تصل المدّة آلاف السنين، وهذا الرأي لا يستند على الحدس أو الخيال بل هو نتيجة تجارب علمية عديدة.

فقد تمكّن أحد الجراحين الاحتفاظ بعضو حيواني مقطوع مدّة تفوق عمر الحيوان الميّت نفسه. واذ ما استمر توفير الغذاء الكافي لهذا العضو فإنه سيستمر في الحياة مدّة طويلة.

كما أجرى الجراح الدكتور «الكسيس كاريل» في مؤسسة «روكفلر» العلمية بنيويورك التجربة الآنفه الذكر على جزء مقطوع لدجاجة، وقد استمرت الحياة فيه مدّة ثمان سنوات، وأُعيدت التجربة على أعضاء إنسانية كالعضلات والقلب والجلد والكلية، حيث لوحظ استمرار الحياة فيها مادامت التغذية مستمرة.

(١) عن مجلة كونستلايسن الفرنسية ١٩٦٣.

ويقول «ريموند» و «بريل» الاستاذان في جامعة «جونز هبكنز»: ان الأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان لها القابلية على الدوام والخلود، وقد ثبت ذلك بالتجارب التي ما تزال مستمرة.

ويبدو أن «جاك لوب» في مؤسسة «روكفلر» هو أول من انتبه إلى ذلك خلال تجاربه حول بيوض الضفادع حيث وجد أن بعضها يموت سريعاً فيما يبقى البعض الآخر مدداً أطول، ممّا دفعه إلى اجراء تجاربه حول أعضاء من الضفدعة حيث تمكن من الاحتفاظ بها حيّة مدّة طويلة.

وأثبت الدكتور «فرن لويس» بمعونة زوجته إمكانية الاحتفاظ بأجزاء جنينية لبعض الطيور حيّة في ماء مالح وإضافة موادّ معينة لنموها.

وقد استنتج الدكتور «كاريل» من خلال تجارب مستفيضة انّ الأعضاء التي أُجريت عليها التجارب لا تتعرّض للشيخوخة وأنّها تعمّر أكثر من الحيوان نفسه، وقد واجه هذا العالم مشاكل عديدة لدى بدء تجاربه سنة ١٩١٢ م ولكنه استطاع بمعيّة فريقه التغلب عليها والتوصل إلى نتائج مذهلة:

- انّ الخلايا تبقى مستمرة في الحياة ما لم تدخلها الجراثيم أو ينقطع عنها الغذاء.

- انّ الأجزاء الحيّة لا تحتفظ بحياتها فحسب، بل تنمو وتتكاثر كبقية الأجزاء في جسم الكائن الحي.

- يمكن التحكم في النمو والتكاثر عن طريق نسبة الغذاء.

- انّ الأعضاء لا تتأثر بمرور الزمان ولا تضعف ولا تشيخ، وهي تنمو

باستمرار.

ومن هنا يتّضح أنّ ظاهرة الشيخوخة ليست سبباً بل نتيجة لأسباب أُخرى.
وأن موت الإنسان لا يتحدّد بمرور سبعين أو ثمانين أو حتى مئة من السنين
على حياته.

انّ جسم الكائن الحيّ معقد في تكوينه وتنوّع أعضائه وان تعرّض عضو ما
للضعف بسبب مرض ما، يؤثر على سائر الأعضاء الأخرى. وهذا ما يؤثّر على
استمرار الحياة. فهناك من يموت في سنّ الطفولة وهناك من يعمر أكثر من قرن.
ومتى ما تمكّن العلم من حماية الجسم من هجمات الجراثيم وايقاف التسمم
وايصال الغذاء الكافي للأعضاء فإنّ باستطاعة الإنسان أن يعيش مدّة طويلة جداً
كما هو الحال في بعض الأشجار المعمّرة، وبالطبع ليس من المتيسّر للعلم في الوقت
الحاضر أن يحقّق ذلك، ولكنه قد يمكنه أن يضاعف من متوسط حياة الإنسان
وجعله يعيش مدّة طويلة نسبياً.

وقد ذكر عالم انكليزي في بحثٍ له: انّ العلماء قد تمكّنوا من مضاعفة عمر
حشرة الفاكهة تسعمئة مرّة بقدر عمرها الطبيعي وذلك بحمايتها من الجراثيم
والسموم وتوفير ظروف مناسبة.

المهندس: لقد عثرت على بحوث ممتعة حول السرّ في طول العمر وبواعث
الشيخوخة والموت.. ولكن الوقت لا يسمح كما يبدو لذا أوّجل استعراضها إلى
اللقاء القادم.

الحوار العاشر

بعد اسبوع انعقد اللقاء في منزل السيّد فهمي وبدأ الحوار.
المهندس: أفضل قراءة هذه النصوص فقد نجد فيها ما يفيد في حلّ المشكلة:
يقول البروفيسور «ميتالينكوف» الخبير في حالات الوفاة أنّ جسم الإنسان يتألف من ثلاثين (تريليون) من الخلايا المختلفة والتي لا يمكن أن تموت كلّها في لحظة واحدة، ولا يتحقق الموت إلا بعد حدوث تغيّرات كيميائية في المخ غير قابلة للإصلاح.

وفي مدينة مونتريال بكندا كان الدكتور «هانس سيلبي» يجري في مختبره بحوثاً حول ظاهرة الموت، وعرض لمراسلي الصحف نسيجاً من الخلايا الحيوانية وصرّح بأنّ النسيج هذا ما يزال حيّاً وفي حالة نشاط حيوي وأنّه لن يموت أبداً. وبعبارة أخرى أنّه أزلي. وأضاف الدكتور قائلاً: إذا تمكّنا من تحويل النسيج الإنساني بهذا الشكل فإنّ من الممكن أن يعيش الإنسان ألف عام.
ويعتقد البروفيسور سيلبي ان الموت مبدأياً هو نوع من أنواع المرض المتدرج،

ولا يمكن أن تكون الشيخوخة السبب الذي يؤدي إلى الموت، ولو كانت الشيخوخة هي السبب لتوجب أن نرى تفسّخ جميع خلايا الجسم ومن ثم توقّف جميع الأعضاء عن العمل.

وأضاف: إنّ علم الطب سيشهد تطوراً في المستقبل، وسيتمكن من إعادة بناء الخلايا المتفسّخة عن طريق زرع خلايا جديدة، وهكذا سوف يتضاعف عمر الإنسان حسب رغبته^(١).

ويرى «متشكوف» أنّه ينبغي تحديد فلسفة الشيخوخة الناجمة عن النمو الطبيعي، والشيخوخة نتيجة التأثيرات الأخرى من قبيل «السموم، الأمراض والعوامل الأخرى» وتنهض نظريته على أساس أن الشيخوخة مرض كسائر الأمراض الأخرى، وإن الإنسان ينطوي على قابلية العيش لمدد طويلة وأنّه ينبغي البحث لاكتشاف السبل التي من شأنها معالجة الشيخوخة كمرض فسيولوجي^(٢).

نظرية أخرى

ويقرّر البروفيسور «سيليه» وزملاؤه بعد سلسلة من التجارب الطويلة أنّ التغيّرات الحاصلة في وضع الكالسيوم هي وراء أعراض الشيخوخة.

وحول سؤال عن وجود مادّة تحول دون حدوث الشيخوخة أجاب البروفيسور: لقد توصلنا إلى اكتشاف مادّة «آيرون دكستران» وهي ذات أثر بالغ في منع ترسبات الكالسيوم في الأنسجة، ويعقب قائلاً: أنّه لا يمكن بطبيعة الحال

(١) عندما يشيخ الإنسان «باللغة الروسية» لميتشكوف.

(٢) العالم عدد ٧ السنة الثالثة.

إعادة شيخ في التسعين إلى ما كان عليه في سنّ الستين، ولكن من الممكن حماية شيخ في الستين من الابتلاء بخسائر شيوخ التسعين.

ويقول البروفيسور «ايتنجر» ان الأجيال القادمة سوف تصطدم بحقيقة الإنسان الخالد كما هو الحال في غزو الإنسان للفضاء وان تطوّر العلوم سيكفل حياة الإنسان لألف عام.

مقتطفات من كتاب روسي

كان الإنسان وما يزال يحلم بحياة طويلة؛ وأمنية العمر الطويل من أمانى البشر منذ فجر الإنسانية وهاجسها الكبير، وقد ظلّ الموت هو النهاية الأكيدة لكلّ كائن حيّ.

ان جسم الإنسان يتألّف من عشرات التريلونات من الخلايا، وأنّها تصاب بالشيخوخة شيئاً فشيئاً وتؤمّن حاجتها الغذائية بصعوبة كما يحصل اختلال في تكاثرها، ثم تموت لتتحول تدريجياً إلى أنسجة متصلّبة، وتدعى ظاهرة التصلّب هذه بـ (Soclerose)، فمثلاً يُقال: «سكلروز القلب» أو «سكلروز الشرايين» وغير ذلك.

ويرى إيليا متشنكوف الطبيب والفسولوجي الروسي الكبير انّ هذه الظاهرة تنجم بسبب سموم «تركسين» الذي تنتجه الجراثيم المستوطنة في الأحشاء؛ وهي وراء تسمّم الأنسجة الحيّة تدريجياً.

ويعتقد بافلوف: انّ الجهاز العصبي وخاصة الضغوط الخارجية للمخ هي وراء ظهور الشيخوخة، وانّ التغيرات الروحية والتقلّبات النفسية كالحزن، والكآبة

والياس والخوف هي وراء نحطيم الخلايا العصبية للجسم وإضعافها، ومن هنا ينشأ التفسخ العصبي الذي يجزّ خلفه أمراض الشيخوخة ومن ثم الموت.
وفي النهاية فإن خلود الإنسان أمرٌ مستحيل ولكن إطالة عمره أمرٌ ممكن.

علم الشيخوخة

منذ ثلاثة قرون تقريباً نشأ علم جديد تفرّع عن علم الأحياء هو علم الشيخوخة (Cetotologie)، ويبحث هذا العلم في ظاهرة الشيخوخة وبواعثها وسبل التغلب عليها، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم آخر هو الـ «ثيولوجي» أو معرفة الموت، ويعتقد العلماء أن الموت ينشأ عن خلل في النشاط الحيوي، حيث يحدث الموت فسيولوجياً.

وينصبّ الجهد الآن لرفع عمر الإنسان إلى الحدّ الطبيعي وهو في نظر العلماء أكثر ممّا هو عليه اليوم.

إذ يرى بافلوف ذلك في مئة عام، ويراه متشكوف ما بين ١٥٠ - ١٦٠، في حين يعتقد الألماني (غوفلاند) بأنّه يرتفع إلى ٢٠٠ عام، فيما يراه الانجليزي «روجر بيكون» أنّه ألف عام، على أنّ أحد من هؤلاء لم يثبت نظريته بأدلة مقنعة.

نظرية بوفون

يعتقد العالم الطبيعي الفرنسي «بوفون» أنّ عمر الكائن الحيّ يساوي خمسة أضعاف سنّ الرشد والبلوغ لديه.

فمثلاً تبلغ فترة البلوغ (٨) سنوات ومتوسط عمرها يبلغ (٤٠) سنة، وتبلغ

مدّة النمو لدى الحصان سنتين، فيعمّر ما بين ١٥ - ٣٠ سنة.
 ومن هنا يرى بوفون أنّ متوسط عمر الإنسان ينبغي أن يكون (١٠٠) سنة لأن
 فترة نموه وبلوغه تصل إلى ٢٠ سنة.
 وفي قاعدة بوفون هذه توجد استثناءات عديدة؛ لهذا قبعت في زاوية النسيان.
 وكمثال على ذلك تبلغ فترة النمو لدى الخراف (٥) أعوام، في حين أنها تعيش
 بين ١٠ - ١٥ سنة، بينما نجد البغاء تبلغ سن الرشد في عامين ولكنها تعمّر أكثر
 من مائة عام؛ وتستغرق فترة البلوغ لدى النعام ٣ أعوام وتعيش ما بين ٣٠ - ٤٠
 سنة.

ولقد ظلّ العلماء عاجزين عن تحديد أمد معيّن لعمر الإنسان ولكن الاعتقاد
 يسود في قابلية الإنسان على العيش إلى « ٢٠٠ » سنة.

غداً يعيش الإنسان أكثر

قليلون هم الذين عاشوا أكثر من ١٥٠ سنة، ولهذا بقي لهم ذكر في التاريخ،
 فقد توفي فلاح مجري سنة ١٧٢٤ عن عمر بلغ ١٨٥ عاماً وكان يعمل بنشاط حتى
 آخر يوم في حياته وتوفي «جان رافل» عن عمر ١٦٠ سنة وكان عمر زوجته
 ١٦٤ سنة وقد عاشا معاً مدّة «١٣٠» عاماً.

وبلغ عمر «خوده» وهو الباني «١٧٠» سنة وعندما توفي كان له أكثر من
 مائتي من الأولاد والأحفاد، ونشرت الصحف قبل سنوات خبر رجل من أميركا
 الجنوبية توفي عن عمر ٢٠٧ سنوات، وان عدد الذين عاشوا قرناً ثانياً في الاتحاد
 السوفيتي (السابق) ثلاثون ألفاً.

ويبذل العلماء الروس في الوقت الحاضر جهوداً كبيرة في معرفة بواعث الشيخوخة وسرّ العمر الطويل .

متوسط عمر الإنسان

كان متوسط عمر الإنسان في عهد اليونان (٢٩) سنة وفي عهد الرومان أكثر من هذا بقليل ، بينما بلغ في أوروبا قديماً ٢١ سنة ، وشهد زيادة بلغت ٢٦ سنة في القرن الثامن عشر ، ثم قفز إلى « ٣٤ » سنة في القرن التاسع عشر ثم ارتفع فجأة ليصبح ٤٥ - ٥٠ سنة مع بداية القرن العشرين .

وهذه الإحصائية تشمل قارة أوروبا فقط ؛ ويعدّ انحسار نسبة الوفيات بين الأطفال الأساس في ارتفاع متوسط العمر ؛ مع التأكيد على البون الشاسع بين البلدان المتقدمة والنامية ، فبينما يبلغ متوسط العمر في الاتحاد السوفيتي (السابق) ٧١ سنة نجده في الهند دون الثلاثين عاماً .

والجدول أدناه يبيّن الاختلاف الأساس بين متوسط عمر الإنسان ٦٠ - ٨٠

سنة - وسائر الحيوانات الأخرى . لاحظوا :

البط ٣٠٠ سنة	الحوت العملاق ١٥٠ سنة
السلحفاة ١٧ سنة	الضفدع ١٦ سنة
الوزغ ٣٦ سنة	البيغاء ٩٠ سنة
الغراب ٧٠ سنة	جالاغان (نوع من الطيور) ١١٨ سنة
النعام ٣٥ - ٤٠ سنة	الشاهين ١٦٢ سنة
العقاب ١٠٤ سنة	البقرة ٢٥ - ٣٠ سنة
الحصان ٢٠ - ٣٠ سنة	الماعز ١٨ - ٢٧ سنة
الخروف ١٢ - ١٤ سنة	القط ١٠ - ١٢ سنة
الكلب ١٦ - ٢٢ سنة .	

وبالرغم من اعتبار الإنسان من أرقى الحيوانات، ولكن عمره أدنى بكثير من بعضها.

نظرية متشنكوف

لو تأملنا في نظرية العالم الروسي لاتضح لنا سبب البون الشاسع بين متوسط عمر الإنسان، ومتوسط العمر لدى الحيوانات، ويعلّل الشيخوخة والموت المبكر إلى تسمّم الأنسجة الناتج عن بكتريا الأمعاء، التي تعدّ أخصب مكان في الجسم لانتاج السموم.

ويشهد هذا الجزء من الجسم تولّد (١٣٠) تريليون من الجراثيم. وبطبيعة الحال فإنّ أغلبها لا يلحق اضراراً بالجسم بينما ينشأ عن بعضها السموم التي يعود إليها تصلّب الأنسجة ثم ظهور الشيخوخة.

وتشير الجداول العلمية إلى ان الأسماك والزواحف والطيور تعمّر أكثر من الثدييات، والسبب في ذلك يعود إلى انعدام وجود الأمعاء المولّدة للبكتريا، ولهذا نجد عمر النعامة وهي تمتلك أمعاءً مولدة كبيرة قصيراً نسبياً فهي لا تعيش أكثر من ٣٠ - ٤٠ سنة.

وتعيش الحيوانات المجترة أقلّ الأعمار بين سائر الحيوانات وذلك للتوسّع والنمو في أمعائها والتي تولّد البكتريا بنسب عالية.

ويعيش الخفاش الذي يتغذى على الحشرات عمراً أطول من سائر آكلات الحشرات بسبب صغر أمعائه.

ومن هنا يظهر انّ للأمعاء تأثيراً أساسياً في تحديد عمر الإنسان ولكن ليس

بالحجم الذي تصوّره النظرية .

لقد عاش البعض حياة طويلة بعد استئصال هذا الجزء من الجسم الذي يعدّ غير أساسي في الجسم، على الرغم من أنّ البعض من الناس عاشوا أكثر مع وجوده .

نظرية غير معروفة في سبب الموت

وفي الختام أودّ أن أقول: أنّه لا يوجد أدنى شكّ في أنّ الموت ما هو إلّا انفصال الروح عن الجسد، ولكن ما يثير التأمل والاهتمام هو:

- هل إنّ الجسم هو الذي يوقّر أسباب الموت؟ أم الروح هي وراء تفسّخ الجسم عندما تزع الرحيل؟

إنّ غالبية العلماء يؤيّدون المقولة الأولى؛ ويقولون بأنّ انتهاء حرارة الجسم الذاتية هو السبب في ضعف الأجهزة وعجزها عن القيام بوظائفها، ومن ثمّ تصبح الروح عاجزة عن البقاء في الجسم فتضطر للرحيل .

لوّحت روحي وداعاً، صحتُ: لا هتفتُ: ما حيلتي والسقف خرّ^(١)

وفي مقابل هذا الطريق يطرح الفيلسوف الإسلامي الكبير «ملاً صدرا» النظرية الثانية في كتابه «الأسفار الأربعة» فيشير إلى أنّ إدارة الجسد ورعايته موكولة إلى

(١) الاصل الفارسي:

جان قصد رحيل كرد گفتم كه مرو

گفتا چکنم خانه فرو می آید

الروح وهي التي تتحكّم فيه كيف تشاء، وأنها تتعلّق بالجسد بأواصر قويّة ما دامت محتاجة إليه، ولكن عندما يشتدّ استقلالها وتتضاءل حاجتها إليه يضعف تعلّقها وينجم عن إهمالها له التحوّل والشيخوخة والهرم، وعندما تتخلّى عنه نهائياً تحدث لحظة الموت.

وعلى أساس النظرية الثانية يمكن تفسير طول عمر الإمام بأنّ روحه العظيمة تحسّ بضرورة وجودها واستمرارها من أجل اداء أعظم مهمّة يمكن للكائن البشري القيام بها في الأرض؛ ومن هنا فإنّ هذه الروح المقدّسة تحفظ الجسم طراوته وفتوته.

وأرى من اللازم هنا التأكيد أنني لستُ بصدد الدفاع عن هذه النظرية ولكنني أشرت إليها لمجرّد الأمانة في البحث العلمي، وعلينا ألاّ نتسرّع في قبولها أو رفضها، خاصّة وأنا نجهل تماماً طبيعة الروح وأثرها في الجسم ونوع العلاقة بينهما، وهي مسألة في غاية التعقيد وما يزال الإنسان يقف مشدوهاً وجاهلاً إزاء الروح، وما يزال العلماء في أوّل الطريق.

يقول الدكتور «الكسيس كاريل» في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»: لا يتوفر لدينا إلاّ النزر القليل من المعلومات عن طبيعة الإنسان، ولو ان غاليلو ونيوتن ولافوازيه وأمثالهم بذلوا جهودهاً في دراسة جسد وروح الإنسان لتغيّر شكل العالم عمّا هو عليه اليوم.

نبيه: يمكن ان نستنتج من كلّ ذلك أنّه:

- لا يوجد حدّ أعلى لعمر الإنسان ولم يقل أحد العلماء انّ هناك سنّاً محدّدة

للإنسان يكون فيها الموت حتمياً له.

بل لقد أجمع علماء من الشرق والغرب على أنّ الإنسان يمكنه في المستقبل التغلّب على الشيخوخة ودفع شبح الموت عنه طويلاً، ومن هنا نرى ان الشيخوخة نتيجة لا سبب وأنّه من الممكن علاجها كسائر الأمراض الأخرى.

- هناك شواهد على إمكانية العمر الطويل في العديد من الكائنات الحيّة من نباتات وحيوانات وبشر في بعض الأحيان، وعندما نلاحظ البعض يعيش (١٥٠) أو (١٨٠) أو (٢٥٠) عاماً فهذا يعني أنّ الإنسان يمكنه أن يعمر طويلاً. صحيح إنّ الإنسان عادة ما يموت قبل بلوغ المئة، ولكن هذا لا يعني دليلاً على حتمية الموت في هذه السنّ.

- إنّ الشيخوخة هي ظاهرة مرضية وهي ليست مستحيلة العلاج ولقد تمكّن العلم من إنجاز أعمال كانت فيما مضى مستحيلة وهو ما يزال يشقّ طريقه قدماً في فتوحات جديدة، فمن الممكن في المستقبل اكتشاف أسباب الشيخوخة ومن ثمّ علاجها؛ وهناك بعض العلماء يقومون بإجراء العديد من التجارب والبحوث من أجل العثور على أكسير الشباب؛ ولا يمكن الإدّعاء بأنّ جهودهم سوف تذهب سدى، فمن المحتمل جدّاً نجاحهم في هذا المضمار وبالتالي سيكون بمقدور الإنسان الحياة لمُدّة طويلة.

وإذا افترضنا وجود شخص ما في كامل حيويته البدنية وكانت أعضاء جسمه كالقلب والكلى والكبد والجهاز العصبي والمعدة وغيرها سليمة تعمل بانتظام، وكان هذا الشخص ملماً بما ينبغي تناوله من غذاء ويتبع في ذلك نظاماً صحياً عالياً؛ وأنّه إلى جانب ذلك يعرف طرق الوقاية من الأمراض ويعرف كيف يجهّز بدنه بالفيتامينات، ويتمتع بروحية عالية تهبه الشعور بالطمأنينة بعيداً عن القلق والكآبة

وكلّ ما يعتور الانسان من أمراض نفسية، فإن بإمكان هكذا شخص أن يعمر طويلاً وأن يعيش أضعافاً مضاعفة مما تعارف عليه الناس من العمر الطبيعي.

وبناءً على هذا فإنّ مسألة العمر الطويل في شخصية الإمام المهدي لن تكون مستعصية الحل أبداً، فالعلم يؤمن من ناحية مبدئية بإمكانية ذلك.

إضافة إلى التأكيد على جانب هامّ وهو أنّ الله قد ادّخر هذا الإنسان لإصلاح العالم ومن ثمّ وهبه ما يساعده على استمرار حياته دون ضعف أو انتكاس.

الدكتور: ولكن ما تذكره يا سيّد نبيه يثبت ذلك مبدئياً ولكن هل من دليل لإثبات وجود الإمام حقيقة؟

نبيه: لقد بحثنا في لقاءات سابقة ضرورة وجود الإمام عقلاً وهو ما تضافرت عليه الروايات والأخبار عن النبيّ وآله حول وجود اثني عشر إماماً، وإنّ الإمام المهدي هو ابن الإمام الحسن العسكري، وقد توارى عن الأنظار لأسباب قاهرة.. وكانت المشكلة التي تعترض طريق الإيمان بالإمام هي العمر الطويل وقد بحثنا إمكانية ذلك علمياً.

المعمرّون في التاريخ

المهندس: لماذا كان عمر الإمام استثناءً جعله فريداً بين الناس؟

نبيه: إنّ التاريخ يزخر بنماذج عديدة، وهناك من عمّر قروناً متمادية، إذ يرى بعض المؤرخين ان عمر نوح بلغ ٢٥٠٠ عاماً، وتشير التوراة إلى أنّه عمّر ٩٥٠ سنة، بينما يؤكّد القرآن صراحة أنّ مدّة دعوته في قومه بلغت ٩٥٠ سنة، قال تعالى: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً فأخذهم

الطوفان وهم ظالمون»^(١).

فإذا كان هناك تردّد في قبول آراء المؤرخين، فإنّ القرآن كتاب الله ولا يتطرّق إليه الشك وهو يحدّد صراحة مدّة الدعوة بـ ٩٥٠ سنة، غير مدّة ما قبل النبوءة والمدّة التي أعقبت حادثة الطوفان.

المهندس: يُقال إنّ هذه الآية من المتشابهات؟

نبيه: أين المتشابه فيها، وأين الابهام والغموض في مدلولها، أنها لا تحتمل تفسيراً ثانياً أبداً، وإذا كان هناك من يقول بذلك فإنّه لن تبقى في القرآن آية محكمة؛ وهم في الواقع ينكرون أصل القرآن ولكن بطريقة ملتوية.

لقد أورد المسعودي في كتابه عدداً من المعمرين عبر التاريخ وهم آدم: ٩٣٠ سنة، شيث: ٩١٢ سنة، أنوش ٩٦٠ سنة، قينان: ٩٢٠ سنة، مهلائل ٧٠٠ سنة، لوط: ٧٣٣ سنة، إدريس: ٣٠٠ سنة، متوشالغ: ٩٦٠ سنة، لمك: ٧٩٠ سنة، نوح: ٩٥٠ سنة، إبراهيم: ١٩٥ سنة، كيومرث: ١٠٠٠ سنة، جمشيد: ٦٠٠ سنة أو ٩٠٠ سنة، عمر بن عامر: ٨٠٠ سنة، عاد: ١٢٠٠ سنة^(٢).

على أننا لا ننفي الخطأ والمبالغة من كتب التاريخ أو التحريف في التوراة مثلاً، ولكن شهادة القرآن تؤكّد هذه الظاهرة الإنسانية وهي الإشارة إلى المدّة التي لبث فيها نوح يدعو قومه؛ ومن يريد التحقيق في كتب التاريخ فيمكنه الرجوع إلى «المعمرون والوصايا» لأبي حاتم السجستاني، وإلى «الآثار الباقية» لأبي ریحان البيروني، وغيرها من الكتب التاريخية.

(١) العنكبوت الآية ١٤.

(٢) تاريخ مروج الذهب ج ١، ٢.

وطن الإمام

فهمي: أين يقطن الإمام في زمن الغيبة؟

نبيه: ليس هناك مكان محدّد، وربما لا يوجد له وطن معيّن، أنّه يعيش بين الناس متوارياً، ولعلّه ينتخب أماكن بعيدة للسكنى، وهناك روايات تُشير إلى مشاركته في موسم الحجّ وأنّه يعرف الناس وهم لا يعرفونه^(١).

فهمي: يُقال أنّ الشيعة يعتقدون أنّ الإمام المهدي في سامراء وقد دخل السرداب وغاب هناك، فكيف يغيب عن الرؤية في هذا المكان، ثم من أين له الماء والغذاء، أليس في هذا ما يشبه الأساطير كالعنقاء والغول؟

نبيه: إنّنا نرفض هذه الأكاذيب، وإنّها مجرد اتهامات باطلة، وليس لدى الشيعة حتى رواية واحدة تقول بأنّ الإمام يسكن في السرداب، وكلّ الروايات تؤيد حياته العادية بين الناس.

عن سدير الصيرفي قال: سمعت ابا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: ان في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف. فقلت افكأنك تخبرنا بغيبة أو حيرة؟ فقال: ان اخوة يوسف كانوا عقلاء ألباء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلموه وخاطبوه وتاجروه وراّدوه وكانوا أخوته وهو أخوهم، لم يعرفوه حتى عرّفهم نفسه، فعرفوه حينئذ، فما ينكر هذه الامّة المتحيرة ان يكون الله عز وجل يريد في وقت أن يستر حجّته عنهم. فما تنكر هذه الامّة ان يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف ان يكون

صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الامر، يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتى يأذن الله له^(١).

بلدان يقطنها أولاد الإمام!

جلال : سمعت انّ للإمام أولاداً عديدين يقطنون بلداناً واسعة مليئة بالخيرات وانّ أسماء عواصمها: «الظاهرة»، «الزائقة»، «الصافية»، «ظلوم» و «عناطيس» وأسماء أولاده: الظاهر والقاسم وابراهيم وعبدالرحمن، وهاشم وهم الذين يحكمون تلك البلدان وانّما تشبه الجنان، وهي بلدان يسودها العدل والخير حتى انّ الذئب والحمل يعيشان فيها معاً، ولا تتعرّض الوحوش فيها بالأذى لأحدٍ، وانّ سكّانها هم من الشيعة الصالحين الذين تربّوا على أيدي الإمام حيث لا مكان للغش والفساد والظلم والانحراف، وانّ الإمام يقوم بزيارتها بين فترة وأخرى وهي أشبه ما تكون بالمدن الفاضلة!

نبيه : انّ هذه الحكايات هي أقرب ما تكون للأساطير ومصدرها الوحيد حكاية قديمة مثبتة في «حديقة الشيعة» و «الأنوار النعمانية» و «جنّة المأوى» .
ولأجل تقييم الموضوع بشكل عام فلا مناص من ذكر سند هذه القصة الذي يعتبر حسّاساً في اثباتها أو بطلانها.

وردت الحكاية كالاتي ، فهي عن علي بن فتح الله الكاشاني عن محمّد بن علي ابن الحسين العلوي في كتابه عن السعيد بن أحمد عن حمزة بن المسيب في شعبان

سنة ٥٤٤ هـ، عثمان بن عبد الباقي في جمادى ٥٤٣ عن محمد بن يحيى الأنباري في رمضان ٥٤٣ هـ في مجلس الوزير عون الدين بن يحيى بن هبيرة:

كُنَّا عند الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة في رمضان بالسنة المقدم ذكرها، ونحن على طبقة وعنده جماعة... فكان في مجلسه في تلك الليلة شخص لا أعرفه؛ ولم أكن رأيت من قبل ورأيت الوزير يكثر إكرامه ويقرب مجلسه.. والحكاية كلها منسوبة إلى ذلك الرجل المجهول..

وبعد ذلك يطلب الوزير من الحاضرين التكمم على هذه الحكاية! مادام هو على قيد الحياة.

وواضح من خلال هذا السند ضعف الرواية، فهي تتحدث عن بلاد خيالية، وهي لا تعدو أن تكون اسطورة من الأساطير لأن القصة يرويها مجهول. هذا أولاً، وثانياً: إنّ الكشوفات الجغرافية لم تبق مكاناً مجهولاً في الأرض فكيف تخفى هذه الأماكن المثالية.

ومن المؤسف أننا نجد من يدافع عن هذه الأساطير بنفس الحماس الذي يدافع فيه عن أركان الإسلام.

وهؤلاء يزعمون وبسذاجة عجيبة أنه من المحتمل وجودها ولكن الله أخفاها عن الأنظار! ويضيفون ربّما لم يعد لها وجود في الوقت الحاضر ولكنها كانت ذات يوم عامرة بأهلها.

وهذا الرأي هو الآخر لا يقلّ سذاجة عن الأوّل فكيف يمكن وجود مثل هذه المدن العجيبة ثم لا يطلع عليها أحد سوى شخص مجهول، وهل أبقت الحفريات شيئاً وهي تكتشف حضارات ما قبل آلاف السنين فكيف انطمست آثارها حتى لم

يبق منها شيء يشير إلى وجودها!؟

وقد فنّد العلامة المحقق الكبير الشيخ آغا بزرك الطهراني هذه الحكاية . يقول :
هذه الحكاية المكتوبة في آخر كتاب التعازي المشتملة على السند المذكور... وقد
وقع في سندها اغلاط في تواريخ رواياته لأن المقتفي لأمر الله استوزر الوزير بن
هبيرة في « ٥٤٤ » فثبت في وزارته إلى موته ، وبعده استوزره المستنجد إلى ان
توفي الوزير في (٥٦٠) ، بينما وقعت الحكاية بعد مائتي سنة من تأليف كتاب
التعازي .

إضافة إلى تضارب في المتن .. فالوزير كان قد أخذ من الحاضرين عهداً بعدم
روايتها وهو قد توفي سنة ٥٦٠ في حين ورد في سند القصة انّ عثمان بن
عبدالباقي يقول : رواها أحمد بن محمد بن يحيى الأنباري بتاريخ ٥٤٣ هـ^(١) .
وخلاصة القول أنّها لا تعدو أن تكون اسطورة ولا طائل من ورائها وانّ قضية
سكنى الامام لا تحتاج إلى كلّ هذه الحكايات الملققة من قبيل الجزيرة الخضراء أو
مدن « حايلقا » أو « جايرصا » !!

فهمني : أودّ لو أعرف قصّة الجزيرة الخضراء فيا ترى ما حكايتها؟
نبيه : لقد امتدّ بنا الحوار ولم يعد هناك من وقت لهذا أفضل ارجاء الموضوع
إلى اللقاء القادم .

الحوار الحادي عشر

الجزيرة الخضراء

انتظم لقاء الأصدقاء في منزل السيّد نبيه وبدأ الحوار بعد تبادل عبارات المحبة والودّ:

قال جلال: أُعيد سؤالي مرّة أخرى وهو عن الجزيرة الخضراء.

فهمني: أنا أيضاً سمعت بأنّ الإمام يعيش مع أبنائه في الجزيرة الخضراء فما هو رأيكم يا ترى؟

نبيه: في الحقيقة إنّ حكاية الجزيرة الخضراء أشبه ما تكون بالأساطير التي لا تمتّ إلى عالم الحقائق بصلّة، وقد وردت كاملة في «البحار» للمجلسي الذي عثر على رسالة مخطوطة تحمل عنوان الجزيرة الخضراء ومؤلفها الفضل بن يحيى الطيبي وأنّه سمع هذه الحكاية من الشيخ شمس الدين والشيخ جلال الدين في مرقد الإمام الحسين وذلك في الخامس عشر من شعبان عام ٦٩٩ هـ وهي منقولة عن صاحب القصة الذي يدعى بالشيخ زين الدين علي بن علي بن فاضل المازندراني؛

وتبدأ الحكاية كالآتي:

أنه كان في دمشق يطلب العلم على الشيخ عبدالرحيم الحنفي والشيخ زين الدين علي الأندلسي، وكان هذا طيب القلب واتفق ان عزم على السفر. ولشدة تعلقه يرافقه إلى مصر حيث يقيم في القاهرة تسعة أشهر، وتصله رسالة في أحد الأيام من والده في الأندلس يذكر فيها مرضه وشوقه إلى لقاء ولده، فعزم الاستاذ على السفر إلى الأندلس، وهنا يرافقه المازندراني أيضاً ولكنه يتخلف عنه في إحدى القرى وحيداً ولكن أهل القرية أكرموه غاية الإكرام. ولنكمل القصة كما يرويها التاريخ على لسانه:

وعينوا لي مكاناً في زوايا المسجد وما زالوا يتعاهدوني بالعزة والإكرام مدة إقامتي عندهم، وصار إمام مسجدهم لا يفارقني ليلاً ولا نهاراً فسألته عن ميرة أهل بلده من أين تأتي إليهم فأني لا أرى لهم أرضاً مزروعة فقال تأتيهم إليهم ميرتهم من الجزيرة الخضراء من البحر الأبيض من جزاير أولاد الإمام صاحب الأمر (عجل الله فرجه) فقلت لهم تأتيكم ميرتكم في السنة فقال مرتين وقد أتت مرة وبقيت الأخرى. فقلت: كم بقي حتى تأتيكم؟ قال: أربعة أشهر. فتأثرت لطول المدة ومكثت عندهم مقدار أربعين يوماً أدعو الله ليلاً ونهاراً بتعجيل مجيئها وأنا عندهم في غاية الإعزاز والإكرام. ففي آخر يوم من الأربعين ضاق صدري لطول المدة فخرجت إلى شاطئ البحر أنظر إلى جهة المغرب التي ذكر أهل البلد إن ميرتهم تأتي إليهم من تلك الجهة فرأيت شبحاً من بعيد يتحرك فسألت عن ذلك الشبح أهل

البلد وقلت لهم هل يكون في البحر طير أبيض فقالوا لي لا فهل رأيت شيئاً قلت نعم فاستبشروا وقالوا هذه المراكب التي تأتي إلينا في كل سنة من بلاد أولاد الإمام فما كان إلا قليل حتى قدمت تلك المراكب وعلى قولهم ان مجيئها كان في غير الميعاد فقدم مركب كبير وتبعه آخر وآخر حتى كملت سبعاً فصعد من المركب الكبير شيخ مربع القامة بهي المنظر حسن الزي ودخل المسجد فتوضأ الوضوء الكامل على الوجه المنقول عن أئمة الهدى وصلى الظهرين فلما فرغ من صلاته التفت نحوي مسلماً عليّ فرددتُ فقال ما اسمك وأظن ان اسمك علي قلت صدقت فحدثني باللين محادثة من يعرفني فقال ما اسم أبيك ويوشك أن يكون فاضلاً قلت نعم ولم أكن أشك في أنه قد كان في صحبتنا من دمشق الشام إلى مصر فقلت أيها الشيخ ما أعرفك بي وبأبي هل كنت معنا حين سافرنا من دمشق فقال لا قلت ولا من مصر إلى الأندلس قال لا ومولاي صاحب العصر. قلت له: ومن أين تعرفني باسمي واسم أبي؟ قال: اعلم أنه قد تقدّم إليّ وصفك وأصلك ومعرفة اسمك وشخصك وهيئتك واسم أبيك (ره) وأنا أصحبك معي إلى الجزيرة الخضراء فسررت بذلك حيث قد ذكرت ولي عندهم رسم وكان من عادته أنه لا يقيم عندهم إلا ثلاثة أيام فأقام اسبوعاً وأوصل الميرة إلى أصحابها المقررة فلما أخذ منهم خطوطهم بوصول المقرر لهم عزم على السفر وحملني معه وسرنا في البحر فلما كان في السادس عشر من مسيرنا في البحر رأيت ماءً أبيض فجعلت أطيل

النظر إليه فقال بي الشيخ واسمه محمد مالي أراك تطيل النظر إلى هذا الماء؟ فقلت له: أني أراه على غير لون ماء البحر. فقال لي: هذا هو البحر الأبيض وتلك الجزيرة الخضراء وهذا الماء مستدير حولها مثل السور من أيّ الجهات أتيته وجدته وبحكمة الله تعالى ان مراكب أعدائنا إذا دخلته غرقت وإن كانت محكمة ببركة مولانا وامامنا صاحب العصر عليه السلام، فاستعملته وشربت منه فإذا هو كماء الفرات. ثم أنا لما قطعنا ذلك الماء الأبيض وصلنا إلى الجزيرة الخضراء، ثم سعدنا من المركب الكبير إلى الجزيرة ودخلنا البلد فرأيته محصناً بقلع وأبراج وأسوار سبعة واقعة على شاطئ البحر ذات أنهار وأشجار مشتملة على أنواع الفواكه والأثمار المنوعة وفيها أسواق كثيرة وحمامات عديدة وأكثر عماراتها برخام شفاف وأهلها في أحسن الزيّ والبهاء فاستطار قلبي سروراً لما رأيته ثم مضى بي رفيقي محمد بعدما استرحنا في منزله إلى الجامع المعظم فرأيت فيه جماعة كثيرة وفي وسطهم شخص جالس عليه من المهابة والسكينة والوقار ما لا أقدر أن أصفه والناس يخاطبونه بالسيد شمس الدين محمد العالم ويقرأون عليه في القرآن والفقہ والعربية بأقسامها وأصول الدين والفقہ الذي يقرأونه عن صاحب الأمر عليه السلام مسألة مسألة وقضية قضية وحكماً حكماً فلما مثلت بين يديه رحّب بي وأجلسني في القرب منه وأحفى السؤال عن تعبي في الطريق وعرفني أنه تقدّم إليه كلّ أحوالي وإنّ الشيخ محمد رفيقي إنّما جاء بي

معه بأمر من السيّد شمس الدين العالم أطال الله بقاءه ثم أمرني بتخلية موضع منفرد في زاوية من زوايا المسجد وقال لي هذا يكون لك إذا أردت الخلوة والراحة فنهضت ومضيت إلى ذلك الموضع فاسترحت فيه إلى وقت العصر وإذا أنا بالموكل بي قد أتى إليّ وقال لي لا تبرح من مكانك حتى يأتيك السيّد وأصحابه لأجل العشاء معك فقلت سمعاً وطاعة فما كان إلّا قليلاً وإذا بالسيّد سلّمه الله قد أقبل ومعه أصحابه فجلسوا ومدت المائدة فأكلنا ونهضنا إلى المسجد مع السيّد لأجل صلاة المغرب والعشاء فلما فرغنا من الصلاتين ذهب السيّد إلى منزله ورجعت إلى مكاني وأقمت على هذه الحال مدّة ثمانية عشر يوماً ونحن في صحبته أطال الله بقاءه فأوّل جمعة صليتها معهم رأيت السيّد سلّمه الله صلّى الجمعة ركعتين فريضة واجبة. فلما انقضت الصلاة قلت: يا سيدي قد رأيتمكم صليتم الجمعة ركعتين فريضة واجبة؟ قال: نعم لأنّ شروطها المعلومة قد حضرت فوجببت فقلت في نفسي ربّما كان الإمام حاضراً. ثم في وقت آخر سألت منه في الخلوة: هل كان الإمام عليه السلام حاضراً؟ فقال: لا ولكني أنا النائب الخاصّ بأمر صدر عنه عليه السلام.

فقلت: يا سيدي وهل رأيت الإمام عليه السلام؟ قال: لا ولكن حدّثني أبي رحمه الله أنّه سمع حديثه ولم يرَ شخصه وإنّ جدّي رحمه الله سمع حديثه ورأى شخصه.

فقلت له: ولمَ ذاك يا سيدي يختصّ بذلك رجل دون آخر؟

فقال لي: يا أخي إنَّ الله سبحانه وتعالى يؤتي الفضل مَنْ يشاء من عباده وذلك لحكمة بالغة وعظمة قاهرة كما ان الله اختصَّ من عباده الأنبياء والمرسلين والأوصياء والمنتجبين وجعلهم أعلاماً لخلقه وحججاً على بريته ووسيلة بينهم وبينه ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولم يخل أرضه بغير حجّة على عباده للظفر بهم ولا بد لكلّ حجّة من سفير يبلغ عنه.

ثم انَّ السيد سلّمه الله أخذ بيدي إلى خارج مدينتهم وجعل يسير معي نحو البساتين فرأيت فيها أنهاراً جارية وبساتين كثيرة مشتملة على أنواع الفواكه عظيمة الحسن والحلاوة من العنب الرمان والكمثرى وغيرها ما لم أرها في العراقين ولا في الشامات كلّها. فبينما نحن نسير من بستان إلى آخر مر بنا رجل بهيِّ الصورة مشتمل ببردتين من صوف أبيض فلما قرب منا سلّم علينا وانصرف عتاً، فأعجبني هيئته فقلت للسيد سلّمه الله: من هذا الرجل؟

قال لي: أتنظر إلى هذا الجبل الشاهق؟

قلت: نعم.

قال: ان وسطه لمكاناً حسناً وفيه عين جارية تحت شجرة ذات أغصان كثيرة وعندها قبة مبنية بالآجر، وأنَّ هذا الرجل مع رفيق له خادمان لتلك القبة، وانا أمضي إلى هناك في كلّ صباح جمعة وأزور الإمام عليه السلام منها وأصلي ركعتين وأجد هناك ورقة مكتوب فيها ما احتاج إليه من المحاكمة بين المؤمنين، فمهما تضمنت الورقة أعمل

به ، فينبغي لك أن تذهب إلى هناك وتزور الإمام عليه السلام من القبّة . فذهبت إلى الجبل فرأيت القبّة على ما وصف لي سلّمه الله ، فوجدت هناك خادمين فرحب بي الذي مرّ علينا ، وأنكرني الآخر ، فقال له : لا تتكره فإني رأيته في صحبة السيّد شمس الدين العالم . فتوجّه إليّ ورحب بي ، وحادثاني وأتياني بخبز وعنب ، فأكلت وشربت من ماء تلك العين التي عند تلك القبّة وتوضّأت وصلّيت ركعتين وسألت الخادمين عن رؤية الإمام عليه السلام ، فقالوا لي : الرؤية غير ممكنة وليس معنا إذن في إخبار أحد . فطلبت منهم الدعاء فدعوا لي وانصرفت عنهما ونزلت من ذلك الجبل إلى ان وصلت إلى المدينة . فلما وصلت إليها ذهبت إلى دار السيّد شمس الدين العالم فقبل لي أنّه خرج في حاجة له فذهبت إلى دار الشيخ محمّد الذي جئت معه في المركب فاجتمعت به وحكيت له عن مسيري إلى الجبل واجتماعي بالخادمين وإنكار الخادم عليّ فقال ليس لأحد رخصة في الصعود إلى ذلك المكان سوى السيّد شمس الدين وأمثاله فلهذا وقع الإنكار منه لك .

فسألته عن أحوال السيّد شمس الدين أدام الله أفضاله . فقال : أنّه من أولاد الإمام (عليه السلام) وأنّ بينه وبين الإمام خمسة آباء وأنّه النائب الخاصّ عن أمر صدر منه عليه السلام .

قال الشيخ الصالح زين الدين عليّ بن فاضل المازندراني المجاور بالغري على مشرفه السلام :

واستأذنت السيّد شمس الدين العالم أطلال الله بقاءه في نقل بعض المسائل التي يحتاج إليها عنه وقراءة القرآن المجيد ومقابلة المواضع المشكّلة من العلوم الدينية وغيرها فأجاب إلى ذلك وقال إذا كان ولا بد من ذلك فابدأ أولاً بقراءة القرآن العظيم فكان كلما قرأت شيئاً فيه خلاف بين القراء أقول له قرأ حمزة كذا وقرأ الكسائي كذا وقرأ عاصم كذا وأبو عمرو بن كثير كذا فقال السيّد سلّمه الله: نحن لا نعرف هؤلاء وإنما القرآن نزل على سبعة أحرف قبل الهجرة من مكة إلى المدينة وبعدها لما حجّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم حجة الوداع نزل عليه الروح الأمين جبرئيل عليه السلام فقال يا محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم اتل عليّ القرآن حتى أعرفك أوائل السور وأواخرها وشأن نزولها فاجتمع إليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وولده الحسن والحسين وأبي بن كعب وعبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وجابر بن عبدالله الأنصاري وأبو سعيد الخدري وحسان بن ثابت وجماعة من الصحابة رضي الله عن المنتجبين منهم، فقرأ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم) القرآن من أوّله إلى آخره فكان كلما مر بموضع فيه اختلاف بيّنه له جبرئيل وأمير المؤمنين عليه السلام يكتب ذاك في زوج من أدم فالجميع قراءة أمير المؤمنين (عليه السلام) ووصي رسول ربّ العالمين.

ويسترسل المازندراني في حكايته في استئذان السيّد بنقل تسعين مسألة. كما تساءل عن حديث يفيد بكذب كلّ من ادّعى المشاهدة في الغيبة الكبرى

فأيد السيد صحّة الحديث وقال أنّه يرتبط بزمان خاصّ وهو عهد بني العباس، أمّا الآن فقد ارتفع المحذور، وإن هذه المدن بعيدة عن متناول الأعداء فلا مانع من اللقاء.

ثم يتساءل المازندراني عن حديث آخر حول إباحة الإمام الخمس لشيئته حيث أيد السيد ذلك، والذي أخبره أيضاً برؤية المازندراني للإمام مرّتين ولكن من دون أن يعرف أنّه الإمام.

وفي ختام الحكاية يوصي السيد المازندراني بعدم المكوث في المغرب والإسراع في العودة إلى العراق، وقد امتثل الأخير لذلك^(١).

وإلى هنا تنتهي قصّة الجزيرة الخضراء وهي كما قلت لها طابع الأساطير، لما يلي:

- لا تتوفّر الحكاية على سند ذي أهميّة حتى إنّ المجلسي الذي أوردها في كتابه اعترف بعدم وجودها في كتب معتبرة ولهذا فقد أفرد لها باباً خاصاً حتى لا تختلط بالأبواب الأخرى.

- أنّها تنطوي على تناقضات، فالسيد شمس الدين الذي يدّعي نيابة الإمام وأنّه لم ير الإمام بشخصه حتى الآن وإنّ جدّه التقاه وحدّثه نراه يقول للراوي فيما بعد: أنا أذهب صباح كلّ جمعة للقاء الإمام في الجبل ثم يعرض ذلك على الراوي نفسه.

- أنّها تضمنت مسألة إباحة الخمس وهي مرفوضة من الفقهاء جميعاً.

- إنّ مسرح القصّة أو مكان الجزيرة يعدّ خيالياً خاصّة في هذا الزمن، وليس

هناك من بحر أبيض اللهم إلا إذا كان يقصد البحر الأبيض في شمال الاتحاد السوفيتي السابق وهو من غير الممكن أبداً نظراً لبعده عن المغرب وإذا كان يقصد البحر المتوسط وهو ما يطلق عليه أيضاً بالبحر الأبيض فتسميته تشمل البحر كله. ثم إن وجود الإمام في نقطة نائية جداً لا ينسجم مع شخصية الإمام وأهدافه الكبرى في إنقاذ المستضعفين والمقهورين في العالم؛ وهذه خلاصة الموضوع يا سادة وهي كما ترون لا تستحق كل هذا الوقت من الحديث.

جلال: لقد خطر في بالي سؤال وهو هل للإمام أبناء حقاً؟

نبيه: ليس هناك ما يؤيد أو ينفي وجود أولاد وذرية للإمام. ومن المحتمل ان يكون له زوجة وأبناء، فهو يفعل ما يراه صالحاً، على ان بعض الأدعية تُشير إلى هذا الموضوع ولكنها كما هو معروف لا تنهض كدليل بأي حال من الأحوال، فمثلاً الدعاء الذي يقول:

- «اللهم اعطه في نفسه وولده وذريته وأمتة وجميع رعيته ما تقرّ به عينه»^(١).

- «اللهم اعطه في نفسه وذريته وشيعته ورعيته وخاصته وعامته وعدوه

وجميع أهل الدنيا ما تقرّ به عينه»^(٢).

ومع كل هذا فإن احتمال وجود ذرية للإمام ولو فيما بعد وارد. وقد روي عن

الإمام الصادق عليه السلام قوله: كأتي أرى نزول القائم في مسجد السهلة بأهله وعياله^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٣٣٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٨٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٧.

زمن الظهور

الدكتور: هل هناك زمن محدّد لظهور المهدي؟

نبيه: ليس هناك توقيت لظهور الإمام أبداً، بل إنّ الأئمة الأطهار كذبوا كلّ من يقول بذلك.

فعن الفضيل قال: سألت أبا جعفر عليه السلام هل لهذا الأمر وقت؟ فقال: كذب الوقيتون، كذب الوقيتون، كذب الوقيتون^(١).

وعن عبدالرحمن بن كثير قال:

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ دخل عليه مهزم الاسدي فقال: أخبرني جعلت فداك متى هذا الأمر الذي تنتظرونه فقد طال؟ فقال: يا مهزم كذب الوقيتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون^(٢).

وعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مَنْ وَقَّتْ لَكَ مِنَ النَّاسِ شَيْئاً فَلَا تَهَابْ أَنْ تَكْذِبَهُ فَلَسْنَا نَوْقَّتْ لِأَحَدٍ^(٣).

ويستفاد من مجموع الأحاديث أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام من بعده لم يحدّدوا وقتاً للظهور، بالرغم من وجود أحاديث ضعيفة لا يؤبه لها، مثال ذلك: الحديث الذي روي عن أبي عبيد المخزومي وقال فيه: قال ابو جعفر (الباقر): يا أبا لييد انه يملك من ولد العباس اثنا عشر تقتل بعد الثامن منهم

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ج ٥٢ ص ١٠٣.

(٣) المصدر السابق ج ٥٢ ص ١٠٤، ١١٧.

اربعة، تصيب احدهم الذبحة ثم يسترسل في استعراض حروف القرآن الى أن يصل الى (ألر) حيث يقوم القائم!^(١).

علامات الظهور

المهندس: هناك على ما أظنّ علامات للظهور فما مدى صحتها؟

نبيه: وردت في مجمل الأحاديث علامات لظهور الإمام، وبالطبع فإنّ استعراض الأحاديث في ذلك يستغرق وقتاً طويلاً دون جدوى. على اني أؤكد على بعض النقاط:

- انّ مصدر بعضها هو أخبار الآحاد، وغالباً ما يكون مصدرها أناس مجهولون أو غير موثّقين، وبالتالي فلا يركن إليها.

- تنقسم أحاديث أهل البيت في هذا المضمار إلى طائفتين؛ الأولى تشير إلى علامات حتمية الوقوع قبل الظهور، وهي غير مشروطة، والطائفة الثانية تُشير إلى علامات مشروطة فإن تحققت الشروط وقعت وإلا فلا.

- إنّ الظهور لا يتحقّق ما لم تقع علاماته الحتمية فإذا وقع بعضها عدّ ذلك على قرب الفرج، لا على وقوعه مباشرة.

- انّ بعضها يأتي بشكل خوارق إعجازية تعزّز من مصداقية الإمام، وهي في ذلك تناظر معجزات الأنبياء.

- هناك بعض العلامات التي يعدّ وقوعها مستحيلاً من قبيل شروق الشمس من

ناحية المغرب وكسوف الشمس في منتصف شهر رمضان وخسوف القمر في آخره، ومثل هذه العلامات تعدّ تغييراً هائلاً في النظام الكوني، وهذه الأخبار بالطبع أخبار آحاد لا تفيد القطع، وربما تعدّ من تلفيقات الحقبة الأموية والعباسية، لعلم الحكومات آنذاك بأنّ طمس أحاديث المهدي يعدّ عملاً مستحيلاً فعمدت إلى التشويش على الحقائق في وضع علامات مستحيلة وبذلك يمكنهم تمزيق صفوف الملتفين حول العلويين.

قصة السفيناني

المهندس: مَنْ هو السفيناني الذي عدّ خروجه من علامات الظهور؟
 نبيه: تفيد الأحاديث بخروج رجل من نسل أبي سفينان قيل في وصفه أنّه ظاهر الصلاح، يلهج بذكر الله وهو في حقيقته من أمكر الناس وأخبثهم، يحتلّ الشام وحمص وفلسطين والأردن وقنسرين، ويكون زوال حكم بني العباس على يديه، يقتل من الشيعة جمعاً غفيراً، فإذا سمع بظهور الإمام بعث إليه جيشاً لقتاله فيخسف بجيشه بين مكّة والمدينة.

جلال: ولكن دولة بني العباس قد زالت منذ قرون؟!!

نبيه: لقد جاء في الروايات أنّها تزول حتى لا يبقى منها أثر ولكنها بعد ذلك تعود كما كانت.

فعن الإمام موسى الكاظم عليه السلام: ملك بني العباس مكر وخدع يذهب

حتى لم يبق منه شيء ويتجدد حتى يقال: ما مرّ به شيء^(١).

ويستفاد من ظاهر الحديث أنّ دولة بني العباس تقوم مرّة أخرى ويكون زوالها النهائي على يد السفياي، ومن المحتمل أن يكون خروج السفياي من المسائل الحتمية ولكن زوال دولة بني العباس على يديه ليس حتمياً.

فهومي: يُقال أنّ خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان كان يطمح إلى الخلافة وهو الذي وضع حديث السفياي بعد أن رأى الخلافة في البيت مرواني، وصفه صاحب الأغاني بالشاعر والعالم وهو الذي وضع حديث السفياي^(٢).

وذكر الطبري في تاريخه خروج عليّ بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية سنة ١٥٩ وادعائه بأنّه السفياي المنتظر^(٣)، ومن الممكن القول بأنّ حديث السفياي من الموضوعات.

نبيه: لقد تضافرت الأحاديث حول خروج السفياي ولا يمكن احتمال الوضع، ولعلّ شيوعه بين الناس هو الذي دفع بعض ذوي الطموح لاستغلاله.

قصة الدجال

جلال: لقد عدّوا خروج الدجال من علامات الظهور، وهو رجل كافر له عين واحدة تقع في جبهته، تسطع كأنّها نجمة، مكتوب على جبينه كافر، يقرأها حتى الأميين، ومعه جبل من طعام ونهر من ماء يمتطي حماراً أبيض، خطوته ميل،

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥٠.

(٢) الأغاني ج ١٦ ص ١٧١.

(٣) تاريخ الطبري ج ٧ ص ٢٥.

وتمطر السماء بأمره، ينادي بصوتٍ يسمعه الناس جميعاً: أنا ربكم الأعلى، الذي خلقكم ويرزقكم فاهلموا إليّ.

ويقال أنّه كان منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وانّ اسمه عبدالله أو صائد بن صيدا، وذهب الرسول إليه في جمع من أصحابه وكان يدّعي الربوبية فأراد عمر قتله فمنعه رسول الله وهو ما يزال حيّاً، سيخرج في آخر الزمان من قرية يهودية في أصفهان^(١).

وقد روي عن تميم الداري الذي كان نصرانياً ثم أسلم في العام التاسع من الهجرة أنّه ادّعى رؤية الدجال في إحدى جزر المغرب وكان مصفداً بالسلاسل^(٢).
نبيه: تعني كلمة الدجال في الانكليزية «Antichrist» عدو المسيح، وهي في العربية لا تشير إلى شخص بعينه وإنّما تطلق على كلّ من كان كذاباً خبيثاً ضالاً.
وكثيراً ما وردت الإشارة إليه في الأناجيل وإنّه لا ينكر المسيحية بل ينكر الأب والإبن^(٣).

وإنّه سيظهر دجالون كثيرون، وان كلّ روح تنكر المسيح فهي ليست من الله، بل هي روح الدجال^(٤).

وانّ هذا العالم يزخر بالذين ينكرون ظهور عيسى في قالب الجسد وهم

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٩٣-١٩٧، صحيح مسلم ج ١٨ ص ٤٦-٨٧، سنن أبي داود ج ٢ ص ٢١٢.

(٢) صحيح مسلم ج ١٨ ص ٧٩-سنن أبي داود ج ٣ ص ٢١٤.

(٣) رسالة يوحنا باب ٢ آية ٢٢.

(٤) المصدر السابق الآية ١٨.

الدجالون^(١).

فالدجال يعني الكذاب والمضلّ، وإنّ النصارى كانوا يترقبون ظهوره؛ وإنّ المسيح عليه السلام كان قد أخبر المؤمنين بخروجه، ومن المحتمل أن يكون الدجال الذي أخبر به عيسى هو المسيح الكذاب الذي ظهر بعد خمسة قرون وادّعى النبوة فصلب^(٢).

وهناك روايات عديدة تشير إلى أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم كان يحذّر من فتنة الدجال، وإنّ الأنبياء قبله كانوا يحذّرون قومهم من فتنته.

فقد روي عن رسول الله قوله: ما بعث الله نبياً الا وقد أندر قومه الدجال^(٣).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون كلّهم يزعم أنّه رسول الله^(٤).

وعن الإمام عليّ عليه السلام أنّه حدّر من خروج دجالين من نسل فاطمة يخرجان، ومن دجال يخرج من دجلة البصرة وهو أوّل الدجالين^(٥).

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم ان سبعين دجالاً يسبقون خروج الدجال^(٦).

وخلاصة القول ان لقصة الدجال جذورها في الكتب المسيحية، كما انّ كتب

(١) المصدر السابق الباب ٤ الآية ٣.

(٢) الميزان ج ٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢، ص ١٩٧.

(٤) سنن ابي داود ج ٢.

(٥) الملاحم والفتن ص ١١٣.

(٦) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٣٣.

الحديث لدى أهل السنّة هي الأخرى تزخر بذكر الدجال.

وبشكل عام فإنّ من غير المستبعد صحّة هذه القصة، على أنّ أوصافه التي وردت في بعض الأحاديث لا تستند إلى مصادر معتبرة، وهناك حديثان مثبتان في بحار الأنوار وغيره وسند أولهما: عن محمد بن عثمان عن أبي يعلى الموصلي، عن عبد الأعلى بن حمّاد، عن أيوب، عن نافع بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسند ثانيهما: عن الطالقاني عن الجلودي عن الحسين بن معاد عن قيس بن حفص، عن يونس بن أرقم، عن أبي سيار الشيباني، عن الضحاك بن مزاحم، عن نزال بن سبرة عن عليّ عليه السلام.

وكلاهما غير موثقين، فقد ذكر المامقاني عن محمد بن عمر بن عثمان أنّه مجهول، وعن نافع أنّه ضال، وعن عمر غير معلوم الحال، وعن الضحاك بن مزاحم أنّه لم يعثر على ما يؤيد أنّه من الأخيار، وعن ابن سبرة أنّه مجهول.

ولو افترضنا صحّة خروج الدجال من حيث المبدأ، إلّا أنّها لا تخلو من كثير من الإضافات التي لا أساس لها والتي جعلت منها اسطورة من الأساطير.

ومن الممكن القول: أنّه سيظهر في آخر الزمان رجل دجال يفوق كلّ من سبقوه، ويكون ظهوره مؤشراً على قرب ظهور المهدي، وأنّه يخدع الناس فيتبعوه حتى ليظنوا بأنّ مقاليد السماء والأرض بيده، ويصل به الخبث والدجل ان يصوّر القبيح جميلاً والجميل قبيحاً، ويجعل من الجنّة جحيماً، ثم يتّضح كفره للجميع.

أمّا صائد بن صيدا فلا تتوفر أدلّة معتبرة على أنّه الدجال، وأنّه ما يزال حيّاً منذ عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، فالحديث ضعيف، وهناك أيضاً ما يدفعه في

حديث آخر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم من أنّ الدجال لا يدخل مكّة ولا المدينة، بينما نجد صائد بن صيدا يدخلها ويموت فيها ويشهد جماعة موته^(١).
ومن المحتمل ان يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم قد وصف صائداً بالدجال وهو ما يعني الكذاب فقط لا الدجال الذي اخبر بفتنته وهو من علامات ظهور المهدي.

ولعلّ سبب هذا الخلط يعود إلى انّ المسلمين سمعوا رسول الله يصف صائداً بأنّه دجال فاقترن ذلك بأحاديث سابقة حول ظهور الدجال في آخر الزمان. ومن هنا نشأت قصّة بقائه حيّاً حتى اليوم.

الحوار الثاني عشر

توافد الأصدقاء في الموعد المحدد وبدأ الحوار هذه المرّة بسؤال طرحه الدكتور: كيف يتصوّر قيام حكومة عالمية يرأسها شخص واحد في عالم يموج بالصراعات والاختلافات؟

نبيه: من المستبعد قيام حكومة عالمية في الظروف الحالية، ولكن وكما هو واضح فإن البشرية تمضي قدماً في طريق العلم والتطور والنضج، وبالطبع فإن العالم لم يكن فيما مضى مثلما هو عليه الآن وأنه في حالة تغيّر مستمرة، وإن سرعة التقدّم العلمي تزداد باستمرار، وسيرقى البشر إلى مستوى من التفكير يجعلهم يهتمون بالبعد الاجتماعي العام، وهذا الاتجاه يؤكد التفكير السائد في العصور القديمة.

إن حبّ الذات والأنا متجذّر في الإنسان منذ فجر الخليقة وهو الباعث الوحيد للعمل والنشاط والسعي؛ أنه يعمل من أجل تحقيق ذاته وإسعاد نفسه، فإذا اعترض طريقه شيء أزاحه غير مكترث بمصالح الآخرين، ولكن عندما يرى أن مصلحة تتوقّف على مصلحة الآخرين فإنه لن يتردّد في السعي لتأمين تلك المصلحة العامّة

والتضحية بجزء من مصالحه الخاصة .

ولعلّ الزواج أوّل خطوة قطعها الإنسان في هذا الطريق ، فهو تنازل عن انانية طاغية لصالح الآخر ، فالرجل والمرأة كلاهما يشعان بالحاجة لبعضهما البعض ، وهذا هو الباعث الذي دفعهما الى الاقتران ، على ان استمراره وديمومته يضطرهما إلى التخفيف من حدّة الانانية ومن ثم احترام حقوق ومصالح الطرف الآخر ، ومن هذا الاقتران ولدت الحياة الأسرية ، وهي في الأصل تحقيق لرغبة ذاتية من أجل السعادة والكمال ، وعندما وجد الإنسان سعادته متوقفة على إسعاد الآخرين فإنه لم يتردّد في السعي من أجل إشاعة البهجة في نفوس أسرته .

عاش الإنسان حياته الاجتماعية الصغيرة متنقلاً هنا وهناك ، وكانت تحدّيات الحياة قد أوجت إليه بالاستقرار ضمن تجمّعات أكبر لمواجهة أعباء الحياة ، فهناك الكوارث الطبيعية ، والغارات التي تتطلب الدفاع ، وهكذا ظهرت في العلاقات الاجتماعية أنماط عديدة على شكل قبائل وطوائف ، فكانت مصلحة القبيلة هي الهدف الأعلى لكلّ أفرادها ، ومن هنا تطلّب الأمر تضحية بالمصالح الشخصية من أجلها ، وهذا التطور في مستوى التفكير هو الذي قاد إلى إنشاء مجتمعات أكبر ومن ثم ظهور القرى والمدن حيث أصبحت للأفراد مصالح مشتركة محترمة من الجميع . واستمر التطور في هذا الاتجاه ومن ثم تعقّد العلاقات الاجتماعية وظهور الشعور العدواني الذي دفع بالقرى والمدن إلى الانتظام في تجمّعات أكبر اتخذت شكل الوطن الذي يحقّق لأبنائه مصالح وذوبانهم ضمن قاسم مشترك عريض .

وأصبح الإنسان مواطناً يحمل في أعماقه هموم الوطن الكبير متجاوزاً حدود اللغة والعرق ، وأنه يعد أبناء الوطن كما لو كانوا أفراد في أسرته الكبيرة التي ينتمي

اليها. وبالطبع فإن هذا الشكل من الحياة الاجتماعية وهذه الطريقة في التفكير لم يكن وليد حقبة من الزمن، بل أنه طريق استغرق آلاف السنين، غير أن البشرية لم ترتق في الوقت الحاضر إلى مستوى النضج المنشود، وما يزال المشوار طويلاً أمام الإنسانية حتى تصل إلى رشدها الكامل.

لقد تطوّرت وسائل الإتصال بين الشعوب وتشابكت مصالح الدول حتى غدا العالم قرية كبيرة، والإنسان الذي كان يقطع مسافة ما في شهور أمسى اليوم وهو يقطعها في دقائق.

لقد ولّى الزمن الذي تعيش فيه الدول والبلدان في عزلة عن العالم، وباتت الدول تتطلع إلى علاقات أوسع من أجل تأمين السعادة لها ولغيرها.

وانعكست هذه الإرادة في الإنسان لتتبلور في شكل أحلاف سياسية وعسكرية وأسواق اقتصادية مشتركة، حتى أن المعاهدات والأحلاف نفسها في توسّع مستمر لدرء المخاطر المشتركة وحلّ الأزمات العالمية وتوفير أسباب الرفاه والإستقرار والسلام للبشرية جمعاء.

ويعتقد بعض المفكرين أن التغيّرات الحالية ما هي إلا ارهاصات لتحوّل شامل وجذري، حيث ستدرك البشرية بعدها أن هذا القدر المحدود من المعاهدات والأحلاف الضيقة لن يجنّب البشر المخاطر المحدّقة بهم، ولا يعالج أزماته المتوترة هنا وهناك من دنيا الله، بل ان بعضها يؤدي إلى مضاعفات خطيرة ومشكلات كبرى. لقد أدرك الإنسان في الوقت الحاضر إنّ الانانية لن تكون طريقاً لتحقيق السعادة، وإنّ حبّ الذات الحقيقي يكمن في حبّ الإنسانية بأسرها، وإنّ البشرية كلّها ما هي إلا أسرة واحدة.

وستدرك المجتمعات أنّ الشرائع التي لا تسع لهموم الأرض كلّها والتي تبث روح الفرقة لن تكون قادرة على إصلاح العالم، وما تشكيل المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة والمجامع العالمية وحقوق الإنسان إلا مؤشرات عميقة على هذا التوجّه الإنساني وأنه مقدّمة لصحوة كبرى حيث يكون العقل البشري في ذروة رشده ونضجه وتكامله.

وبالرغم من تسلّط غير المخلصين على مقدّرات الشعوب وتمكّنهم من المواقع الحسّاسة فإنّ ذلك لا يبعث على اليأس من مستقبل الإنسانية المشرق. ويمكن القول أنّ الوضع العالمي العام وما يجري من حوادث في هذه البقعة أو تلك من العالم يقود إلى الاعتقاد بأن البشرية ستقف عند مفترق طريقين حيث الاختيار بين المادّية والدين، والتسليم إلى إرادة الله.

إنّ قوانين الأرض وشرائعها لم تمنح السلام والطمأنينة للبشر، بل زادتهم خبالاً وبالتالي فإنّ الإنسان سوف يتّجه غريزياً إلى السماء، سيطلب العون من خالقه، وإنّ غريزة العبودية لله متجدّرة في النفوس وإنّ جذوة الايمان بالله الخالق الرحيم لا تنطفئ أبداً، وإنّ الدين وحده وخاصّة الإسلام هو الذي يمنح الإنسان الأمل... الأمل بحياة طيبة؛ لأنّه يبني الحياة على أساس شريعة الله وفطرة الإنسان، وعندما تنشرح الصدور لدين الإسلام فإنّها ستجد نفسها في الطريق إلى السعادة.

إنّ دعوة الإسلام عالمية تخصّ البشر جميعاً، وإنّ المسلمين هم من ينهض بهذه المسؤولية الكبرى، فمنذ أربعة عشر قرناً يدعو القرآن أتباع الأديان الماضية إلى كلمة التوحيد. قال تعالى: «يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله»^(١).
 وقد ورد في الأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خروج
 رجل من أهل بيته يوقظ العقول، ويجمع الناس على عقيدة التوحيد، ويجتث من
 النفوس العداوة والبغضاء، ويكون عهده عهد السلام.
 وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: اذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد
 فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم^(٢).
 وقال الإمام عليّ عليه السلام: بنا يفتح الله، وبنا يختم الله، وبنا يمحو ما يشاء،
 وبنا يثبت، وبنا يدفع الله الزمان الكلب، وبنا يُنزل الغيث، ولو قد قام قائمنا لأنزلت
 السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحنة من قلوب العباد^(٣).
 وعن الباقر عليه السلام قال: ... ويجمع اليه أموال الدنيا من بطن الارص ومن
 ظهرها^(٤).

النصر للمستضعفين

جلال: العالم يزخر بالظلم والقهر والاستعباد، ومقاليد الحكم بأيدي الجبارين
 من الطغاة والمستكبرين، والشعوب مغلوبة على أمرها، خائفة، ليس لها حول ولا
 قوّة، فكيف يمكن للمهدي أن يثور في مثل هذه الظروف وينتصر؟!

(١) آل عمران الآية ٦٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٦.

(٣) المصدر السابق ص ٣١٦.

(٤) المصدر السابق ص ٣٥١.

نبيه: إن انتصار المهدي هو انتصار المستضعفين والمقهورين؛ إن المستضعفين وإن كانوا مقهورين فهم يمثلون الأكثرية الساحقة، والظالمين وإن بدوا أقوياء فهم فئة قليلة، ومن هنا فإنّ الأمل بانتصار المستضعفين كبير. إن انتصار المهدي أمر محتمل جداً، ومن المستحسن جداً أن أضيف هنا:

إنّ الآيات القرآنية، وكذا الأحاديث الشريفة تشير إلى يوم يهتّب فيه المستضعفون في كلّ العالم فتتهاوى وإلى الأبد الأنظمة الفاسدة التي تمثّل إرادة الطاغوت. قال سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

«ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين»^(١).

والآية الكريمة إشارة عميقة جداً إلى حكومة المستضعفين القادمة؛ ولكي أسلّط الضوء الكافي على هذا الموضوع أشير إلى ما يلي:

- ماذا يعني الاستضعاف، ومن هم المستضعفون؟ - من هم المستكبرون؟

- كيف يقهر المستكبرون المستضعفين؟ - وكيف سينتصر المستضعفون؟

- من يقود هذه الثورة العالمية؟

أشار القرآن الكريم إلى فريقين هما المستضعفين والمستكبرين وحدّد علامات وخصال كلّ منهما، فمثلاً كان فرعون مستكبراً «إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم أنه كان من المفسدين»^(٢).

(١) القصص الآية: (٥).

(٢) القصص الآية (٤).

ففرعون قد علا في الأرض وراح يقهر طائفة من الناس، وبيثَّ الفرقة بينهم.
 «إنَّ فرعون لعال في الأرض وأنه لمن المسرفين»^(١). وهو مسرف متكبر.
 «فاستخف قومه فأطاعوه أنهم كانوا قوماً فاسقين»^(٢).
 يغرّر بالناس ويحملهم على طاعته من دون الله.
 «وقارون وفرعون وهامان ولقد جاء موسى بالبينات فاستكبروا في
 الأرض»^(٣).

وأنهم يرفضون الانصياع للحقّ، بالتالي فهم يكفرون به.
 «قال الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون انّ
 صالحاً مرسلٌ من ربّه. قالوا انا بما أرسل به مؤمنون. قال الذين استكبروا وانا
 بالذي أنتم به كافرون»^(٤).

- المستكبرون لا يألون جهداً في نشر الكفر والفساد والانحراف
 «وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا انّ
 نكفر بالله ونجعل له أنداداً»^(٥).

وبالاستفادة من مجموع الآيات المذكورة يمكن الإشارة إلى بعض صفات
 المستكبرين:

(١) يونس الآية (٨٣).

(٢) الزخرف الآية (٥٤).

(٣) العنكبوت الآية (٣٩).

(٤) الأعراف الآية (٧٦).

(٥) سبأ الآية (٣٣).

- التكبر والعلو في الأرض. - إشاعة الاختلاف والفرقة.

- الإسراف والتبذير. - الاستخفاف بالشعوب. - الفساد.

- رفض الحق. - نشر الفساد والانحراف.

أنهم يسعون إلى الاستعلاء على الآخرين مدعين الريادة والسياسة والعقل ومعرفة المصلحة أفضل من الآخرين، طالبين الطاعة العمياء لهم.

ولكي يحكموا سيطرتهم وتسلطهم على الناس فإنهم يبثون روح الفرقة بين الناس على أساس اللون والدين، واللغة والقومية... الخ.

ولكي يعزوا نفوذهم فإنهم يعمدون إلى نشر الفساد وإلهاء الناس بالآثام والموبقات، وبالتالي استغلال الثروات لأطماعهم ومصالحهم، وبناء المؤسسات التي تتركس سيطرتهم وتمكنهم من البلاد.

فهم لا يرون إلا أنفسهم ولا يقيمون للشعوب وزناً ولا اعتباراً.

ومن خلال ذلك يتضح لنا معنى الاستضعاف والمستضعفين، وما هم إلا الشعوب المقهورة المغلوبة على أمرها، وهؤلاء الذين نسوا قوتهم وانخدعوا بأباطيل المستكبرين وانطلت عليهم حيلهم ومكرهم ورضوا بالحياة الذليلة وركنوا إلى الظالمين.

بينما الحقيقة هي ان الأرض بما فيها من مقدرات هي ملك للمستضعفين وان أسباب القوة والتقدم بأيديهم، وهم الذين يؤلفون الجيوش أيضاً، وهم الذين يديرون المؤسسات التعليمية ويشغلون المصانع الإنتاجية، ويعملون ليل نهار، وبدونهم تتوقف الحياة، فهم عصب القوة الحقيقي.

غير ان المستكبرين نفذوا إلى نفوسهم وصوّروا لهم الأباطيل حقائق واستغلّوا

جهلهم فتسلطوا عليهم.

ولقد أرسل الله أنبياءه ليوقظوا هؤلاء المقهورين المغلوبين على أمرهم. فكان الأنبياء رُسل الحرية لإنقاذ الناس من الظلم، ومعلمي البشرية لإضاءة القلوب وطرده ظلام الجهل من العقول والنفوس، وكانوا يجهرون بكلمة الحق قائلين للمستضعفين انهضوا فما الطواغيت إلا قوّة كاذبة وانّ قوّتهم تكمن في خوفكم وفي جهلكم وفي غفلتكم عن الله. آمنوا بالله وحده واكفروا بالطاغوت.

لقد نهض إبراهيم عليه السلام في وجه النمرود، وصرخ موسى عليه السلام في وجه فرعون، وقام عيسى عليه السلام في وجه الجبابرة، وثار محمد صلى الله عليه وآله وسلم في وجه طغاة مكّة من أمثال أبي جهل وأبي سفيان وأبي لهب. وكان جهاد الأنبياء جميعاً ضد الكفر والشرك والفساد وقهر الناس. «ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولاً إنّ اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت»^(١). «فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى»^(٢).

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربّنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً. الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً»^(٣).
وتؤشّر هذه الآيات نقاطاً عديدة منها:

(١) النحل الآية (٣٦).

(٢) البقرة الآية (٢٥٦).

(٣) النساء الآية (٧٦).

- انّ المستكبرين ما هم إلا قلة ضعيفة وانّ قوتهم مستمدة من مقدّرات المستضعفين واستغلالهم.

- المستضعفون أكثرية ساحقة وهم يملكون كلّ أسباب القدرة والقوّة الحقيقية، أنّهم ليسوا ضعفاء وانّ ضعفهم جاء من انخداعهم بالأباطيل التي يلقّنها المستكبرون.

- انّ أسوأ العوامل في شقاء المستضعفين هو احساسهم بالضعف وأنّهم لا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً، ولهذا انقادوا للمستكبرين خائعين متحمّلين صنوف العذاب والقهر والذلّ، وهذا الاحساس هو أساس المشكلة، لقد نسوا أنفسهم والقوّة التي ينطوون عليها وتصوروا خاطئين انّ الطواغيت بعبع لا يُغلب!

- ان الطريق الوحيد للخلاص هو عثور المستضعفين على هويتهم المفقودة، وشخصيتهم الضائعة، ثم اكتشافهم قدراتهم الكامنة، وعندما يجدون ذلك تحدث المعجزة فتتحطم القيود والسلاسل ويتهاوى الطواغيت؛ فالطواغيت لا يملكون ذاتياً أيّة قدرة يستندون إليها. أنّها قدرة المستضعفين المستغلّين الغافلين.

ولو انتبه المستضعفون إلى ذلك لما بقي الطواغيت في الحكم لحظة واحدة.

انّ قوّة المستضعفين قوّة عظيمة تنطوي على آلاف العقول المفكّرة والسواعد المفتولة والقلوب الطاهرة التي يمكنها أن تتغيّر وجه الدنيا؛ وها هو العالم شئنا أم أبينا يسير باتجاه اليوم الموعود يوم يثور المظلوم على الظالم.

«ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم

الوارثين»^(١).

وهو يوم وعد الله به الذين آمنوا أن يسود السلام والأمن « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً »^(١).

اننا نجد إضافة إلى ما ذكرناه من مؤشرات وآيات بينات أحاديث كثيرة تبشّر المقهورين بيوم الخلاص .

عن الباقر عليه السلام: اذا قام قائمنا وضع يده على رؤوس العباد فجمع به عقولهم وأكمل به أخلاقهم^(٢) .

وسيشهد العالم انتشار الإسلام دين المحبة والسلام على يد المهدي وأنصاره من المستضعفين، وعندها تتهاوى قصور الطواغيت والمستبدين من الذين قهروا الشعوب وأذلوها واستخفوا بكرامتها وانسانيتها؛ وسيكون عهده عهداً مشرقاً ومفعماً بالسلام والحرية والطمأنينة، في عالم تسوده الفضيلة والعدالة والأخلاق.

لماذا لا يظهر المهدي

جلال: الظلم والجور والكفر في كل مكان، والانحراف والفساد في كل بقعة، فلماذا لا يظهر المهدي وينقذ العالم؟

نبيه: ان انتصار ثورة ما أو تحقيق هدف منشود إنما يتوقف على توفر الظروف المناسبة، فمتى تهيأت الأجواء ومقومات النجاح تحقّق الهدف؛ وانّ أول مقدمات النجاح في حركة المهدي ونهضته هو وجود المناخ العام المؤيّد لثورة المهدي، انّ

(١) النور الآية (٥٥).

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٦.

حركة المهدي ليست هامشية أو سطحية ولا حتى مؤقتة، أنها حركة عميقة وشاملة ومتجذرة وانسانية تتجاوز فوارق اللغة واللون والعرق والقومية والدين، هدفها تحرير الإنسان وردّ اعتباره وكرامته المهدورة عبر العصور.

وهدفها اجتثاث الفساد والانحراف والظلم بكل أشكاله وألوانه وهداية البشرية نحو شريعة الله الخالدة التي تحقق للإنسان سعادته الضائعة.

وثورة شاملة عميقة كهذه لا يمكن أن تحدث من لا شيء بل ينبغي أن تسبقها ارهاصات تهيئ الأرضية المناسبة لنجاحها، وان يكون هناك تعاطف روحي تام من كل المستضعفين في العالم، ولعلّ أهم شرط من شروط النجاح هو العمل الصالح: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر انّ الأرض يرثها عبادي الصالحون»^(١).

والنضج الفكري لا يحدث فجأة. أنه عملية تبلور تتم ببطء وهدوء، فالإنسانية تتعلم من تجاربها وترتقي شيئاً فشيئاً سلّم الرشد والكمال، ومتى ما وجد الجيل الذي يتجاوز الحدود المصطنعة للون والقومية واللغة وأصبح تفكيره إنسانياً خالصاً يتعاطف مع المظلومين والمقهورين في كلّ مكان ويعتبر العالم أسرة واحدة لا فرق بين أسود وأبيض وأصفر وأحمر، ولا امتياز للأمريكي والأوربي على الأفريقي والآسيوي، عندها يكون الظرف مناسباً لظهور الإمام المنقذ.

ومع الأسف فإن الإنسان ما يزال مؤمناً بالعلم وحده، ويعتبره السبيل الوحيد لخلاصه، ما يزال يؤمن بأنّ بإمكان الكشوف العلمية والإختراعات أن توفر له السعادة المنشودة والرفاه.

أنه ما يزال يلهث وراء المادية نحو انتاج السلاح الأكثر فتكاً وتدميراً، وسوف يبقى يركض ويلهث حتى يصطدم بجدار الحقيقة، وعندها سيفيق إلى نفسه ليفكر تفكيراً سليماً، فالعلم مهما بلغ شأواً لا يمكن أن يحل مشكلة ما. أنه ينبه لها فقط. عن هشام بن سالم: عن ابي عبد الله (الصادق) انه قال: ما يكون هذا الامر حتى لا يبقى صنف من الناس الا و (قد) ولوا على الناس حتى لا يقول (قائل): ان ولينا لعدلنا ثم يقوم القائم بالحق والعدل^(١).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال:

دولتنا آخر الدول، ولنا يبقى أهل بيت لهم دولة الا ملكوا قبلنا حتى لا يقولوا اذا رأوا سيرتنا: اذا ما ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل: «والعاقبة للمتقين»^(٢).

ومن هنا يتضح ان البشرية ليست مستعدة حالياً لهذا حركة عالمية وليست لها القناعة الكافية بحكومة التوحيد الإلهية.

ان الإنسانية تتحرك في هذا الاتجاه، ولقد أودع الله في الذات البشرية غريزة السعي نحو الكمال، وسيصل الإنسان إلى هدفه، فهو ومنذ أن وطأت قدماه الأرض يسعى من أجل تحقيق حياة هائلة مطمئنة وما يزال يرنو نحو غدٍ أفضل ومستقبل مشرق، وما يزال يأمل في تحقيق ذلك اليوم، وعندما يفكر بطريقة سليمة ويكتشف ان قوانين الأرض قد أخفقت وأنها عاجزة عن تحقيق هدف الإنسانية عندها يتجه نحو السماء مؤمناً بشريعة الله.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٢.

علةُ أخرى

وهناك في الروايات ما يُشير إلى سبب آخر يفسّر مسألة تأخير الظهور. فعن الإمام الصادق عليه السلام قال: كان لله ودايع مؤمنون في أصلاب كافرين ومنافقين، فلم يكن علي يقتل الآباء حتى تخرج الودايح، فلما خرجت ظهر علي من ظهر فقتله، وكذا قاتلنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تخرج ودايع الله فاذا خرجت يظهر علي من يظهر فيقتله^(١).

وعندما يظهر الإمام المهدي فإنه سيعلم عن الإسلام عقيدة التوحيد الشاملة وسيؤمن به الكثير من الكافرين.

وهناك مسألة جديدة بالالتفات وهي انّ الكفر لا يدوم، فكثير من الكفار خلفوا مؤمنين، وفي تاريخ صدر الاسلام ما يوضح هذه المسألة حيث نجد المؤمنين المخلصين كانوا من نسل كفار ومشركين.

ولو قام رسول الله بتصفية المشركين جميعاً في فتح مكّة لما خرج من ذريتهم كلّ أولئك المسلمين.

انّ من لطف الله وحلمه أن ترك الإنسان وشأنه حتى يتوالد عبر الزمن ويظهر جيل مؤمن بالله، وعندها يكون الظرف مناسباً لظهور الإمام ونجاح ثورته.

وبهذا البحث انتهى الحوار وتفرق الأصدقاء على أمل اللقاء في منزل الدكتور.

(١) اثبات الهداة ج ٧ ص ١٠٥.

الحوار الثالث عشر

بدأ الحوار بسؤال طرحه جلال.

جلال: كيف يشخص الإمام زمن الظهور؟ هل هناك وحي من الله فيتحول

الإمام إلى نبي؟!

نبيه: تشير الأحاديث والروايات وكذا أدلة الإمامة إلى ان للإمام ارتباطاً بعالم

الغيب، وأنه يكتسب الحقائق وقت الضرورة، كما تشير بعض الروايات إلى أنه يسمع

صوت الملك دون رؤيته^(١).

ومن هنا فمن المحتمل أن يعلم الإمام وقت الظهور عن طريق الإلهام الإلهي.

عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام في قوله تعالى « فإذا

نقر في الناقور» قال: انّ منّا إماماً مظفراً مستتراً فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٢٧١.

قلبه نكتة فظهر فقام بأمر الله تبارك وتعالى^(١).

وعن أبي الجارود قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، اخبرني عن صاحب هذا الأمر؟ قال: يمسي من أخوف الناس ويصبح من آمن الناس، يوحى إليه هذا الأمر ليله ونهاره، قال: قلت: يوحى إليه يا أبا جعفر؟! قال أبا الجارود أنه ليس وحي نبوة ولكنه يوحى إليه كوحيه إلى مريم بنت عمران وإلى أم موسى وإلى النحل؛ يا أبا الجارود انّ قائم آل محمّد أكرم على الله من مريم بنت عمران وأم موسى والنحل^(٢).

ومن هنا فإن الإلهام بهذه الصورة لن يلغي الفرق بين النبوة والإمامة، والنبوي مشرع للأحكام حامل للشريعة بينما الإمام حافظ لها أمين عليها. ومن الممكن القول انّ رسول الله والأئمة من آله قد ذكروا في أحاديثهم علامات الظهور، ومن هنا يمكن للإمام انتظار تحقق تلك العلامات ويكتشف زمن الظهور.

عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: له علم؛ اذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم من نفسه، وأنطقه الله عز وجل، فناداه العلم: اخرج يا ولي الله، فاقتل اعداء الله^(٣).

ويعزز هذا الاحتمال روايات تُشير إلى صحيفة مختومة يتوارثها الأئمة عن

(١) اثبات الهداة ج ٦ ص ٣٦٤.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ١٧٢ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١١.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(١).

كما تفيد الأحاديث بوقوع حوادث تدبر أمر الإمام في ليلة واحدة.

فعن الحسن بن علي عن الإمام الجواد عليه السلام انه قال: ان القائم منا هو المهدي الذي يجب ان ينتظر في غيبته ويطاع في ظهوره، وهو الثالث من ولدي والذي بعث محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنبوة وخصنا بالامامة انه لو لم يبق من الدنيا الا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملا الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وان الله تبارك وتعالى ليصلح أمره في ليلة كما أصلح كليمة موسى اذ خرج يقتبس لأهله ناراً، فرجع وهو رسول نبي؛ ثم قال (عليه السلام): افضل اعمال شيعتنا انتظار الفرج^(٢).

وعن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يصلح أمره في ليلة واحدة^(٣).
وعن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: صاحب هذا الأمر تغيب ولادته عن هذا الخلق لثلاثين يوماً في عنقه بيعة إذا خرج ويصلح الله عز وجل أمره في ليلة^(٤).
وعن الإمام الحسين عليه السلام انه قال: في التاسع من ولدي سنة من يوسف وسنة من موسى بن عمران وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله تبارك وتعالى أمره في ليلة واحدة^(٥).

(١) اصول الكافي ج ١ ص ٢٧٩.

(٢) اثبات الهداة ج ٦ ص ٤٢٠.

(٣) الحاوي للفتاوي للسيوطي ط ٣ ج ٢ ص ١٢٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٦.

(٥) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٣.

الانتظار

جلال: ما هو واجب المسلمين في زمن الغيبة؟

نبيه: أشار العلماء إلى جملة من الأعمال التي ينبغي للمسلمين اداؤها مثل الدعاء للإمام، والتصدق عنه، ونيابته في الحج والاستغاثة به وقت الشدائد، وكل هذه الأعمال حسنة ولا تحتاج إلى بحث، ولكن هناك واجب آخر هام لم يبحث بشكل كاف وهو الإنتظار.

وقد جاء في الروايات ما يؤكد أهمية هذه الحالة لدى المسلم.

عن ابي عبدالله عليه السلام قال: من مات على هذا الامر منتظراً كان كمن كان في فسطاط القائم^(١).

وعن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: افضل اعمال امتي انتظار الفرج من الله عز وجل^(٢).

وعن الإمام علي عليه السلام قال: المنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله^(٣). كما عدّه الرضا أيضاً من أعمال الخير مشيراً إلى الآية الكريمة «فانتظروا إني معكم من المنتظرين»^(٤).

وهناك أحاديث أخرى في هذا المضمار؛ حيث نجد فيها تأكيداً واضحاً على

(١) كمال الدين ج ٢ ص ٣٥٧.

(٢) كمال الدين ج ٢ ص ٣٥٧.

(٣) كمال الدين ج ٢ ص ٣٥٨.

(٤) كمال الدين ج ٢ ص ٣٥٨.

فضيلة الإنتظار والترقب، فيا ترى ماذا يعني إنتظار الفرج ليكون ثوابه ثواب الشهيد المضمخ بالدماء؟!

هل ينحصر ذلك بالدعاء إلى الله بأن يعجل بظهور الإمام؟ ثم يمضي في حال سبيله دون أن يكون له موقف إرادة ضد ما يشاهده من فساد وإنحراف وظلم. انّ الذين لا يشعرون بأدنى مسؤوليّة تجاه مجتمعهم والذين لا يأمرّون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، والصامتين إزاء ما يجري من ظلم دون أن ينبسوا ببنت شفة ثم يتمتمون قائلين: اللهمّ عجل فرج الإمام. إن هؤلاء المهزومين نفسياً لا يمكنهم أن ينهضوا لنصرة الإمام باذلين أرواحهم وأموالهم وأولادهم في سبيل الله ونصرة الحقّ.

إنّ للإنتظار معنىً أوسع وأشمل وأسمى بكثير مما يظنّه البعض، ولكي نلقي الضوء على هذه المسألة يجدر ان نذكر نقطتين:

الأولى: إنّ الأحاديث تشير إلى عمل ضخم ومهمّة شاقة ينهض بها الإمام وهي تطهير الأرض من الفساد واجتثاث جذور الظلم والعدوان ومحو آثار الكفر والإلحاد، ويعود الناس سواسية كأسنان المشط منضوين تحت راية التوحيد الكبرى، حيث دين الإسلام دين المحبّة والسلام.

ومن هنا فإن مهمّة بهذه الخطورة ينبغي أن يسبقها إستعداد بشري ونضج إنساني يرتقي إلى تقبّل مثل هذه الأفكار الشاملة وان يتعدى هذا التقبّل القناعة إلى الحماس والمساندة.

الثانية: إنّ انتصار الإمام يحدث بعد حروب مريرة مع الظالمين وانه يستخدم أسلوب القوّة مع الكافرين من الذين يعترضون طريقه الإصلاحية الشامل.

«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة»^(١).

«فقاتلوا أئمة الكفر أنّهم لا أيمان لهم لعلّهم ينتهون»^(٢).

وإذن فالمسلمون مطالبون بنشر الإسلام وتعزيز قوّته وليس هناك ما هو

أوضح من هذه الآية الكريمة:

«وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم

وآخرين لا تعلمونهم الله يعلمهم»^(٣).

فالجانب العسكري جانب حياتي في الإسلام وعلى المسلمين ان يسعوا ما

وسعهم ذلك في تعزيز قدراتهم الدفاعية والحربية لكي يكون ذلك رادعاً للأعداء في

التفكير لشن عدوان على الأمة الإسلامية.

الأمر بالمعروف

يحتل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مساحة هامة في التشريع الإسلامي،

وهو في طبيعة الواجبات الإجتماعية، ومن هنا يترتب على المسلمين واجب

الإعتراض على الظلم أين ما كان، وعلى الفساد والاستكبار والعدوان وبكافة

الوسائل الممكنة، وإضافة إلى هذا يتوجب على المجتمع الإسلامي ترسيخ عقيدة

التوحيد في النفوس وغرس عبادة الله وحده في القلوب، والدعوة إلى الخير

والجهاد، والقرآن الكريم وكذا الأحاديث يزخران بالأمثلة التي ترفع من هذا

(١) البقرة الآية (١٩٣).

(٢) التوبة الآية (١٢).

(٣) الأنفال الآية (٦٠).

الجانب في حياة المسلم فرداً ومجتمعاً.

قال تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»^(١).

«وكنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»^(٢).

إنّ الأحكام الشرعية والقانون السياسي والاجتماعي الإسلامي وقضايا الجهاد والدفاع والحقوق المدنية، والقوانين القضائية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومواجهة الفساد والظلم وتنفيذ العدالة الاجتماعية تحتاج إلى مؤسسات إدارية ضخمة ولا يمكن إقامتها إلا من خلال حكومة إسلامية.

ومن هنا فإن مسألة تشكيل الحكومة الإسلامية التي من شأنها إقامة حكم الله في كلّ نواحي الحياة هي من صميم الدين. وإذا كان الشارع الإسلامي قد أورد كلّ هذه القوانين فإنه لا بدّ قد أخذ بعين الاعتبار جانب التنفيذ، فكيف نفهم مسألة الجهاد مثلاً دون قانون عسكري وإدارة حربية، وكيف نكفل تطبيق العدل الاجتماعي دون قوّة تنفيذية تحقّق الحقّ وتبطل الباطل، وتضع حدّاً للفوضى.

إنّ الإسلام وهو يشرّع كلّ هذه القوانين قد فكّر في من ينفذها وهذا هو معنى الحكومة الإسلامية، والحاكم الإسلامي هو الذي يقف في قمة الهرم الإداري وهو المسؤول عن تنفيذ الشريعة الإلهية، ومن هنا فإن مسألة الحكم هي من جوهر الإسلام.

(١) آل عمران الآية (١٠٤).

(٢) آل عمران الآية (١١٠).

الرسول القائد

كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم هو القائد العام والرئيس الأعلى في الحكومة الإسلامية، وبهذا فقد كان يباشر الإدارة ومنحه الله في ذلك صلاحيات واسعة حتى يمكنه النهوض بهذه المسؤولية الكبرى.

قال تعالى:

«النبيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(١).

«فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم»^(٢).

ومن هنا فإن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم يمثل القوتين التشريعية والتنفيذية.

فارتباطه بالسماء من خلال الوحي الذي يمثل المصدر التشريعي الوحيد يجعله مسؤولاً عن إبلاغ الرسالة الإلهية، كما أنّ تصديده لقيادة الأمة الإسلامية يجعله المسؤول الأوّل عن تنفيذ الشريعة السمحاء.

وها هو التاريخ يمدّنا بأعظم سيرة للإنسان فوق وجه البسيطة؛ فبأيديه أزمة الأمور وقيادة الجهاد المسلّح والدفاع ضدّ العدوان وكلّ ما يتعلّق بإدارة المجتمع الوليد.

قال تعالى:

(١) الأحزاب الآية (٦).

(٢) المائدة الآية (٤٨).

« يا أيُّها النبيِّ حرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ »^(١).

« يا أيُّها النبيِّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ »^(٢).

« إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا »^(٣).

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ مَهْمَةَ الرَّسُولِ لَمْ تَكُنْ فِي إِبْلَاحِ الرِّسَالَةِ فَقَطْ ، بَلْ تَتَعَدَّى إِلَى قِيَادَةِ

الْمُسْلِمِينَ وَتَنْفِيزِ شَرَعَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ مُلْزَمِينَ بِطَاعَةِ النَّبِيِّ الَّتِي

تَعَدُّ طَاعَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ؛ قَالَ تَعَالَى :

« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ »^(٤).

« وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا »^(٥).

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ »^(٦).

وهذا الحشد من الآيات في مضمار طاعة النبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

المقرونة دائماً وأبداً بطاعة الله؛ فبالإضافة إلى أتباعه في التشريع، هناك طاعة

أخرى متوجبة له كقائد وحاكم وهي واجبة لأن الله أمر بذلك.

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ الْحُكُومَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ هِيَ فِي الصَّمِيمِ مِنَ الدِّينِ وَكَانَ الرَّسُولُ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ تَجْسِيدٍ لَذَلِكَ.

(١) الأنعام الآية (٦٥).

(٢) التوبة الآية (٧٣).

(٣) النساء الآية (١٠٥).

(٤) النساء الآية (٥٩).

(٥) الأنفال الآية (٤٦).

(٦) النساء (٦٤).

الحكم الإسلامي بعد رحيل النبي الأكرم

ب وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم انتهى عهد التشريع وفترة الوحي والنبوة، وبقيت بعده الشرائع التي جاء بها من السماء، وهنا سؤال؛ هل انتهت حاكمية النبي نهائياً بمجرد وفاته؛ وهل سمي النبي أحداً خليفة من بعده، وهل ان النبي قد أوكل هذه المهمة الخطيرة إلى المسلمين؟ أم أنه عيّن أحداً يقوم مقامه في القيادة والحكم.

يؤمن الشيعة إيماناً قاطعاً أنّ رسول الله كان حاكماً للمسلمين منقذاً لشرع الله وكان يدرك ضرورة استمرار الحكومة الإسلامية التي أرسى دعائمها بعد هجرته؛ وان مصلحة المسلمين تتطلب وجود حاكم عادل، عالم بالشريعة والأحكام، وهو إلى جانب ذلك يكون تقياً وأميناً لا تأخذه في الله لومة لائم؛ ومن أجل هذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبأمر من الله عزّ وجلّ يشير إلى عليّ بن أبي طالب ولياً وخليفة من بعده، وهناك حشد كبير من الأحاديث الصحيحة تزخر بها كتب الشيعة والسنة معاً، ومن أشهر هذه الأحاديث حديث الغدير الذي صدر عن النبي لدى عودته من حجة الوداع، فقد خطب النبي في مكان يدعى غدير خم، وأمام آلاف المسلمين قائلاً: ألسنّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله. فقال: من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، ثم قال: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، فلقى عمر بن الخطاب علياً عليه السلام فقال له: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب،

أصبحت مولاي ومولاي كل مؤمن ومؤمنة^(١).

وهذا الحديث يؤكد استمرار ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث سلم ذلك إلى علي بن أبي طالب، وهو يدرك تماماً أن علياً عليه السلام هو المؤهل الوحيد فجعله مستودعاً لعلمه وأميناً لأسراره، كل هذا بأمر من الله سبحانه وتعالى. وكان عمر بن الخطاب أول من أدرك عمق هذه المسؤولية.

خليفة الرسول

ومن هنا فإن الحكومة الإسلامية لم تنته برحيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل أنه أكد استمرارها بتعيين خليفته من بعده وهو علي بن أبي طالب، وعلى هذا فإن الإسلام لم يهمل أبداً استمرار الجانب السياسي والعسكري والاجتماعي، بل جعل ذلك أمراً واجباً باستمرار الخلافة والإمامة ويتجلى هذا الموضوع باستخلاف علي عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام واستخلاف الحسن لأخيه الحسين، وهكذا حتى يصل الأمر إلى الإمام الثاني عشر وهو المهدي عليه السلام.

وقد توارث الأئمة العصمة والطهر والعلم، وهم أئمة المسلمين سواء أكانوا في موقع الحكم أم لم يكونوا.

وتاريخياً لا نجد سوى الإمام الأول علي بن أبي طالب يحكم الدولة الإسلامية لفترة قصيرة نسبياً.

(١) ينابيع المودة ص ٢٩٧.

إنني أعتقد ان حادثة السقيفة كانت أوّل كارثة في تاريخ الإسلام لأنها حرفت المسار الإسلامي في اتجاه بعيد عن الحقّ، وكانت مقدّمة للكوارث التي وقعت فيما بعد.

ولقد بذل الإمام عليّ وكذا الصديقة الزهراء جهوداً كبرى لتصحيح المسار لكن دون جدوى، فاضطر الإمام إلى السكوت حفاظاً على بيضة الإسلام، وكان يشارك المسلمين مشكلاتهم وسعى في حلّها وكان الخلفاء لا يفتأون يرجعون إليه في المعضلات ويدركون أنّه باب مدينة العلم كما قال النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم. وبعد أن وصل الإمام إلى الحكم بدأ بإرساء دعائم حكومة جديدة وعيّن الولاة ونصّب القضاة وعبأ الجيوش لإعادة الأمن والاستقرار إلى البلاد الإسلامية. وهذا ما يعزّز ضرورة الحكومة الإسلامية في التشريع الإلهي وأنها أمر لا يحتاج إلى جدل.

الحكومة زمن الغيبة

والسؤال الآن ما هو موقع الشريعة الإسلامية بكلّ نظمها السياسية والاجتماعية زمن الغيبة؛ هل سقط الواجب الإسلامي عن المسلمين في غياب الإمام؟ وهل من المعقول أن يكون كلّ هذا التراث الضخم وقفاً على حياة الرسول فقط، ثم تبقى معطّلة حتى زمن الظهور؟ وهل يتخلّى الإسلام خلال هذه الفترة الطويلة عن مهمّته في الجهاد والدفاع وتنفيذ الأحكام الإلهية ومواجهة الظلم والفساد والطغيان، وان كلّ ذلك موكول إلى المهدي؟

وهل يمكن القول انّ كلّ هذه الآيات وكلّ هذه الروايات إنّما وجدت لتكون

في طيّات الكتب وفوق الرفوف .

انّ وجدان المسلم لن يصدّق أبداً، وانّ الجميع علماء وبسطاء يجمعون على أنّها وجدت لتطبّق، وإذن فإنّ الشريعة الإلهية وخلال العصور جميعاً واجبة التنفيذ، ولا يمكن أيضاً أن نتصور انّ الإسلام بكلّ هذه التفاصيل الدقيقة قد أغفل جانباً حياتياً وهو وجود الحاكم الشرعي .

وظيفة المسلمين زمن الغيبة

صحيح ان النبيّ والإمام المعصوم هو المنصّب من قبل الله في قيادة الناس وتولّي زمام أمورهم، ولكن واجب المسلمين ووظيفتهم هو التمكين للحكم الإسلامي وتعزيزه قدوة بالنبيّ والإمام في تشكيل الحكومة الإسلامية، وهذا السعي مستمر حتى في غياب الإمام، ذلك انّ الشريعة لازمة التنفيذ في كلّ الظروف، وما يعزز هذا الرأي اننا نجد الكثير من الآيات تتوجّه بالخطاب إلى المسلمين عامّة:

«وجاهدوا في الله حقّ جهاده»^(١).

«انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله»^(٢).

«وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا»^(٣).

«فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفاً»^(٤).

(١) الحج الآية (٧٨) .

(٢) التوبة الآية (٤١) .

(٣) البقرة الآية (١٩٠) .

(٤) النساء الآية (٧٦) .

«وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله»^(١).

«وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله»^(٢).

«فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا إيمان لهم»^(٣).

«وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة»^(٤).

«واعدّوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله

وعدوّكم»^(٥).

«والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز

حكيم»^(٦).

«والزانية والزاني فاجلدوا كلّ واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة

في دين الله»^(٧).

«ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر»^(٨).

(١) الأنفال الآية (٣٩).

(٢) النساء الآية (٧٥).

(٣) التوبة الآية (١٢).

(٤) التوبة الآية (٣٦).

(٥) الأنفال الآية (٦٠).

(٦) المائدة الآية (٣٨).

(٧) النور الآية (٢).

(٨) آل عمران الآية (١٠٤).

« يا أيُّها الذين آمنوا كونوا قَوَّامين بالقسط شهداء لله »^(١).

ان القرآن يزخر بالأمثلة والشواهد على الخطاب الجمعي الذي يحدّد الواجب العام، الذي لا يمكن ادائه إلا من خلال حكومة إسلامية تتبنى تشكيل المؤسسات والدوائر المختلفة.

بل إن إقامة الدين كواجب إلهي لا يتم إلا عن طريق تشكيل الحكومة، قال تعالى: « شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوصينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى وعيسى إن أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه »^(٢).

وإذن فإن مجموع الخطاب القرآني يؤكّد استمرار فاعلية الشريعة كنظام حياتي للمسلمين وأنهم موظفون بإقامة الدين سواء في حضور الإمام أو غيابه. وإلاّ هل يمكن الإستمرار في ظلّ الفوضى، وإذا كانت الشريعة الإلهية ترفض الفوضى فلا بد أنّها وقد جاءت بما يكفل سعادة الناس في الدنيا والآخرة.

شهادات

إن ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية أمر يكاد يكون بديهياً، فحكم العقول بضرورته، والإسلام لا يرفض أمراً عقلائياً بهذا المستوى فحسب، بل ويؤيده وبقوّة تأمل هذه الآية الكريمة:

« وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قُتل انقلبتم على

(١) النساء الآية (١٣٥).

(٢) الشورى الآية (١٣).

أعقابكم»^(١).

ومن هنا نستشف ان المسيرة مستمرة بحضور النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وفي غيابه، وهل هناك ما هو أوضح من الانقلاب في التعبير عن استمرار النظام الإسلامي وديمومته في الإتجاه الصحيح.

والتاريخ يمدنا بموقف صارخ أعقب وفاة رسول الله مباشرة وهو الإجتماع العام الذي انعقد في «سقيفة بني ساعدة» حيث أجمع الحضور من خلال صراعهم حول الخلافة على شيء واحد هو ضرورة استمرار الحكومة الإسلامية؛ ولم يذكر التاريخ ان أحداً قال أو حتى أشار إلى عدم الحاجة إلى وجود حكم إسلامي.

وكان الصراع يدور حول هوية الخليفة، فقد رأى الأنصار أنهم أحق بالخلافة من غيرهم، وقال المهاجرون أنهم شجرة النبي وأصله وأنهم أحق من غيرهم وقالت طائفة من الأنصار فيما بعد منّا أمير ومنكم أمير، وردّ المهاجرون: منّا الأمراء وأنتم الوزراء، ولكن لم يقل أحد أنه لا ضرورة للخلافة ولا للخليفة.

وكان للإمام علي موقفه الفريد فهو بالرغم من إيمانه العميق بحقه الإلهي إلا أنه لم ينسق وراء دعوة البعض في تفجير الصراع حول الخلافة، كما أنه لم يقل ان لا ضرورة لها، بل وقف - بعد أن سجّل اعتراضه وتحفظه - إلى جانب الخلافة مصححاً ومسدداً، وشعاره الإسلام أولاً وأخيراً، وما لبث الخلفاء أن عادوا إليه يستشيرونه في أمّيات المسائل والتحدّيات فكان النبع المتدقّ علماً وخُلُقاً وفكراً.

وفي فتنة الخوارج الذين رفعوا شعارهم «لا حكم إلا لله» كان للإمام موقفه

الصارم، إذ يقول: «كلمة حق يُراد بها باطل».

ويضيف عليه السلام موضحاً: «نعم أنه لا حكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله؛ وأنه لا بدّ للناس من أمير، برّ أو فاجر، يعمل في امرته المؤمن؛ ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيه الأجل ويجمع به الفياء ويقاتل به العدو، وتأمين به السبل ويؤخذ به للضعيف من القويّ حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر»^(١).

ومن الواضح هنا أنه لا شك ولا ريب أبداً في ضرورة تأسيس الدولة الإسلامية وأنها واجب عام على كلّ المسلمين حتى في غياب النبيّ والإمام، وان عليهم في هذه الفترة انتخاب أحد الفقهاء ممّن تجتمع فيه الصفات المطلوبة من إطلاع بالسياسة والإجتماع، إضافة إلى التقوى وحسن الإدارة؛ ذلك انّ فرداً كهذا سيحظى بالرضا من لدن الأئمة الأطهار.

وبالطبع فإن هذا الحديث سيقودنا إلى بحث عميق جداً وهو «ولاية الفقيه» وهو ما لا يسعنا بحثه لضيق الوقت.

وخلاصة القول أنّ الشريعة الإسلامية تنطوي على واجبات الهيّة لا يمكن أدائها إلا من خلال تشكيل حكم إسلامي يوفر الأرضية المناسبة لإنجازها والقيام بها؛ وفي ضوء ذلك ينبغي ان ندرس كلّ الأحاديث التي قد تشير إلى النهي عن الثورة والخروج.

الدكتور: أتقدّم إلى جميع الأصدقاء الأعداء بالتفضّل لحضور اللقاء القادم في

منزلي.

الحوار الرابع عشر

بحث في الأحاديث

الدكتور: أرجو من السيّد نبيه استئناف بحثه الماضي.

نبيه: كان حديثي السابق في الواقع مقدّمة لما أريد مناقشته الآن وهو البحث في الأحاديث التي تنهى عن الثورة. ولقد بحثنا في اللقاء السابق الزخم الهائل من الآيات التي تشكّل واجباً إلهياً في ضرورة تشكيل الحكومة الإسلامية من خلال أوامر الجهاد والحرب ضد المستكبرين ومواجهة الظلم والدفاع عن المحرومين والمقهورين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالتالي إقامة الدين، وان كلّ هذا هو من واجب المسلمين في كلّ زمان ومكان، وأنّه لا يمكن التنصل من هذه المسؤولية الكبرى في الاختباء وراء بعض الأحاديث^(١).

ويمكن تصنيف هذه الأحاديث إلى عدّة طوائف:

(١) يمكن مراجعتها في وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٥-٤١، وبحار الأنوار ج ٥٢.

الطائفة الأولى

الأحاديث التي توصي الشيعة بعدم الإستجابة الفورية لكل من يدعو إلى الثورة، وأنه ينبغي التفكير ودراسة الأهداف بدقّة وكذا شخصية الثائر ومدى أهليّته كائناً من كان بل حتى لو كان من آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم.

عن محمّد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن أبيه صفوان بن يحيى عن عيسى ابن القاسم قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:

عليكم بتقوى الله وحده لا شريك له وانظروا لأنفسكم فوالله انّ الرجل ليكون له الغنم فيها الراعي فإذا وجد رجلاً هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها يخرجها ويجيء بذلك الرجل الذي هو أعلم بغنمه من الذي كان فيها. والله لو كانت لأحدكم نفسان يقاتل بواحدة يجرب بها ثم كانت الأخرى باقية يعمل على ما قد استبان لها، ولكن له نفس واحدة إذا ذهبت فقد والله ذهبت التوبة فأنتم أحقّ أن تختاروا لأنفسكم إن اتاكم آت منّا فانظروا على أي شيء تخرجون ، ولا تقولوا: خرج زيد. فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه، وأنما دعاكم إلى الرضا من آل محمّد. ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه. إنّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه. فالخارج منّا اليوم إلى أي شيء يدعوكم؛ إلى الرضا من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ فنحن نشهدكم أنّا لسنا نرضى به، وهو يعصينا اليوم وليس معه أحد، وهو إذا كانت الرايات والألوية أجد ان لا يسمع منّا، إلّا من اجتمعت

بنو فاطمة معه، فوالله ما صاحبكم إلا من اجتمعوا عليه. اذا كان رجب فاقبلوا على اسم الله وان أحببتم أن تتأخروا إلى شعبان فلا ضير وان أحببتم أن تصوموا في أهاليكم فلعل ذلك أقوى لكم وكفا لكم بالسفياني علامة^(١).

وهذا الحديث من صحاح الأحاديث ورواته من الثقة.

ويستشف من هذا الحديث انّ هناك جدلاً حول شخصية أحد الثوّار وشرعية ثورته، وأنّه ينبغي التدقيق في ذلك الثائر والتأمّل في أهداف ثورته ولعلّ الشخص المقصود هو الثائر العلوي «محمد بن عبدالله بن الحسن» وانه من الخطأ التسرّع في ذلك أو مقارنته بثورة زيد الشهيد، لأن ثورته لم تكن لنفسه، بل إلى الرضا من آل محمد، وهو يدرك تماماً من هو الأحقّ بذلك، أمّا هذا فإنّه يدعو بالخلافة لنفسه ويعادي كلّ من لا يوافق على ذلك.

وكما ذكرنا فإنّ الحديث يشير إلى شخصية «محمد بن عبدالله بن الحسن» التي أثارت جدلاً واسعاً آنذاك، خاصّة بعد اعلانه بأنّه المهدي الموعود. ذكر الإصبهاني انّ أهل بيته كانوا يدعونه بالمهدي^(٢) وأنّه شاع ذلك بين الخاصّ والعام، وقد بايعه رجال من بني هاشم ومن آل أبي طالب^(٣)؛ وأنّه كان يدّعي المهديّة ويدعو الناس لنفسه^(٤).

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٥ - بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠١.

(٢) مقاتل الطالبين ص ١٥٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٨.

(٤) المصدر السابق ص ١٦٢.

ومن المؤكد تاريخياً أنّ محمّد بن عبدالله بن الحسن قد ثار في زمن الإمام الصادق عليه السلام، وكان يدّعي المهديّة ولهذا حذّر الإمام الصادق العيص بن قاسم وسائر الشيعة من التسرّع في ذلك وأنّه لا يجوز مقارنته بزيد ولا مقارنته ثورته بثورة زيد لأنّ زيدا لم يدع الإمامة لنفسه وأنما كان يدعو إلى الرضا من آل محمّد. ومن هنا يتبيّن إن الإمام الصادق عليه السلام لم يطلق نهيه عن الثورة بشكل عام، بل نوّه إلى ضرورة دراستها أولاً ثم اتخاذ الموقف المناسب. وإذن فإنّ الأئمّة يؤيّدون بشكل عام كلّ ثورة تقترب من أهداف زيد الشهيد أو تسير في ذات أهدافها.

وثورة زيد بحاجة إلى دراسة عميقة في الشخصية والأهداف وهو ما لا يسعنا بحثه الآن ولكن نكتفي بهذا الإستعراض السريع.

- اتصفت شخصيته بالزهد والتقوى واجتمعت فيه مقومات القيادة كقائمه.

قال الصادق عليه السلام إثر استشهاده: أنا لله وإنّا إليه راجعون، عند الله احتسب عمّي أنّه كان نعم العمّ، إنّ عمي كان رجلاً لديانا وآخرتنا، مضى والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وعليّ والحسن والحسين^(١).

وبكى أمير المؤمنين عليه السلام في الموضع الذي صلب فيه زيد حتى أثار دهشة الناس ولما سُئل عن سبب بكائه أجاب عليه السلام: إنّ رجلاً من ولدي يصلب في هذا الموضع لا أرى فيه خشية من رضي أن ينظر إلى عورته^(٢).

(١) عيون الأخبار الباب ٢٥.

(٢) الملاحم والفتن ص ٩٨.

وعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا حُسَيْنُ يَخْرُجُ مِنْ صَلْبِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ يَتَخَطَّى هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِقَابَ النَّاسِ، غَرًّا مُحَجَّلِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(١).

- إِنَّ ثَوْرَةَ زَيْدٍ تَنْطَوِي عَلَى أَهْدَافٍ عَظِيمَةٍ سَامِيَةٍ وَلَمْ يَدَّعِ الْإِمَامَةُ لِنَفْسِهِ أَبْدًا وَكَانَ جَلَّ هَمَّهُ الْإِطَاحَةُ بِالطَّاعُوتِ وَالظُّلْمِ، وَلَوْ أُتِيحَ لَهُ ذَلِكَ لَوْفَى بِوَعْدِهِ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ.

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: رَحِمَ اللهُ عَمِّي زَيْدًا لَوْ ظَفَرَ لَوْفَى، أَمَّا دَعَا إِلَى الرِّضَا مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا الرِّضَا^(٢).

عن المتوكل بن هارون قال: لقيت يحيى بن زيد بعد قتل أبيه وهو متوجّه إلى خراسان، فما رأيت مثله رجلاً في عقله وفضله فسألته عن أبيه، فقال: أَنَّهُ قَتَلَ وَصَلَبَ بِالْكَنَاسَةِ ثُمَّ بَكَى وَبَكَيتُ حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَكَنَ قَلَّتْ لَهُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ وَمَا الَّذِي أَخْرَجَهُ إِلَى قِتَالِ هَذَا الطَّاعِي وَقَدْ عَلِمَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مَا عَلِمَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ لَقَدْ سَأَلْتَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ أَبِي يَحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: وَضَعَ رَسُولُ اللهِ يَدَهُ عَلَى صَلْبِي فَقَالَ: يَا حُسَيْنُ يَخْرُجُ مِنْ صَلْبِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زَيْدٌ يُقْتَلُ شَهِيدًا، فَإِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَتَخَطَّى هُوَ وَأَصْحَابُهُ رِقَابَ النَّاسِ، وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ كَمَا وَصَفَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ اللهُ أَبِي زَيْدًا، كَانَ وَاللهِ أَحَدَ الْمُتَعَبِدِينَ، قَائِمَ لَيْلِهِ صَائِمَ نَهَارِهِ، يَجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حَقَّ جِهَادِهِ.

(١) مقاتل الطالبين ص ٨٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٩٩.

فقلت يا ابن رسول الله هكذا يكون الإمام بهذه الصفة؟ فقال يا عبد الله ان أبي لم يكن بإمام، ولكن من سادات الكرام، وزهادهم، وكان من المجاهدين في سبيل الله، قلت: يا ابن رسول الله أما انّ أباك قد ادّعى الإمامة، وخرج مجاهداً في سبيل الله، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيمن ادّعى الإمامة كاذباً، فقال: مه يا عبد الله انّ أبي كان أعقل من أن يدّعي ما ليس له بحقّ وأنما قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمّد، عنى بذلك عمّي جعفراً. قلت: فهو اليوم صاحب الأمر؟ قال نعم هو أفقه بني هاشم^(١).

وقد وضّح زيد الشهيد هذه الحقيقة في قوله رضوان الله عليه:

«من أراد الجهاد فالْيّ ومن أراد العلم فالْيّ ابن اخي جعفر».

وليس زيد وحده يعترف بهذه الحقيقة، بل حتّى أصحابه أيضاً من الذين رافقوه في جهاده وثورته.

عن عمّار الساباطي قال: كان سليمان بن خالد ممّن خرج مع زيد بن عليّ حين خرج، قال: فقال له رجل ونحن وقوف في ناحية وزيد واقف في ناحية: ما تقول في زيد أهو خير أم جعفر؟ قال سليمان: قلت والله ليوم من جعفر خير من زيد أيام الدنيا، قال: فحرّك رأسه وأتى زيدا وقصّ عليه القصّة، قال: فمضيت نحوه فانتهيت إلى زيد وهو يقول: جعفر إمامنا في الحلال والحرام^(٢).

- لم تكن حركة زيد وليدة موقف عاطفي، أو انفجاراً لخزين من الأحاسيس والآلام. لقد رأى هذا النائر العظيم منكراً فأراد تغييره، أراد أن يأمر بالمعروف

(١) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٩٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٦ ص ١٩٦.

وينهى عن المنكر، وكان الجهاد المسلح والثورة هو الطريق الوحيد للتغيير، ولهذا لبى دعوته جمع غفير من المسلمين، وكان لشخصيته المؤثرة وسمو منزلته الأثر العميق في اتساع دعوته فهتفت باسمه العديد من المدن من بينها الكوفة وقد بايعه فيها خمسة عشر ألف رجل، والمدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان^(١).

وكانت ثورة زيد عميقة شاملة تحمل في طواياها كل هموم الإسلام وآلام المسلمين، نلمس هذا في ذلك العدد من الفقهاء الذين انضوا تحت لوائه أو ايدوا ثورته.

فقد كان أبو حنيفة يفتي سرّاً بوجوب نصره زيد بن علي عليهما السلام وحمل المال إليه والخروج معه على اللصّ المتغلب المتسمي بالإمام والخليفة. كما بعث إليه رسالة يقول فيها: اما الخروج معك فلست أقوى عليه - وأشار إلى مرض كان به - ولكن لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك، تستعين بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح.

وسأل أبو حنيفة رسول زيد إليه: من يأتيه من الفقهاء؟ فأجاب: سلمة بن كهيل، هارون بن سعد، أبو هاشم الرماني، الحجاج بن دينار وآخرون. ومن الجدير ذكره هنا ان «زيداً» رضوان الله عليه كان قد استشار الإمام الصادق في الثورة فقال له الإمام: يا عمّ إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك.

وبالرغم من هذا التحذير الذي يحمل له النهاية الدامية، فإنه مضى قدماً في طريق الثورة متحملاً مسؤوليته الكبرى في الدفاع عن المظلومين والمقهورين حتى استشهد رضوان الله عليه.

قال عنه الرضا عليه السلام: انّ زيد بن علي لم يدع ما ليس له بحق، وإنه كان أتقى لله من ذلك، أنه قال: ادعوكم إلى الرضا من آل محمّد.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: اما أنّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما أنّه لو ظفر لوفى، أما أنّه لو ملك لعرف كيف يضعها^(١).

وإذن فالروايات لا تشير إلى نهى ما عن الثورة، ولا يمكن أن تعدّ رواية العيص ابن قاسم ضمن ذلك، بل اننا نلمس فيها تشجيعاً للثورة في الاتجاه الصحيح. ان النهي إنما يشمل تلك الدعوات الشخصية التي تتخذ من الشعارات الإسلامية ذريعة لتحقيق أهداف دنيوية، وثورة زيد لا تحظى برضا الأئمة فحسب بل وبالدعم والتأييد.

وهذا أيضاً ينسحب على الرواية التالية:

- عن ابن أبي عبدون عن أبيه قال: لما حمل زيد بن موسى بن جعفر إلى المأمون، وكان قد خرج بالبصرة وأحرق دور بني العباس وهب المأمون جرمه لأخيه الإمام الرضا عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن لئن خرج أخوك وفعل ما فعل لقد خرج قبله زيد بن علي فقتل ولولا مكانك مني لقتلته.

فقال الرضا عليه السلام: يا أمير المؤمنين لا تقس أخي زيدا إلى زيد بن علي،

فأنه كان من علماء آل محمد؛ غضب لله عزّوجلّ فجاهد أعداءه حتى قتل في سبيله، ولقد حدّثني أبي موسى بن جعفر أنّه سمع أباه جعفر بن محمد بن علي يقول: رحم الله عمّي زيدا أنّه دعا إلى الرضا من آل محمد، ولو ظفر لوفى بما دعا إليه؛ ولقد استشارني في خروجه فقلت له: يا عم إن رضيت أن تكون المقتول المصلوب بالكناسة فشأنك فلما ولى قال جعفر بن محمد: ويل لمن سمع واعيته فلم يجبه.

فقال المأمون: يا أباالحسن أليس قد جاء فيمن ادّعى الإمامة بغير حقّها ما جاء؟ فقال الرضا عليه السلام: إنّ زيد بن علي لم يدّع ما ليس له بحقّ، وإنه كان أتقى لله من ذلك؛ أنّه قال: أدعوكم إلى الرضا من آل محمد، وإنما جاء ما جاء فيمن يدّعي إن الله تعالى قد نصّ عليه، ثم يدعو إلى غير دين الله، ويضلّ عن سبيله بغير علم، وكان زيد والله ممّن خوطب بهذه الآية «وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم»^(١).

وفي هذه الرواية نجد انتقاداً مرّاً لثورة زيد بن موسى يقابله تمجيد لثورة زيد الشهيد.

الطائفة الثانية

وهي الطائفة التي تُشير إلى أنّ كلّ ثورة تحدث قبل ظهور الإمام المهدي سيكون مصيرها الإخفاق.

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٩.

- الحديث الأول : عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حمّاد بن عيسى عن ربي رفته عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : والله لا يخرج أحد منّا قبل خروج القائم إلّا كان مثله كمثل فرخ طار من وكره قبل أن يستوي جناحاه فأخذه الصبيان فعبثوا به^(١).

وسنده مرفوع وهو يشير إلى حذف لبعض رواته فلا يمكن التعويل عليه .

- الحديث الثاني : عن جابر عن أبي جعفر عن محمّد بن علي عليه السلام قال : مثل خروج القائم منّا كخروج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، ومثل من خرج منّا أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار من وكره فتلاعب به الصبيان^(٢).

- الحديث الثالث : عن أبي الجارود قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ليس منّا أهل البيت أحد يدفع ضيماً ولا يدعو إلى حق إلّا صرعه البليّة حتى تقوم عصاة شهدت بدراناً لا يوارى قتيلاً ولا يداوى جريحاً ، قلت : من عنى أبو جعفر ؟ قال : الملائكة^(٣).

- الحديث الرابع : عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له أوصني قال : أوصيك بتقوى الله وان تلزم بيتك وتقع في دهمك هؤلاء الناس ، وإياك والخوارج منّا فانهم ليسوا على شيء - إلى أن قال - واعلم أنّه لا تقوم عصاة تدفع ضيماً أو تعزّ ديناً إلّا صرعتهم البلية حتى تقوم عصاة شهدوا بدراناً مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم لا يوارى قتيلاً ولا يرفع صريعهم ولا يداوى

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٦ .

(٢) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٨ .

(٣) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٨ .

جريحهم. فقلت: من هم؟ قال الملائكة (١).

وهذه الأحاديث الثلاثة فاقدة للاعتبار من حيث السند لأن راويها أبو الجارود (الزيدي) ليس بثقة وهو مؤسس فرقة الجارودية وهو ضعيف في كتب الرجال.

مناقشة

إنّ الأحاديث جاءت استجابة لإصرار من الشيعة في فهم موقف الإمام عليه السلام من الثورة أو بتعبير أدقّ لماذا لا يثور الإمام؟ فالأحاديث جاءت مجرد اخبار عن النتائج التي سيؤول إليها أيّ تحرّك مسلح، وإنّ مصير كلّ الثورات التي تسبق قيام الإمام سيكون الإخفاق. وإن النصر سيحالف المهدي وهو الذي ستقاتل معه الملائكة كما قاتلت مع جدّه رسول الله في بدر.

وبالطبع فإنّها لا تفيد النهي أبداً بل تشير إلى اخبار بالنتائج وهذا لا يسقط التكليف الشرعي في مسألة الجهاد والدفاع في سبيل الله بأي وجه. والمسألة الأخيرة الجديرة بالتأمّل هو ان إخفاق الثورات عسكرياً لا يعني فشلها التام، فالقتل والاستشهاد لا يعني الهزيمة.

ولنا في ثورة الحسين في (كربلاء) أعظم شاهد وفي ثورة زيد في (الكوفة) والحسين في (فخ) وفي ثورات أخرى أنارت الطريق للأجيال. ومن هنا نجد أنفسنا أمام حقيقة كبرى وهي إستمرار الجهاد والسعي المتواصل

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ ص ٢٤٨.

لتحقيق أهداف الإسلام في إقامة حكم الله في الأرض.

استمىح الأخوة عذراً في إنهاء اللقاء لضيق الوقت.

فهمي : أرجو من الأصدقاء أن يشرفونا بالحضور في منزلي الاسبوع القادم.

الحوار الخامس عشر

توافد الأصدقاء إلى منزل السيّد فهمي الذي مهّد للحوار.
فهمي: أرجو من السيّد نبيه ان يستأنف حديثه السابق.
نبيه: كنّا قد ناقشنا طائفتين من الروايات التي تصنّف ضمن الأحاديث التي
تنهى عن الثورة بوجه الظلم قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.

الطائفة الثالثة

هي التي تحصر النهي قبل علامات الظهور
- الحديث الأوّل: عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عثمان بن
عيسى عن بكر بن محمّد، عن سدير قال: قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: يا
سدير الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه واسكن ما سكن الليل والنهار، فإذا بلغك

ان السفيناني قد خرج فارحلاً إنيانا ولو على رجلك^(١).

وهذا حديث لا يعتدّ بسنده لورود عثمان بن عيسى فيه وهو واقفي، وكان وكيلاً للإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في حياته ثم رفض الاعتراف بإمامة خلفه الرضا و «وقف» على إمامة موسى بن جعفر عليهما السلام ثم تاب فيما بعد وحوّل الأموال إلى الإمام الرضا عليه السلام، وهناك شكوك تحوم وتحجب الثقة عن سدير بن حكيم الصيرفي.

- الحديث الثاني: عن أحمد عن عليّ بن الحكم، عن أيوب الخزار عن عمر بن حنظلة، قال سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفيناني، والخسف، وقتل النفس الزكية واليماني؛ فقلت جعلت فداك ان خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: لا^(٢).
والحديث لا يطمئن له لشكوك في وثاقة عمر بن حنظلة.

- الحديث الثالث: عن محمد بن الحسن عن الفضل بن شاذان عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن أبي المقدم عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: الزم الأرض ولا تحرك يداً ولا رجلاً حتى ترى علامات أذكرها لك وما أراك تدركها: اختلاف بني فلان ومناد ينادي من السماء ويجيئكم الصوت من ناحية دمشق^(٣).
والحديث ضعيف لوجود مجهول في الرواية وهو عمر بن أبي المقدم؛ وكان الطوسي قد روى الحديث عن طريقين وضعفهما معاً.

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٦.

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٧.

(٣) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤١.

- الحديث الرابع : عن الحسن بن محمد الطوسي عن أبيه المفيد عن أحمد بن محمد العلوي عن حيدر بن محمد بن نعيم عن محمد بن عمر الكشي عن حمدويه عن محمد بن عيسى عن الحسين بن خالد قال : قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام : ان عبدالله بن بكير يروي حديثاً وأنا أحب أن أعرضه عليك ، فقال : ما ذلك الحديث ؟ قلت : قال ابن بكير : حدّثني عبيد بن زرارة قال : كنت عند أبي عبدالله (الصادق) أيام خرج محمد بن عبدالله بن الحسن إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له : جعلت فداك انّ محمد بن عبدالله قد خرج فما تقول في الخروج معه ؟ فقال : اسكنوا ما سكنت السماء والأرض . فما من قائم وما من خروج . فقال أبو الحسن (الرضا) : صدق أبو عبدالله وليس الأمر على ما تأوله ابن بكير . انما عنى أبو عبدالله اسكنوا ما سكنت السماء من النداء والأرض من الخسف بالجيش^(١) .
والحديث يكاد يكون ضعيفاً لورود أسماء مهملة في الرواة إضافة إلى بعض من غير الثقة مثل حسين بن خالد .

- الحديث الخامس : عن محمد بن همام قال : حدّثنا جعفر بن مالك الفزاري قال : حدّثني محمد بن أحمد عن علي بن سابط عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله (الصادق) أنّه قال : كّفوا ألسنتكم والزموا بيوتكم فإنّه لا يصيبكم أمر تخصّون به ولا يصيب العامّة ولا يزال الزيدية وقاءً لكم^(٢) .

وهذا الحديث ضعيف أيضاً فقد روي عن طريق علي بن سابط عن مجهولين ويرد في السند جعفر بن محمد بن مالك وهو ليس بثقة لدى علماء الرجال .

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٩ .

(٢) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٨ .

- الحديث السادس: عن عليّ بن أحمد عن عبيدالله بن موسى العلوي عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن عمّار بن مروان عن منخل بن جميل عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: اسكنوا ما سكنت السماوات ولا تخرجوا على أحد فإن أمركم ليس بخفاء إلا أنّها آية من آيات الله عزّوجلّ ليست من الناس^(١).

وسند هذا الحديث لا اعتبار له، ذلك ان منخل بن جميل مصنف في طبقة الضعفاء لدى علماء الرجال.

مناقشة

قبل البدء في مناقشة هذه الأحاديث أجد من الضروري الإشارة إلى أنّ الشيعة بما في ذلك أصحاب الأئمة الأطهار (عليهم السلام) كانوا في حالة انتظار وترقب، فقد تضافرت الأحاديث عن رسول الله وعن الأئمة من آله انّ الأرض عندما تمتلئ ظلماً وجوراً وفساداً فإنّ في ذلك إيذاناً بخروج المهدي وتطهير الأرض وإقامة العدل وان ثورته مؤيدة من لدن الله، ولذلك يزداد الحديث عن المهدي، في الأزمات التي تعصف بالأمة وتثار التساؤلات حول موعد الظهور وكان السؤال الدائم: متى يظهر قائم آل محمد؟

لقد امتلأ العالم ظلماً وجوراً فأين المهدي الموعود؟

ومن هنا فإننا نجد هذه الأحاديث استجابة لواقع مرير يبحث عن يوم

(١) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٨.

الخلاص ، وحتى لا تستغل فكرة المهدي من قبل المفرضين والطموحين فإن الأئمة كانوا يشيرون إلى علامات للظهور كمؤشر على القائم المنتظر . ان الإستجابة لكل ثورة على أمل أن قائدها هو المهدي ينطوي على مخاطر عديدة أولها اليأس القاتل اثر الإخفاقات المتوالية لهذه الثورة أو تلك وبالتالي غياب الأمل في إصلاح العالم . ومن هنا فإن هذه الأحاديث لا يمكنها أن تنقض واجبات إلهية مقررة في القرآن الكريم من قبيل وجوب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدفاع عن الإسلام ولو كان الأمر غير ذلك ما نهض عليّ بن أبي طالب عليه السلام بمسؤولياته في الحكم والإدارة والدفاع ، ولا ثار الحسين عليه السلام ولا دعم الأئمة من بعده ثورة زيد الشهيد .

الطائفة الرابعة

وهي الأحاديث التي تنصح الشيعة بعدم التسرع في إعلان الثورة .
 - الحديث الأول : عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن محمد بن علي عن حفص بن عاصم عن سيف التمار عن أبي مرهف عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال : الغيرة من آثارها ، هلك المحاضير . قلت : جعلت فداك وما المحاضير ؟ قال : المستعجلون ؛ أمّا أنّهم لن يريدوا إلاّ من يعرض عليهم - إلى أن قال - يا أبا المرهف أترى قوماً حبسوا أنفسهم على الله لا يجعل الله لهم فرجاً ؟ بلى والله ليجعلن الله لهم فرجاً^(١) .

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٦ .

وفي سند هذا الحديث ضعف لأنَّ محمّد بن علي الكوفي (محمّد بن علي بن إبراهيم) من ضعفاء الرجال وأبو المرهف مجهول.

وجوّ الحديث يشير إلى اندلاع ثورة شيعة وكان الراوي يعيش حالة من الرعب من احتمال مطاردة عامّة للشيعة فجاء الحديث تسكيناً لنفسه بان المطاردون هم الثائرون فقط. ومن هنا فلا يمكن عدّ هذا الحديث ضمن الأحاديث التي تنهى عن الثورة.

- الحديث الثاني: عن الحسن بن محمّد الطوسي عن أبيه عن المفيد عن ابن قولويه عن أبيه عن سعد عن أحمد بن محمّد بن علي بن سابط عن عمّه يعقوب بن سالم عن أبي الحسن العبيدي عن الصادق عليه السلام قال: ما كان عبد ليحبس نفسه على الله إلاّ أدخله الجنّة^(١).

وسند الحديث حسن إلى حدّ ما ورواته من الثقاة.

وفي الحديث تأكيد على الصبر والإستقامة ولا يفيد بالتزام الصمت أو النهي عن الثورة.

- الحديث الثالث: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الزموا الأرض واصبروا على البلاء ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى السنتكم ولا تستعجلوا بما لم يعجل الله لكم فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً ووقع أجره على الله واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله وقامت النية مقام اصلاته سيفه فإنّ لكلّ شيء مدّة وأجلاً^(٢).

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٩.

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٠.

وهذا الحديث معتبر وهو منقول عن نهج البلاغة.

- الحديث الرابع : عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن عبدالرحمن بن أبي هاشم عن الفضل الكاتب قال كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأتاه كتاب أبي مسلم (الخراساني) فقال (الإمام): ليس لكتابك جواب. اخرج عتًا - إلى أن قال - قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينك جعلت فداك؟ قال: لا تبرح الأرض يا فضيل حتى يخرج السفيناني؛ فإذا خرج السفيناني فأجيئوا إلينا، يقولها ثلاثاً. وهو من المحتوم^(١).

وسند الحديث حسن.

- الحديث الخامس : عن محمد بن علي بن الحسين بإسناده عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه: (في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام) قال: يا علي! إزالة الجبال الرواسي أهون من إزالة ملك لم تنقض أيامه^(٢).

والحديث ضعيف السند لأن حماد بن عمرو من المجاهيل كما عد أنس بن محمد وأبوه محمد ممن أهمله علماء الرجال.

- الحديث السادس : عن حميد بن زياد عن عبيدالله بن أحمد الدهقان عن علي بن الحسن عن محمد بن زياد عن ابان عن صباح بن سيّابه عن المعلّى بن خنيس قال: ذهبت بكتاب عبدالسلام بن نعيم وسدير وكتب غير واحد إلى أبي عبدالله (الصادق) عليه السلام حين ظهر المسوودة قبل أن يظهر ولد العباس: بأننا

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٧.

قدّرنا أن يؤول هذا الأمر إليك فما ترى؟ قال فضرب بالكتب الأرض، قال: أف أف ما أنا لهؤلاء بإمام - أما تعلمون أنه إنما يقتل السفيناني^(١).

ولا يمكن التعويل على هذا الحديث كثيراً لورود صباح بن سيّابة وهو مجهول.

مناقشة

وقبل مناقشة مضامين هذه الأحاديث أشير إلى هذه النقاط:

- ان ظهور المهدي هاجس الشيعة زمن الأئمة (عليهم السلام) نتيجة ما تظافت الأحاديث والروايات عن النبي وآله.

- إن الشيعة كانوا يعيشون ظروفاً مريرة وكانوا مطاردين من قبل حكّام الجور الذين ما فتأوا يمزّقون صفوفهم ويملأون السجون بهم.

- ان تلك الفترة كانت زاخرة بروح الثورة التي قادها علويون وكان بعض الشيعة في كلّ مرّة يلتفون حولهم على أمل أن يكونوا المهدي الموعود.

- إن الأجهزة الحكومية كانت تتعامل مع فكرة المهدي وقيامه بمنتهى الحساسية، وكانت تراقب بدقة تحرّكات العلويين، فجاءت الأحاديث إستجابة للضغوط القويّة التي كان يمارسها الشيعة تجاه الأئمة بدعوتهم إلى الثورة أو السماح للثائرين على الأقل.

وبالطبع فإن موقف الأئمة كان يمثّل الحرص على عدم تمزّق هذه القاعدة الشعبية في معارك وثورات خاسرة، ومن أجل هذا جاءت الأحاديث تنصح الشيعة

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٧.

بعدم التسرّع في الثورة ومن ثم تمكين الأعداء من أنفسهم. وبالتالي فالأحاديث لا تنهى مبدأياً عن الثورة ولكن عن هذه التحركات غير المحسوبة ولا الناضجة.

الطائفة الخامسة

الأحاديث التي تفيد بأن كلّ راية ترتفع قبل راية المهدي فهي راية ضلال:

- الحديث الأول: عن محمد بن يحيى عن محمد بن محمد بن الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن الحسين بن المختار عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله^(١).

وسند الحديث حسن ورواته ثقة.

- الحديث الثاني: عن محمد بن إبراهيم النعماني عن عبدالواحد بن عبد الله قال: حدّثنا أحمد بن محمد بن رباح الزهري، قال: حدّثنا محمد بن العباس عن عيسى الحسيني عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن مالك بن أعين الجهني عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: كلّ راية ترفع قبل راية القائم فصاحبها طاغوت^(٢).

وسنده ضعيف فاقد للاعتبار ذلك أنّ الحسن بن علي بن أبي حمزة متهم بالكذب وهو من زعماء الواقفية.

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٧.

(٢) مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٢٤٨.

مناقشة

الراية تعبير عن حركة ثورية أو إعلان للحرب ضد حكم ما والدعوة لتأسيس حكم جديد، وصاحب الراية هو قائد تلك الحركة والثورة وهو عادةً ما يطلب من الشعب الوقوف إلى جانبه ومساندته. أمّا الطاغوت فيعني الظالم والمعتدي على حرّيات الله، والذي يدعو الناس إلى اتباعه من دون الله، وتأتي عبارة «يعبد من دون الله» لتلخص معنى حاكمية فرد ما في مقابل حاكمية الله سبحانه، وبعبارة أخرى أنّه من يريد تشكيل حكومة هي ليست لله، ومن هنا نعت بالطاغوت.

وعلى هذا فالأحاديث تشير إلى الثورات التي تستهدف تأسيس حكم ليس لله ولا في سبيله، وهو ما نجد مصاديقه في الثورات اللادينية.

وفي مقابل هذا فإن الثورات التي تهدف إلى تشكيل حكومة إلهية والحركات التي تدعو إلى الله لا يمكن نعتها بالطاغوت بل بـ «المضادة للطاغوت» إذا صحّ التعبير.

وإنطلاقاً من هذا فإنّه من الخطأ تعميم الأحاديث في هذا المضمار وإطلاقها لأننا سنقع في احراج تجاه كثير من الثورات وفي طبيعتها ثورة الحسين ضد طاغوت زمانه يزيد بن معاوية، وثورة زيد الشهيد وغيرها.

خلاصة

إضافة إلى الضعف المتفشي في الأحاديث المروية، وأنّه لا يمكن التعويل عليها إجمالاً، فإننا يمكن أن نشير إلى مراميها في عدّة نقاط:

- أنه لا ينبغي أبداً التسرع في موضوع خطير كالمهدي دون تأمل وتروٍّ، وأنه يجب رفض من ادعى أنه المهدي وكانت أهدافه لغير الله، لأنه لم يحن وقت الظهور بعد.

- أن بعضها يأتي في سياق الأحاديث الخبرية التي تنبئ عن إخفاق الحركات والثورات التي تسبق قيام المهدي.

- عدم الإستجابة لدعوة من يدعي أنه المهدي قبل وقوع علامات الظهور.

- عدم تعجل ظهور المهدي قبل توفر أسباب الإنتصار.

وبشكل عام فإن الأحاديث تندد بالثورات التي يدعي قاداتها بالمهدية ويرمون من وراء ذلك تحقيق أهداف ليست إلهية.

أما أولئك الذين يثرون دفاعاً عن الإسلام والقرآن ومواجهة الظلم، وكانوا يهدفون إلى تشكيل حكومة إلهية وتطبيق شريعة الله في أرضه، فلا يمكن نعتهم بالطاغوت، لأنها حركات تمهد لظهور الإمام المهدي وانتصاره.

وأرى من اللازم وقد طال البحث ان أسجل خلاصة لما تقدّم فيما يلي:

- أن القوانين والنظم الاجتماعية تشكّل الجزء الأكبر من الشريعة الإسلامية من قبيل الجهاد والدفاع ومواجهة الظالمين وإقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلاقات المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم.

- إن الشريعة الإسلامية لم تنزل لتكون مادة علمية أو ترفاً فكرياً بقدر ما هي نظام للحياة.

- إن تنفيذ شرع الله يستلزم تشكيل الحكومة بكل ما تشمله الحكومة من مؤسسات وأفراد.

- إنَّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَمَثُلُ أَوَّلَ مَصْدَاقٍ لِلتَّجْرِبَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ أَفْكَارًا وَأَهْدَافًا.

- إنَّ التَّجْرِبَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ لَا تَقْتَصِرُ عَلَى حَيَاةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَلْ أُنْهَى تَمْتَدُّ إِلَى الْعُصُورِ الْوَالِحَةِ حَتَّى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ.

- إنَّ مَسْأَلَةَ إِقَامَةِ الْحُكْمِ الْإِلَهِيِّ نَافِذَةً سِوَاءَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ وَفِي حُضُورِ الْإِمَامِ أَوْ فِي غِيَابِهِ وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ فَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَاجِبَ السَّعْيِ وَإِنْتِخَابِ مَنْ يَصْلِحُ مِنَ الْفُقَهَاءِ.

هَذَا مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ الْأَحَادِيثَ الَّتِي تَمَّ اسْتِعْرَاضُهَا وَهِيَ أَحَادِيثٌ ضَعِيفَةٌ لَا تَنْهَضُ لِنَقْضِ الْوَاجِبِ الْإِسْلَامِيِّ وَالتَّكْلِيفِ الْإِلَهِيِّ الَّتِي يَمَثُلُهُ ذَلِكَ الزَّخْمُ الْهَائِلُ مِنَ الْآيَاتِ وَالرَّوَايَاتِ الَّتِي تَحْضُ عَلَى الْجِهَادِ وَالدَّفَاعِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَمُقَارَعَةِ الْكُفْرِ وَالظُّلْمِ وَالْجُورِ حَتَّى خَلَالَ فِتْرَةِ الْغَيْبَةِ. وَانَّهُ لَا يُمْكِنُ الْقَوْلُ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَسْقَطَ هَذَا التَّكْلِيفَ لِحِينَ ظُهُورِ الْإِمَامِ، وَإِنَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الصَّمْتَ الْمَطْبُوقَ إِزَاءَ مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْإِسْلَامُ وَأَبْنَاؤُهُ مِنْ انْتِهَاكَاتٍ وَإِعْتِدَاءَاتٍ! هَلْ يُمْكِنُ لِهَذِهِ الْأَحَادِيثِ الْبَائِسَةِ أَنْ تَنْهَضَ بِوَجْهِ الْآيَاتِ الْعَظِيمَةِ:

«فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ أَنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ»^(١).

«وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً»^(٢).

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ»^(٣).

(١) التوبة الآية (١٢).

(٢) التوبة الآية (٣٦).

(٣) الأنفال الآية (٣٩).

« مالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين... »^(١).

« فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا »^(٢).

« وجاهدوا في الله حقّ جهاده »^(٣).

« وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا »^(٤).

« ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن

المنكر »^(٥).

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله »^(٦).

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوّة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله

وعدوكم »^(٧).

وعشرات الآيات الأخرى ومئات الأحاديث التي تصبّ في نفس المصب.

وفقهاء الشريعة هم أوّل من يطالبون بإداء هذا الواجب لأنهم ورثة الأنبياء

وأمناء الرّسل وملأذ الناس ، فلا يحق لهم الوقوف مكتوفي الأيدي إزاء الإنتهاكات

التي تطال الإسلام والمسلمين.

وهذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام تدوّي كلماته: « اما والذي فلق الحبّة،

(١) النساء الآية (٧٥).

(٢) النساء الآية (٧٦).

(٣) الحج الآية (٧٨).

(٤) البقرة الآية (١٩٠).

(٥) آل عمران الآية (١٠٤).

(٦) النساء الآية (٣٥).

(٧) الأنفال الآية (٦٠).

وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر وقيام الحجّة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء، أن لا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلاً على غاربها»^(١).

وهذا سبط محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم الحسين بن علي (عليهما السلام) يروي عن جدّه النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله ان يدخله مدخله»^(٢).

ويقول هو عليه السلام:

«... ذلك بأن مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه، فانتم المسلوبون تلك المنزلة وما سلبتم ذلك إلا بتفرّقكم عن الحقّ واختلافكم في السنّة بعد البيّنة الواضحة ولو صبرتم على الأذى وتحملتم المؤونة في ذات الله كانت أمور الله عليكم ترد وعنكم تصدر وإليكم ترجع ولكنكم مكنتم الظلمة من منزلتكم وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات ويسيروا في الشهوات، سلّطهم على ذلك فراركم من الموت وإعجابكم بالحياة التي هي مفارقتكم، فأسلمتم الضعفاء في أيديهم، فمن بين مستعبد

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ٢.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ٤٨ ط بيروت.

مقهور وبين مستضعف على معيشتهم مغلوب، يتقلبون في الملك
بآرائهم ويستشعرون الخزي بأهوائهم، اقتداءً بالأشرار وجرأة على
الجبار»^(١).

أجل هذه هي مسؤولية الفقهاء وواجب العلماء وانّ كلّ تقصير في ذلك سوف
يعرّضهم للحساب يوم القيامة، ليس همّ العلماء منحصرًا بالبحث والتنقيب ولا
التأليف وإقامة صلاة الجماعة والفتيا. ان مسؤوليتهم الكبرى هي الدفاع عن حياض
الإسلام وحماية المسلمين وجهاد الكفار والمعتدين، وبعبارة واحدة إقامة دين الله
في الأرض.

وبهذا البحث انتهى اللقاء فانصرفوا على أن يجتمعوا في الاسبوع القادم.



الحوار السادس عشر

الظهور

توافد الأصدقاء كعادتهم في الساعة الثامنة مساءً وكان الدكتور لبيب أول متحدث معلناً بداية الحوار.

الدكتور: أرجو ان يتفضل السيّد نبيه ويبيّن كيفية ظهور المهدي ولو بشكل عام.

نبيه: تُشير الأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) انّ العالم سيصل إلى حالة فكرية يكون فيها مهياً لقبول الحقّ، وعندها يظهر المهدي.

ثم يبدأ دعوته العالمية فيلتفّ حوله المقهورون والمحرومون، ثم ما يلبث ان يجهّز جيشه الكبير الذي يضمّ الفدائيين والمصلحين.

عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: بينا شباب الشيعة على ظهور سطوحهم نيام اذ توافوا الى صاحبهم في ليلة واحدة على غير ميعاد فيصبحون

بمكة^(١).

كما ورد عن الباقر عليه السلام أيضاً:

كأني بأصحاب القائم وقد أحاطوا بما بين الخافقين. وإن الرجل منهم يعطى قوة اربعين رجلاً، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد، ولو مرّوا بجبال الحديد لقطعوها، لا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله^(٢).

وعندها يهتّب الظالمون للحرب وهم يصغون برعب إلى أجراس الخطر تدوي في قصورهم التي بنيت على الظلم وقهر الشعوب، فينتشر نور الإسلام «وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الليل حتى لا يكون شرك على ظهر الأرض»^(٣)، حتى تتشكل دولة الله في الأرض وترتفع راية التوحيد والعدل خفاقة عالية.

المصير

الدكتور: ما هو مصير الكفار في دولة المهدي؟

نبيه: تتضمّن الآيات والروايات إشارات إلى ان المهدي ينتزع الحكم من

الكفار غير الكتابيين بالقوة معلناً بداية عصر جديد هو عصر المستضعفين:

«ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون»^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٥٥.

(٤) الأنبياء الآية (١٠٥).

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون »^(١).

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً »^(٢).

« ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين »^(٣).

وهذه الآيات تبشّر الإنسانية بعصر جديد عصر يحكم فيه الصالحون بعد أن ظلّت البشرية ترزح تحت الظلم والجور مئات السنين.

وفي عصر المهدي ترتفع راية العدالة والحقّ حتى لا نجد أحداً من العالمين لا يؤمن بالله وحده لا شريك له.

روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً اسمه اسمي وخلقه خلقي يُكنى أبا عبدالله يرد الله به الدين ويفتح له فتوحاً ولا يبقى على وجه الأرض إلا من يقول: لا إله إلا الله، فقيل له: من أي ولدك؟ قال من ولد ابني هذا، وضرب بيده على الحسين^(٤).

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: يقاتلون والله حتى يوحد الله ولا يشرك به

(١) الصف الآية (٩).

(٢) النور الآية (٥٥).

(٣) القصص الآية (٥).

(٤) اثبات الهداة ج ٧ ص ٢١٥، ٢٤٧.

شيء^(١).

مصير اليهود والنصارى

الدكتور: ترى ماذا سيكون مصير النصارى واليهود؟

نبيه: تفيد الآيات بشكل واضح إلى استمرار الدين المسيحي وكذلك الدين اليهودي إلى يوم القيامة، قال تعالى في محكم كتابه الكريم: «ومن الذين قالوا أنا نصارى أخذنا ميثاقهم نسوا حظاً مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة»^(٢).

وقال سبحانه: «إذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرّك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة»^(٣). وهذا يدلّ على استمرار الدين المسيحي حتى تشكيل الحكومة العالمية في عهد المهدي (عليه السلام).

وفي شأن اليهود قال تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغلولة غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدنّ كثيراً منهم ما انزل اليك من ربّك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة»^(٤). وهذه الآية تشير بوضوح تام إلى ديمومة الدين اليهودي حتى قيام المهدي.

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٥.

(٢) المائدة الآية ١٤.

(٣) آل عمران الآية ٥٥.

(٤) المائدة الآية (٦٤).

وإلى جانب هذه الآيات توجد بعض الأحاديث ما يتضمن هذا المعنى:
 عن أبي بصير انه سأل الصادق (عليه السلام): فما يكون من أهل الذمة عنده؟
 قال: يسالمهم كما سالمهم رسول الله ويؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون^(١).
 وعن الباقر عليه السلام قال: اذا ظهر القائم عليه السلام ظهر براية رسول الله
 وخاتم سليمان وحجر موسى وعصاه^(٢).
 وفي مقابل ذلك تشير بعض الأحاديث إلى بقاء الإسلام وحده كدين عام
 للبشرية جمعاء.

قال ابن بكير: سألت ابا الحسن عن قوله «وله أسلم من في السموات والارض
 طوعاً وكرها» قال: أنزلت في القائم اذا خرج باليهود والنصارى والصابئين
 والزندقة وأهل الردة والكفار في مشرق الارض وغربها، فعرض عليهم الاسلام
 فمن أسلم طوعاً أمره بالصلاة والزكاة، وما يؤمر به المسلم ويجب لله عليه، ومن لم
 يسلم ضرب عنقه حتى لا يبقى في المشارق والمغرب احد الا وحّد الله .
 وعن الإمام الباقر أيضاً قال في حديث له: فيفتح الله شرق الأرض وغربها
 ويقتل الناس حتى لا يبقى إلا دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٣).
 وعنه أيضاً في قوله تعالى «ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»: يكون
 ان لا يبقى أحد إلا قرّ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨١، ٣٧٦.

(٢) الغيبة النعمانية.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٠.

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٦.

ومن هنا فإننا نرى طائفتين من الأحاديث الأولى تعضد الآيات والأخرى تخالفها في الظاهر، ولا يخفى على من له علم في الأحاديث ان ما يوافق فيها الآيات هو المقدم على غيره.

وإذن فيمكن القول ان الدين اليهودي وكذا المسيحي سوف يستمران حتى في ظل حكومة المهدي بعد التنازل عن عقائدهم المنحرفة في الشرك والتثليث والتسليم بوحدانية الله سبحانه، وفي مقابل هذا سوف يتمتعون بحماية الدولة الإسلامية الكبرى التي ستحكم العالم بأسره رافعة راية: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام: «إذا قام القائم لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة ان لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله»^(١).

وعن الباقر عليه السلام قال في حديث له: «إذا قام القائم ذهبت دولة الباطل»^(٢).

وروى أبو الجارود عن الباقر في قوله تعالى: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة»: فهذه لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر الأئمة والمهدي وأصحابه، يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها ويظهر به الدين ويميت الله به وبأصحابه البدع والباطل كما أمات السفهاء الحق حتى لا يرى اين الظلم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر»^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٦٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٤٧.

وعن أبي بصير قال:

سمعت أبا عبد الله (الصادق) يقول: «ان سنن الأنبياء (عليهم السلام) ما وقع عليهم من الغيبات جارية في القائم منّا أهل البيت حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة. قال أبو بصير فقلت له: يا ابن رسول الله ومن القائم منكم أهل البيت؟ فقال: يا أبا بصير هو الخامس من ولد ابني موسى، ذلك ابن سيّدة الاماء يغيب غيبة يرتاب فيها المبطلون ثم يظهره الله عزّوجلّ فيفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه وتشرق الأرض بنور ربّها ولا تبقى في الأرض بقعة عبد غير الله عزّوجلّ إلاّ عبّد الله فيها ويكون الدين كلّه لله ولو كره المشركون»^(١).

وعن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال لعليّ عليه السلام: الائمة من بعدي اثنا عشر أولهم انت يا علي وآخراهم القائم الذي يفتح الله - تعالى ذكره - على يديه مشارق الأرض ومغاربها^(٢).

المهندس: لقد خطر في بالي موضوع أود البحث فيه ولكنني أرجئ ذلك إلى اللقاء القادم ويسعدني أن يكون ذلك في منزلي.

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٤٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٨.

الحوار السابع عشر

توافد الأصدقاء في منزل السيّد جلال. وبعد تبادل عبارات الودّ، قال السيّد نبيه ممهداً للحوار:

كانت لقاءاتنا السابقة مثمرة إلى حدّ ما ولعلنا وُفقنا فيها إلى توضيح بعض المسائل التي يمكن اعتبارها هامّة. وإذا كان لبعض الأخوة سؤال يودّ طرحه فليتفضّل مشكوراً.

المهندس: أودّ إثارة هذا الموضوع لو سمحتم، وهو أنّ المسلمين يشكّلون اليوم أقلّية بالنسبة إلى غيرهم، كما تشير إلى ذلك الإحصاءات العالمية، وإضافة إلى هذا فإنّ الشيعة يشكّلون أيضاً أقلّية بالنسبة للمسلمين، وفي الشيعة الكثير الكثير من الظالمين، وحسبما أظنّ فإنّ تغييراً هامّاً لن يطرأ على هذا الوضع في المستقبل المنظور، وإذن يمكن القول أنّ الشيعة سيشكّلون أقلّية في زمن الظهور. وبناءً على هذا هل من المعقول إنتصار هذه الأقلّية المغلوبة على أمرها على الأكثرية الساحقة في العالم؟ ولو افترضنا ذلك فإنّ العالم سيتحوّل إلى مقبرة هائلة، وسيسود عندها

سلام المقابر، فهل يمكن أن نعدّ هذا العمل إصلاحاً عالمياً؟!

نبيه: إنّ التصورات المستقبلية تبقى في إطار الافتراضات، ثمّ إننا أشرنا سابقاً إلى أنّ العالم في حالة رقيٍّ وتقدّم، وهو يتّجه صوب الرشد فكرياً وثقافياً. وهناك ما يشبه الوعي والصحوّة لدى علماء الشرق والغرب، وشعور عميق بعجز الأديان والمذاهب الفكرية الأخرى عن إرواء ظمأهم الوجداني؛ ولذا فهم يتّجهون لا شعورياً نحو من يهبهم الطمأنينة والسلام، وهو الإسلام، الذي يعدّ اليوم الواحة الوحيدة في صحراء الفكر الإنساني.

إننا ومع بالغ الأسف لا نمتلك الوسائل الكافية لإبلاغ نداء الإسلام إلى العالم، ومع هذا فإنّ ذلك اليوم الذي سيصحو فيه العالم على حقيقة الإسلام ليس ببعيد. ثمّ لماذا نفترض اشتعال الحروب في زمن الظهور؟ إنّ المهدي لا بدّ وأنّه سيكون كجده مبشراً ونذيراً، وسيرى العالم إنساناً على خطى الأنبياء في كراماته ومعجزاته وسيكون كلّ ذلك إلى جانب دعوته العالمية وثورته ضد الظلم في كلّ مكان. سيكون له الأثر في اعتناق الناس دين الله ودخولهم فيه أفواجاً.

قم عاصمة العلم

تشير الأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام) أنّ علماء الدين ومراجع المسلمين سوف يوفقون في الكشف عن عظمة الفكر الإسلامي ومثانته الشريعة الإلهية، وأنّها الأسلوب الأمثل في الحياة الإنسانية، وهي الطريق الوحيد لنجاة البشرية؛ وبذلك فهم يمهدون الأرضية المناسبة لظهور الامام المهدي وتشكيل حكومته.

عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: ستخلو الكوفة من المؤمنين ويأزر عنها العلم كما تأزر الحيّة في جحرها. ثم يظهر العلم ببلدة يُقال لها: (قم) وتصير معدناً للعلم والفضل حتى لا يبقى في الأرض مستضعف في الدين حتى المخدرات في الحبال، وذلك عند قرب ظهور قائمنا، فيجعل الله قم وأهلها قائمين مقام الحجّة، ولولا ذلك لساخت الأرض بأهلها ولم يبق في الأرض حجّة، فيفيض العلم منها إلى سائر البلاد في المشرق والمغرب فتتم حجّة الله على الخلق حتى لا يبقى أحد على الأرض لم يبلغ إليه الدين والعلم، ثم يظهر القائم ويصير سبباً لنقمة الله ولسخطه على العباد؛ لأنّ الله لا ينتقم من العباد إلا بعد إنكارهم حجّته^(١).

وعن الإمام عليّ عليه السّلام قال: رجل من أهل قم يدعو الناس إلى الحقّ يجتمع معه قوم كزبر الحديد، لا تزلهم الرياح العواصف، ولا يملّون من الحرب ولا يجبنون، وعلى الله يتوكلون، والعاقبة للمتقين^(٢).

جلال: وإذن فإنّ تصوركم عن المستقبل يكون فيه الإسلام قوياً والمسلمون أكثرية، وهذا لا ينسجم مع بعض الأحاديث، فقد روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال: سيأتي زمان على أمتي لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه يسمون به وهم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى^(٣).

نبيه: إنّ هذا الحديث لا يتضمّن إشارة إلى زوال الإسلام، إنّّه يشير - فقط - إلى غياب الإيمان وابتعاد المسلمين عن حقائق الإسلام وتعاليم القرآن، فهم بالرغم من

(١) سفينة البحار: قم.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٩٠.

كونهم منتمين إلى الدين الإسلامي، إلا أنهم لا يتمثلون تعاليمه ولا يجسّدون آدابه ونظمه، وبالتالي فإنّ عودة المسلمين إلى الإسلام سوف تتمّ على يد المهدي، وهذا ما يتضمّنه حديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «والذي نفسي بيده لا يزال الله يزيد الإسلام وأهله وينقص الشرك وأهله - إلى أن قال - والذي نفسي بيده ليلغن هذا الدين ما بلغ الليل» (١).

ويمكن القول باختصار إنّ المسلمين سوف يشكّلون أكثرية في زمن الظهور، وإنّ العالم سوف يصل إلى حالة من الرشد الفكري تكون فيه البشرية مستعدّة نفسياً وثقافياً إلى تقبّل دعوة المهدي في التغيير والثورة وبالتالي اعتناق الحقّ.

عن الإمام الباقر عليه السّلام قال: إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت أحلامهم. (٢)

وعن عليّ عليه السّلام قال: يبعث الله رجلاً في آخر الزمان وكلب من الدهر وجهل من الناس، ويؤيده الله بملائكته ويعصم انصاره، وينصره بآياته ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً وبرهاناً يدين له عرض البلاد وطولها حتى لا يبقى كافر إلا آمن ولا طالح إلا صلح (٣).

ومن الضروري أن أشير إلى أنّ عالم اليوم وبالرغم من تقدّمه الهائل في التكنولوجيا إلا أنّ صراعاته السياسية المتفجّرة واشتعال حروب محدودة هنا وهناك وتأزم الأوضاع ربّما يفجّر حرباً مدمّرة تقوّض العالم المسيحي، للحدّ الذي يجعل من الإسلام القوّة الأولى في الأرض.

(١) تاريخ ابن عساكر ط الشام سنة ١٣٢٩ هـ ج ١ ص ٨٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٨.

(٣) اثبات الهداة ج ٧ ص ٤٩.

فمن عبد الملك بن أعين قال: قمت من عند أبي جعفر (الباقر) فاعتمدت على يدي فبكيت وقلت: كنت أرجو أن أدرك هذا الأمر وبني قوّة، فقال: «أما ترضون أن أعداءكم يقتل بعضهم بعضاً وأنتم آمنون في بيوتكم. إنّه لو كان ذلك أعطي الرجل منكم قوّة أربعين رجلاً وجعل قلوبكم كزبر الحديد لو قذفت بها فلققتها وأنتم قوّم الأرض وخزّانها»^(١).

وروي عن الإمام الصادق عليه السّلام قوله:

«قدام القائم (عليه السلام) موتان موت احمر وموت ابيض حتى يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الاحمر السيف والموت الابيض الطاعون»^(٢).
وعن زرارة قال: قلت لأبي عبدالله (الصادق): النداء حقّ؟ قال: إي والله حتى يسمعه كلّ قوم بلسانهم^(٣).
وقال عليه السّلام: «لا يكون هذا الأمر حتى يذهب تسعة أعشار الناس»^(٤).

الحرب

فهمني: ألا يمكن للمهدي من تشكيل دولته دون إراقة للدماء أو الحرب؟
نبيه: لا التاريخ ولا معطيات الحاضر تسعفنا، بمثل هذا الاحتمال فهناك من البشر ممّن لا ينصاع لنداء الحقّ ودعوة الإصلاح، وهؤلاء سوف يقفون بوجه المهدي وسوف يبذلون قصارى جهدهم من أجل هزيمته، وبالتالي فلا خيار سوى

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٥.

(٢) إثبات الهداة ج ٧ ص ٤٠١.

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٤.

(٤) المصدر السابق.

الحرب، وهذا ما نراه في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) حول حتمية الحرب. عن بشير قال: قلت لابي جعفر (عليه السلام): انهم يقولون ان المهدي لو قام لاستقامت له الامور عفواً ولا يهريق محجمة دم فقال: كلاً والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حين أدميت رباعيته وشجّ في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق، ثم مسح جبهته^(١).

السلاح

جلال: يُقال إنّ المهدي سيقوم بالسيف، وهذا ما لا يمكن تصوّره، لقد تمكّن الإنسان اليوم من تصنيع وإنتاج أنواع الأسلحة الفتاكة من قبيل القنابل الذرية والهيدروجينية وغيرها من أسلحة الدمار الشامل. إنّ البشرية اليوم تعيش هاجس الفناء أمام كلّ هذه الترسانات الهائلة فكيف يمكن تصوّر إنسان يخرج بالسيف؟

نبيه: لقد نصّت الأحاديث على خروج المهدي بالسيف؛ عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر (الباقر) عليه السّلام قال: «وأما شبهه من جدّه المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) فخروجه بالسيف وقتله أعداء الله وأعداء رسوله والجبارين والطواغيت وأنّه ينصر بالسيف والرعب وأنّه لا ترد له راية»^(٢).

على أنّ السيف الذي أشارت اليه الروايات لا يعني ذلك السلاح القديم، بل

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٨.

(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢١٨.

يعني القوّة، وإنّ طريق المهدي في تحقيق هدفه الإلهي سيكون الدعوة للإصلاح وقاتال الظالمين ممّن يقفون في طريقه.

ومن هنا، فإنّ المراد بالخروج والراية والسيف إنّما هو استخدام القوّة والعنف في كبح جماح الظالمين، فهو على خلاف سيرة آباءه من الذين انحصرت مهمّاتهم في الإرشاد والموعظة الحسنة.

وإذن فمن المحتمل جداً أن يستخدم الإمام المهدي أسلحة عصره، أو يقوم باختراع أسلحة جديدة متفوّقة على أسلحة أعدائه.

إنّنا لا نمتلك رؤية واضحة عمّا يحدث في المستقبل ممّا سيكون له الأثر في مصير البشرية، ولا ندري من الدولة الأقوى التي سيكون لها قدم السبق في مجال التسلّح إنتاجاً وإملاكاً وتطوراً.

وربّما تحدث نهضة في البلاد الإسلامية فتصحو من رقادها نابذة روح الفرقة والاختلاف متّحدة فيما بينها، مستفيدة من مقدّراتها وثرواتها في طريق تحقيق حضارتها الإسلامية العريقة، وعندها تحدث المعجزة ويكون المسلمون القوّة الأولى في العلم والحضارة والأخلاق؛ وبهذا تكون الأرضية مناسبة لظهور المهدي وإنشاء دولة العدالة في العالم أجمع.

وربّما وصل الإنسان ذات يوم إلى درجة من الوعي يصبح فيها أكثر نضجاً وإرادة فيفكّر في مصير الجنس البشري وما يتهدّده من أسلحة الدمار الشامل فيحرّمها ثم ينصرف إلى البناء والثقافة وتعزيز السلام العالمي.

مستقبل العالم

المهندس: أرجو أن توضّحوا لنا مستقبل العالم في ظلّ المهدي.

نبيه: تشير الأحاديث إلى أن الإمام سوف يشكّل دولة عالمية تشمل الغرب والشرق^(١). وأنّ الإمام هو المسؤول الأعلى في إدارتها، وسوف يعيّن لإدارة هذه المساحات الشاسعة ولاية يتّصلون به مباشرة يسمعونه ويرونه ويتحدّثون إليه.

وفي عهده تغمر العدالة كلّ الأرض، ويعيش العالم في سلام ومحبة، يعطف بعضهم على الآخر، ويعمّ الأمن والسلام العالم بأسره، وتزول كلّ مظاهر العدوان وروح السيطرة فلا يفكر أحد بالإستيلاء على ممتلكات الآخرين، ويحدث في عهده انتعاش إقتصادي هائل حتى لا يبقى فقير يستحق الزكاة.

وتزدهر الأرض بخضرتها وتنزل السماء غيثها، وتتضاعف بركات الله، ويعود الخلق إلى بارئهم وهم أكثر إيماناً، فيهجرون الآثام والمعاصي، ويصبح الإسلام ديناً للجميع، ويرتفع نداء التوحيد في بقاع الدنيا.

وفي عهد الإمام يصل الإنسان إلى درجة من النضج العقلي كبيرة حتى أن النسوة يتمكّن من القضاء وهنّ في منازلهن، كما روي ذلك عن الإمام الصادق (ع)^(٢).

انتصار الأنبياء

جلال: إنّ تصوّري عن المهدي وأنا أتأمّل في كلّ ما بحثناه أنّه سيكون أفضل من كلّ الأنبياء بما في ذلك سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنّهم أخفقوا في إصلاح العالم، وتأسيس دولة عالمية، واجتثاث الظلم والفساد من الجذور. نبيه: إنّ هداية الإنسانية وتطبيق الشرائع الإلهية في الحياة هو غاية الأنبياء

(١) دلائل الإمامة: الطبري محمد بن جرير ط النجف سنة ١٣٦٩ هـ ص ٢٤٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٦.

جميعاً ولقد كان سعي كلّ نبي ورسول في هذا الطريق الطويل ، وبذل كلّ منهم ما وسعه من جهد ووقت في سبيل ذلك .

ومن هنا فإنّ كلّ ما مضى من النبوّات والرسالات هو خطى في الطريق ، فقد كان همّ الأنبياء هو هداية البشر جميعاً نحو الغاية الكبرى والوحيدة في تحقيق شريعة الله في أرضه وإنقاذ الناس جميعاً من براثن الظلم والفساد والانحراف .

ولولا تلك الجهود المضنية والتضحيات العظيمة والدماء والدموع والآلام ، ما أمكن للمهدي أن يُحقّق حلم البشرية في حياة آمنة مطمئنة .

إنّ إنتصار المهدي سيكون تجسيداً لإنّصار الأنبياء وتحقيقاً لأهدافهم الخالدة . ويمكن القول أنّ الرسالات كانت خطى مشرقة في تمهيد الأرضية المناسبة لبناء صرح العدالة الإلهية ، وكانت الرسالة الإسلامية آخر خطوة في هذا الطريق ؛ فالإسلام العظيم ينطوي على برنامج إصلاحى تام توارثه الأئمة من آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلّم) أمانةً وحفظاً ، حتى إذا ظهر المهدي يكون العالم قد تهيأ لليوم الموعود يوم يكون الدين كلّهُ لله .

وستتهاوى كلّ حصون الجبابرة أمام دعوة الله وتتحقّق أحلام الإنسانية في الحياة الطيّبة ويتحقّق وعد الله الذي وعد به عباده الصالحين :

« ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون »^(١) .

الشرع الجديد

الدكتور : يُقال إنّ المهدي عندما يظهر فإنّه يأتي بشريعة جديدة تنسخ أحكام

(١) الأنبياء الآية (١٠٥) .

الإسلام. ما مدى صحّة ذلك؟ :

نبيه: إنّ منشأ هذا التّصوّر إنّما يعود إلى بعض الأحاديث التي أجد من المناسب توضيح مراميها.

روى عبدالله بن عطا عن الصادق عليه السّلام قال: سألته عن سيرة المهدي كيف؟ قال: «يصنع ما صنع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً»^(١).

وعن الصادق عليه السّلام قال: «إذا خرج القائم جاء بأمرٍ جديد كما دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في بدء الإسلام إلى أمر جديد»^(٢).
وعنه أيضاً: «إذا خرج القائم يقوم بأمرٍ جديد وكتاب جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد ليس شأنه إلاّ القتل ولا يستبقي أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم»^(٣).

سيرة المهدي

وهنا عدد من الأحاديث تدلّ على أنّ سيرة المهدي ستكون استمراراً لسيرة جدّه وامتداداً لها، وهذه أمثلة:

- عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «يخرج من

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٢.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ١١٠.

(٣) اثبات الهداة ج ٧ ص ٨٣.

أهل بيتي ويعمل بسنتي»^(١).

- وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «القائم من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيته وشماثله شماثلي وسنته سنتي يُقيم الناس على طاعتي وشريعتي ويدعوهم إلى كتاب ربي»^(٢).

- وعنه أيضاً في حديث: «... وإنّ الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يُرى، ويأتي على أمتي بزمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا يبقى من القرآن إلا رسمه؛ فحينئذٍ يأذن الله تبارك وتعالى بالخروج فيظهر الله الإسلام به ويجدّه»^(٣).
وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «المهدي رجل من عترتي يقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي»^(٤).

وما نشاهد من خلال الأحاديث المذكورة استمرار للإسلام ولسيرة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنّ مهمة الإمام ستكون نشر الشريعة وإعلاء شأن القرآن وإحياء سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
فإذا كان ثمة غموض في الطائفة الأولى من الأحاديث فإنّه سيزول في ضوء الطائفة الثانية. وعندها سيكون فهمنا كالتالي:

خلال هذا التاريخ الطويل هناك كمّ متراكم من البدع والضلالات والأفكار الخاطئة، تؤثر سلباً في تفسير القرآن وفهم الأحكام الإلهية، وإنّ المهدي في ظهوره

(١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٨٢.

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ٥٢.

(٣) منتخب الأثر ص ٩٨.

(٤) ينابيع المودة ج ٢ ص ١٧٩.

سوف يزيل كل الشكوك ويطهر الشريعة من كل الانحرافات والبدع وسيكون تطبيق الشريعة الإلهية كما أنزلها الله لا كما يفهمها البعض بشكل ناقص أو مغلوط .

عن الإمام الصادق عليه السلام قال :

« إذا قام القائم سار بسيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الا انه يبين آثار محمد صلى الله عليه وآله وسلم »^(١).

وعن الفضل بن يسار قال سمعت أبا جعفر (الباقر) عليه السلام يقول :

« إن قائمنا إذا قام استقبل من جهل الناس أشدّ ممّا استقبله رسول الله من جهال الجاهلية .

قلت : وكيف ذلك ؟ قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلّهم يتأول عليه كتاب الله ويحتجّ عليه به . ثم قال :

« أما والله ليدخلنّ عليهم عدله جوف بيوتهم كما يدخل الحرّ والقرّ »^(٢).

حركة جديدة

الذين تركوا جوهر الدين واكتفوا بالقشور فقط ، فلا يعرفون عن الإسلام سوى طقوس معدودة تنحصر في الصوم والصلاة ، والذين حبسوا الإسلام في المساجد فإذا غادروها إلى دنيا الله انمحت من حياتهم أحكام الإسلام ، فهم يمارسون حياتهم كما يشاءون لا كما يشاء الله سبحانه وتعالى ؛ لا ينكرون منكرأ ولا يأمرون

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٧ .

(٢) اثبات الهداة ج ٧ ص ٨٦ .

بمعروف، بل يتعدون ذلك إلى إنتهاك حرّمات الله بوسائل ماكرة تحت ستار التأويل، فيمتنعون عن أداء ما أوجب الله عليهم، ويفسّرون الدين في ضوء أهوائهم وما تريده أمزجتهم ويكتفون من القرآن بحسن تلاوته وجمال تجويده؛ إنّ هؤلاء واولئك سوف يصطدمون بحركة المهدي وتصدمهم دعوته. إنّهم يدعّونهم إلى اللب لا إلى القشور، يدعّونهم إلى الجوهر لا الشكل الظاهر الفارغ.

سوف يقول لهم تدبّروا القرآن، إنّهم ليس للتلاوة فقط، إنّهم شريعة في الحياة وقانون في الأرض.

لم يقتل الحسين من أجل البكاء وإقامة المنائح. لقد استشهد من أجل هدف كبير.. فلا تضيّعوا أهداف الحسين عليه السّلام.

إنّ أحكام الله هي قانون في الحياة، وعلى الإنسان فرداً وجماعةً أن يمثّل شرع الله في قوله وفعله ونواياه، وإنّنا مهما تمسّكنا بالصلاة والصيام لا يسقط عن عاتقنا أداء الواجبات الأخرى، وإنّ النوح على الحسين يوم عاشوراء لن يوفّر الخبز للجائعين ولا الكساء للعراة، ولن يدفع الظلم عن المقهورين.

لا تحاولوا الإلتفاف على شريعة الله.

لا تسعوا إلى تحليل الربا والغش بوسائل المكر والحيل الشرعية، ولا تقصروا خشوعكم وإيمانكم في المساجد فقط..

فالإسلام منهاج عمل وأسلوب حياة.

إنّ عظمة الإسلام لا تكمن في زخرفة المساجد وشموخ المنائر... وربما يتصوّر البعض أنّ المهدي عندما يظهر سوف يقرّهم على أعمالهم وأفكارهم، وقد ينصرف معهم إلى زاوية في المسجد يعبد الله وينزهه!!

ومن هنا فإنهم سيفاجأون وهم يرون المهدي قوياً في ذات الله ينشد العدالة وتطبيق جوهر الدين بعيداً عن كلّ القشور والبدع والضلالات التي أصبحت في نظر الكثيرين جزءاً من الدين أو الدين نفسه .

فالمهدي لا تخدعه المظاهر، لن يتردد في القضاء على الظالمين حتى لو كانوا من المصلّين . سوف ينتزع وبالقوة الثروات التي نهبها من جيوب الفقراء، وسوف يعيدها إلى أصحابها .

عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «إذا قام القائم دعا الناس إلى الإسلام جديداً وهداهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور . وإنما سمّي القائم مهدياً لأنّه يهدي إلى أمرٍ مضلول عنه وسمّي بالقائم لقيامه بالحقّ»^(١).

والخلاصة: أنّه سيكون هناك بون شاسع بين حقيقة المهدي وبين تصوّرات البعض، حتى أنّ الروايات تشير إلى تفرّق الناس عنه في بداية الأمر ثم عودتهم إليه .

عن الإمام الصادق عليه السّلام قال:

«كأنّي انظر إلى القائم على منبر الكوفة وحوله اصحابه ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً عدّة أهل بدر وهم اصحاب الالوية وهم حكام الله في ارضه على خلقه، حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب عهد معهود من رسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فيجفلون عنه إجمال الغنم، فلا يبقى منهم الا الوزير وأحد عشر نقيباً كما بقوا مع موسى بن عمران، فيجولون في الارض فلا يجدون عنه مذهباً،

فيرجعون اليه ، والله اني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به»^(١).

نسخ الأحكام

فهمني : لقد أشرتُم فيما مضى أنّ المهدي ليس مشرّعاً وأنّه لا ينسخ أحكام الشريعة ، وهذا لا ينسجم مع بعض الروايات فمثلاً :

روي عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال : « دمان في الإسلام حلال من الله لا يقتص فيهما أحد حتى يبعث الله قائمنا أهل البيت عليهم السّلام فإذا بعث الله قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بيّنة ، الزاني المحصن يرحمه ومانع الزكاة يضرب عنقه »^(٢).

وعنه عليه السّلام قال : « اذا قام قائم آل محمد حكم بحكم داود وسليمان لا يسأل الناس بيّنة »^(٣).

وفي هذا دلالة على نسخ في الأحكام وتبديل في الشريعة وإشارة قويّة إلى نبوة المهدي وإن لم يصرّح بذلك .

نبيه : إنّ هذه الأحاديث في الحقيقة هي أخبار آحاد وهي لا تفيد اليقين وبهذا فلا يمكن أن تنهض كدليل أمام سيل من الأحاديث يؤكد أن نهج الإمام سيكون إستمراراً لنهج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم .

ومن المحتمل أيضاً أن قضاء المهدي على علمه هو جزء من أحكام الشريعة

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٥ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٢٠ .

لم يعمل به في زمن النبيّ ولا في زمن الأئمة من بعده لعدم مواتاة الظروف فبقي مقيداً حتى اليوم الموعود.

ألم يظهر المهدي حتى الآن؟

الدكتور: اننا نعلن قناعتنا بأصل مسألة المهدي؛ ولكن من أين نعلم ان المهدي لم يظهر حتى الآن؟ لقد مرّ تاريخ طويل منذ بزوغ الإسلام وحتى اليوم وكثيرون هم الذين ادّعوا المهديّة خلال تلك الفترة حتى أنّ بعضهم أسسوا دولاً صغيرة.. أليس من المحتمل ونحن مازلنا ننتظر المهدي أن يكون بين كلّ هؤلاء المهدي الموعود؟

نبيه: إنّ هناك علامات وصفات وخصال حدّدها رسول الله والأئمة من بعده وهي قد رسمت بوضوح الملامح العامّة لشخص المهدي وكذلك ملامح وسمات العصر الذي سيظهر فيه.

فهنالك تفاصيل مهمّة منها انّ اسمه «محمد» وكنيته «أبو القاسم» وأمّه جارية اسمها نرجس أو صقيل أو سوسن وهو من آل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو ابن الإمام العسكري عليه السّلام. وانه ولد في «سامراء» سنة ٢٥٦ أو ٢٥٥ هـ وقد غاب عن الأنظار غيبة صغرى قصيرة كان يتّصل خلالها بالناس عن طريق سفراء؛ وبعدها بدأ الغيبة الكبرى وهي تستمر إلى الحدّ الذي يشكّ فيه الكثير، وإنه يظهر في مكّة، ثم يبدأ دعوته لإصلاح العالم وإنقاذ الإنسانية مما هي فيه من الظلم والجور، ويبدأ عهد جديد تزدهر فيه الأرض ويعمّ فيه السلام.

حكاية الشيرازي

وأنا أسأل سيادة الدكتور هل يوجد بين الذين ادّعوا المهديّة شخص تنطبق عليه تلك العلامات لكي يمكن احتمال صدق دعواه؟
وعلى سبيل المثال: ادّعى أحدهم في إيران أنّه المهدي، وبالطبع لم يكن ابناً للإمام الحسن العسكري، ولم تكن له غيبة، لم يرفع السلاح في حياته كلّها، ولم يهزم ظالماً أبداً، ولم يؤسّس حكماً ولم ينشر عدلاً، بل أنّه أعلن نسخه لشريعة الإسلام وجاء ببدعة جديدة ثم أعلن توبته أمام المشنقة.
فهل يوجد من يصدّق به أو يحتمل صدقه؟
إنّ قصة هذه «الشيرازي» تشبه حكاية ذلك الذي تمسّدق ببطولة زائفة. تقول الحكاية:

جاء «القزويني» إلى الحمام.
وطلب من الدّلاك أن يضرب على ظهره وشماً.
سأل الدّلاك: أي وشم تحبّ؟
قال (البطل): وشم أسد! فأنا كما ترى مثل الأسد.
غرز الدّلاك إبرته فنعر (البطل): آخ.. قتلتني.
قال الدّلاك: ألم تقلّ إنني أسد؟
قال (البطل): وماذا ضربت من الأسد؟
قال الدّلاك: بدأت بالذيل.
قال (البطل): دع الذنب.. ليكن أسداً بلا ذيل.

استأنف الدّلاك عمله وغرز إبرته .

صاح (البطل) بصوت حادّ: آه.. ماذا ضربت؟

قال الدّلاك ساخراً: الأذن يا (بطل)!

قال القزويني: دع الأذن يا عزيزي .

وراح الدّلاك يعمل .

صرخ القزويني من شدّة الألم: ماذا تضرب أيّها الدّلاك؟

قال الدّلاك: البطن يا عزيزي (البطل).

قال (البطل): وما جدوى البطن دعه هو الآخر. ليكن أسداً بلا بطن .

رمى الدّلاك إبرته وقال ساخراً: وكيف يكون أسد بلا رأس ولا ذيل ولا بطن؟

ما دمت لا تحتمل غرز الابر فلا تتحدّث عن الأسود^(١).

ومن الطريف أن نذكر أنّ «الشيرازي» هذا وقبل أن تخطر في باله فكرة

المهدية كان قد ألف كتاباً تحت عنوان «تفسير سورة الكوثر»: أورد فيه أحاديث

عن المهدي لا تنسجم مع تخرّصاته هو حتى فجّرت عليه وعلى أتباعه

المشكلات؛ من قبيل هذا الحديث:

عن موسى بن جعفر البغدادي، قال: سمعت أبا محمّد بن علي يقول:

«كأنّي بكم وقد اختلفتم في الخلف مني؛ أما إنّ المقرّ بالأئمة بعد رسول الله

المنكر لولدي كمن أقرّ بجميع أنبياء الله ورسله ثم أنكر نبوة محمّد رسول الله،

والمنكر لرسول الله كمن أنكر جميع الأنبياء لأنّ طاعة آخرنا كطاعة أولنا، والمنكر

(١) ترجمة عن حكاية منظومة باللغة الفارسية لشاعر إيراني - المترجم .

لآخِرنا كالمنكر لأوّلنا، أما أنّ لولدي غيبة يرتاب فيه الناس إلّا من عصمه الله»^(١).
وعن علي بن موسى (الرضا) أنّه قال في حديث: «... يادعبل! الإمام بعدي
محمّد ابني وبعده محمّد ابنه علي وبعده علي ابنه الحسن وبعده الحسن ابنه الحجّة
القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره؛ لو لم يبق من الدنيا إلّا يوم واحد لطوّل
الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً؛ واما متى؟ فأخبار عن
الوقت ولقد حدّثني أبي عن أبيه عن آبائه عن عليّ ان النبي قيل له يا رسول الله متى
يخرج القائم من ذريّتك؟ فقال مثله مثل الساعة لا يجليها لوقتها إلّا هو، ثقلت في
السموات والأرض لا يأتيكم إلّا بغتة»^(٢).

وهذان الحديثان كما هو واضح يصرّحان بما لا يقبل الشكّ انّ المهدي هو ابن
الإمام الحسن العسكري مباشرة وإن له غيبة تطول، وأنّه عندما يظهر يملأ الأرض
عدلاً وان توقيت ظهوره أمرٌ مستحيل.

وهذا الشيرازي قد أقرّ وفي مواضع عديدة من كتابه بوجود الإمام الغائب
فأشار إلى ان أمر الإمام كالشمس وان إنكاره إنكار لقدرة الله وهو الكفر، وانه قد
ثبت ميلاده لدى الإمامية وقد كانت له غيبة صغرى.

وأشار في موضع آخر ان المهدي والخلف الصالح وكنيته أبو القاسم وهو القائم
بأمر الله والحجّة على خلقه وبقية الله، ثم يثبت هذه الحروف (م ح م د) رغبة بعدم
التصريح باسمه امتثالاً لأمر الإمام نفسه.

وأشار أيضاً في مكان آخر من كتابه إلى الغيبة الصغرى وأنها استغرقت أربعة

(١) تفسير سورة الكوثر.

(٢) المصدر السابق.

وسبعين عاماً وبضعة أيام وأنه كان له سفراء أربعة طوال تلك الفترة.

ثم يسوق حكاية يدّعي فيها رؤية الإمام في المسجد الحرام قرب الركن اليماني وذلك اثناء إنشغاله في الصلاة، ويثبت أيضاً في آخر الحكاية أنه ليس متأكداً من ذلك، وأنها مجرد فكرة طرأت في باله عندما وقع بصره على شابّ بهيّ الطلعة يعتمر عمامة بيضاء وعليه هيئة التّجار.

وحول مسألة التوقيت يسوق الشيرازي في كتابه بعض الأحاديث منها:

عن أبي بصير عن أبي عبدالله (الصادق) قال: قلت: جعلت فداك متى خرج القائم؟ فقال: يا أبا محمّد أنا أهل بيت لا نوّقت وقد قال محمّد كذب الوقاتون»^(١).
وأمام صراحة هذه الأحاديث فان اتباع الشيرازي هذا راحوا ينقّبون في بطون الكتب وتشبثوا بحديث ضعيف عن أبي لبيد المخزومي وادّعو مهدية سيّدهم رغماً عنه!

قال الصادق عليه السّلام في حديث مفصّل: «كذلك غيبة القائم فإنّ الأمّة تنكرها فمن قائل بغير هدىّ بأنّه لم يولد، وقائل بأنّه ولد ومات، وقائل يكفر بقوله إن حادي عشرنا كان عقيماً، وقائل يمرق بقوله ان يتعدّى إلى ثلاثة عشر فصاعداً، وقائل يعصي الله بقوله: ان روح القائم تنطق في هيكل غيره»^(٢).

إنّ كتابه «تفسير سورة الكوثر» قد تضمّن كثيراً من أفكاره التي لا يجد المرء فيها ادّعاءً بالمهدية لا من قريب ولا من بعيد؛ كما سجّل براءته من ادّعاءاته حول نبوة أو بابيته، وبراءته ممن نسب إليه ذلك، بل أنّه سجّل على نفسه نقطة استفهام

(١) تفسير سورة الكوثر.

(٢) تفسير سورة الكوثر.

كبرى حول انحرافه وفساد مذهبه عندما ثبت في كتابه « تفسير سورة الكوثر » هذا الحديث .

ويبدو ان الموجة قد جرفته ورأى من حماقة اتباعه ما لم يكن يتوقع عندها ولبواعث ربما نفسية انقدحت في ذهنه إعلان مهديته على الملأ. وآلف كتابه «البيان» الذي ضمّنه ادّعاءه الباطل هذا.

ولا أريد أن أخوض في بحث الردّ على هذا وغيره من الذين ادّعوا باطلاً ما ليس لهم ثم اندثروا واندثر معهم ذكرهم إلا بما لا يحمد ذكره .
المهندس : إذا كانت تلك الادّعاءات باطلة، فبماذا تفسّرون وجود عدد لا بأس به من الاتباع والمؤيدين ؟

نبيه : ان وجود اتباع مهما كثر عددهم لفكرة ما أو شخص معيّن لا يعدّ مقياساً لصحة الفكرة أو مصداقية الشخص وهذا التاريخ يمدّنا بالشواهد، ولا نذهب بعيداً وأمامنا الآن ما يجعلنا نتأمّل - بدهشة - الملايين من الناس الذين يقدّسون الأبقار في عصر العلم . ففي هذا العصر نجد الناس وبالملايين يعبدون البقر، ويجعلون لها مقاماً رفيعاً في العالم العلوي، وكم هي المآسي التي عصفت بالمسلمين في الهند من وراء ذبح بقرة .

ويتعدّى تقديس الهنود الأبقار إلى القرده أيضاً، حيث ينظرون إليها بإجلال واحترام عميقين، فلا تجد من يتجاسر عليها مهما بلغت من الازعاج والإيذاء، وهذه معضلة أخرى للدولة التي تنظم بين فترة وأخرى حملات كبرى لجمعها وإعادةها إلى الغابات، وبالطبع فهي تقوم بذلك بكلّ احترام وأدب، ويشرف على

تلك الحملات وينقذها هندوس مقدّسون!^(١).

وبهذا أجد من المناسب لو سمح الأخوة بإنهاء البحث حول هذا الموضوع لأنني لا أجد شيئاً يجدر ذكره أو البحث فيه.

جلال: وأنا أيضاً لا يوجد لديّ ما أستفسر عنه.

الدكتور: أشدّ على ידי أخي السيّد نبيه الذي تفضّل من جهده ووقته بما أفادنا كثيراً حول هذه المسألة الحسّاسة، مع أسفي العميق لإنتهاء مثل هذه اللقاءات المفيدة.

نبيه: أشكركم على عواطفكم الأخوية وحسن اهتمامكم، وأسأله تعالى التوفيق لي ولكم وان يجعلنا من أنصار المهدي وجنوده إنّه سميع مجيب.
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(١) عن كتاب الإسلام والعقائد البشرية ليحيى نوري ص ١٠٢-١٠٣.

المراجع والمصادر

- ١- القرآن الكريم
 - ٢- نهج البلاغة
 - ٣- اصول الكافي
 - ٤- بحار الانوار
 - ٥- إثبات الهداة
 - ٦- صحيح مسلم
 - ٧- سنن ابي داود
 - ٨- سنن ابن ماجه
 - ٩- صحيح الترمذي
 - ١٠- صحيح البخاري
 - ١١- مسند احمد
 - ١٢- مجمع الزوائد
 - ١٣- الحاوي للفتاوي
 - ١٤- البيان
 - ١٥- نور الابصار
 - ١٦- مشكاة المصابيح
 - ١٧- ينابيع المودة
 - ١٨- كفاية الطالب
 - ١٩- اسعاف الراغبين
 - ٢٠- الفصول المهمة
 - ٢١- ذخائر العقبى
 - ٢٢- تذكرة خواص الامة
 - ٢٣- نظم درر السمطين
 - ٢٤- كنز العمال
 - ٢٥- مطالب السؤل
 - ٢٦- الصواعق المحرقة
 - ٢٧- مقدمة ابن خلدون
- محمد بن يعقوب الكليني
المجلسي
محمد بن حسن الحر العاملي
مسلم بن حجاج النيسابوري
ابو داود سليمان بن اشعر السجستاني
ابو عبد الله محمد بن يزيد بن عبد الله بن ماجه
ابو عيسى محمد بن سورة
محمد بن اسماعيل البخاري
احمد بن محمد بن حنبل
علي بن ابي بكر الهيثمي
جلال الدين السيوطي
محمد بن يوسف الشافعي
سيد مؤمن الشبلنجي
محمد بن عبد الله الخطيب
الشيخ سليمان
محمد بن عبد الله الخطيب
محمد بن علي الصبان
علي بن محمد بن احمد بن الصباغ المالكي
محب الدين الطبري
سبط بن الجوزي
محمد بن يوسف
علي بن حسام الدين
محمد بن طلحة الشافعي
احمد بن حجر الهيثمي

ابن قتيبة	٢٨- الامامة والسياسة
محمد بن سعد	٢٩- الطبقات الكبرى
الشهرستاني	٣٠- الملل والنحل
حسن بن موسى النوبختي	٣١- فرق الشيعة
سعد بن عبد الله الأشعري	٣٢- المقالات والفرق
ابو الفرج الاصفهاني	٣٣- مقاتل الطالبين
ابو الفرج الاصفهاني	٣٤- الاغاني
احمد بن محمد بن ابي بكر بن خلكان	٣٥- وفيات الاعيان
محمد بن جرير الطبري	٣٦- تاريخ الرسل والملوك
اسماعيل بن عمر بن كثير	٣٧- البداية والنهاية
علي بن حسين المسعودي	٣٨- مروج الذهب
احمد بن ابي يعقوب	٣٩- تاريخ يعقوبي
ابو الفرج	٤٠- صفة الصفة
مير خواند	٤١- روضة الصفا
المسعودي	٤٢- اثبات الوصية
احمد بن علي الخطيب البغدادي	٤٣- تاريخ بغداد
علي بن حسن الشافعي	٤٤- تاريخ ابن عساكر
ابن الاثير	٤٥- الكامل في التاريخ
محمد بن علي الحموي	٤٦- تاريخ المنصوري
ابو الفلاج الحنبلي	٤٧- شذرات الذهب
الذهبي	٤٨- العبر في خبر من غبر
سيد احمد	٤٩- الفتوحات الاسلامية
احمد بن حجر العسقلاني	٥٠- لسان الميزان
احمد بن حجر العسقلاني	٥١- نزهة النظر
الذهبي	٥٢- ميزان الاعتدال
أبو علي	٥٣- رجال أبو علي
المامقاني	٥٤- رجال المامقاني
العلامة البهبهاني	٥٥- منهج المقال
محمد بن علي بن شهر آشوب	٥٦- مناقب آل ابي طالب
سيد محسن الامين العاملي	٥٧- اعيان الشيعة

- ٥٨- تبصرة الولي
 ٥٩- الارشاد
 ٦٠- اعلام الوري
 ٦١- منتخب الاثر
 ٦٢- كمال الدين
 ٦٣- كتاب الغيبة
 ٦٤- اليواقيت والجواهر
 ٦٥- سبائك الذهب
 ٦٦- كفاية الموحدين
 ٦٧- كتاب الغيبة
 ٦٨- الملاحم والفتن
 ٦٩- الذريعة
 ٧٠- على و بنوه
 ٧١- عبد الله بن سبأ
 ٧٢- وعاظ السلاطين
 ٧٣- جامع احاديث الشيعة
 ٧٤- المهدي
 ٧٥- كشف الاستار
 ٧٦- النصائح الكافية
 ٧٧- سفينة البحار
 ٧٨- اضواء على السنة المحمدية
 ٧٩- هدية الاحباب
 ٨٠- المهدي من صدر اسلام حتى القرن الثالث عشر
 المستشرق دامستر
 صدوق الدملوجي
 محمد كريم الخراساني
 العلامة الطباطبائي
 بهروز
 محمد كريم خان
 ٨١- اليزيدية
 ٨٢- التنبيهات الجليلة
 ٨٣- رجال النجاشي
 ٨٤- تفسير الميزان
 ٨٥- تاريخ و تقويم در ايران
 ٨٦- ارشاد العوام

- ٨٧- جاما سبنامه
٨٨- المهديه في الاسلام
٨٩- الكتاب المقدس
٩٠- دلائل الامامة
٩١- جنة المأوى
٩٢- المعمرون والوصايا
٩٣- الآثار الباقية
٩٤- كشف الغمة
٩٥- الانوار النعمانية
٩٦- حديقة الشيعة
٩٧- الاسفار
٩٨- الانسان ذلك المجهول
٩٩- دائرة المعارف البريطانية
١٠٠- دائرة المعارف الامريكية
١٠١- سالنامة شهرت
١٠٢- البهائية
١٠٣- التحكيم
١٠٤- تفسير سورة الكوثر
١٠٥- كتاب البيان
١٠٦- تلخيص التاريخ
١٠٧- الزام الناصب
١٠٨- الاسلام و العقائد البشرية
١٠٩- التاريخ
١١٠- رجال الشيخ الطوسي
١١١- فهرست الشيخ الطوسي
١١٢- مجلة دانشمند
١١٣- وسائل الشيعة
١١٤- مستدرک الوسائل
١١٥- التراتيب الادارية
١١٦- الاموال
- جاماسب
دکتر سعد محمد حسن
محمد بن جرير الطبري
الحاج ميرزا حسين النوري
ابو حاتم السجستاني
ابو ريحان البيروني
ابوالفتح علي بن عيسى الاربلي
سيد نعمت الله الجزائري
احمد الاردبيلي
صدر الدين محمد الشيرازي
د. الكسيس كاريل
احمد كسروي
احمد كسروي
سيد علي محمد باب
سيد علي محمد باب
نبيل زرندي
الحاج شيخ علي اليزدي
يحي نوري
پير روسو.
شيخ محمد الحر العاملي
الحاج ميرزا حسين النوري
الشيخ عبد الحق الكتاني
حافظ ابو عبيد

